AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01034 4624

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

04-134999

Maurice, Sir Frederick Barton
Arbaʿūna Yawman min ʿām 1914

D
531
M3.12x
1929

أربعون يوماً من عام ١٩١٤

قطعة تاريخية من المأساة العالمية الكبرى

وضعه بالانجليزية

ميجر جنرال سير . ف . موريس
K.C.M.G.C.B

ونقله الى العربية

محمد عبد الفتاح ابراهيم

« قامت بطبعه ونشره »

مكتبة الخانجي

لاصحابها أولاد محمد أمين الخانجي

بشارع عبد العزيز بمصر

سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

940.3
M832

٩٤٠٣
م ف ١٠

الاهداء

15630

ابي

ما فتئ العالم منذ فجر التاريخ يخط في سفر الحرب سطوراً جديدة من التضحية ، ذلك لأن الأمم لم تنس الأحقاد بعد ولأن قادة الجيوش لم يجدوا من الشرف أن يحتكم الخصمان لمحكمة الضمير والوجدان .

ولمصر فى هذا السفر الدموى يا أبتاه صفحات كثيرة ملأى بالنكبات ، خطتها بدماء ضحاياها ودموع أطفالها وأراملها ، وفي هذه الصفحات قصص كثيرة كلها مآس وكلها آلام . وكما أن الفراعنة انتصروا فى النوبة وقادوا جيوشهم حتى الدجلة والفرات ، فخطوا على شواطئها الصخرية سطور الفخار ، كذلك تعاقبت حكومات الهكسوس والفرس والبطالسة والرومان والعرب والترك والصليبيين والفرنسيين فتغلبوا على مصر وضربوا خيامهم في طول البلاد يعيثون فيها فسادا .

وحاربت مصر من أجل استقلالها فكانت الضحايا ، وكانت نعمة الحرية تعلو فوق الرؤس ثم لاتلبث هذه النعمة أن يغتصبها الغزاة الفاتحون ، حتى أصبحت هذه البلد حقلا للغلال أيام الرومان وصدر الأسلام ، ومملكة الخصيان أيام العباسيين ودول المماليك . ثم كان عهد محمد على الكبير فانتعشت البلاد على يديه وعاد المصريون إلى انتصاراتهم فى جزيرة العرب عند الدرعية ، وفازوا على الأتراك في جبل طوروس

وتقلبت بهم الحوادث حتى عادوا فانهزموا فى التل الكبير .

لن أصور لك يا أبى رسوم المعركة فأنت عليم بمشهد الدماء ، ولست أذكرك بالحرب فها هى جبهتك التى أعرفها عالية لاتنحنى للصعاب قد خطت نيران المعارك بين غضونها تجاعيد يقرأ الأنسان فى ثناياها ذكريات ذلك الزمن من أيام فتوتك وشبابك .

إذن باسم ضحايا مصر التى خلفها المصريون وراءهم على ضفاف الدجلة والفرات وفى صحراوات السودان ، ووهاد الشام ، وبيداء الجزيره وعلى سواحل اليونان ، وشبه جزيرة القرم ، أهدى إليك هذه القطعة من المأساة العالمية الكبرى لتذكرك بالحياة التى كنت تحياها حتى الأمس القريب ؟

محمد عبد الفتاح ابراهيم

مستقبل العالم . . .

كتب كريستيان كولين النرويجى فى كتابه « فى سبيل السلم » عن مستقبل العالم : « وهذه الحرب العامة محال أن تنتهى قبل أن يستشعر العالم بعظم النكبة التى حلت به . غير أنه يحق لنا هنا أن نتساءل ماذا نفعل فى المستقبل ؟ إننا نحن الذين نختار نهايتنا لا سوانا . أجل نحن الذين يجب أن نوجه أنفسنا نحو احدى الناحيتين فأما موت وإما حياة ». كتب ذلك كريستيان كولين عام ١٩١٥ ولم يكن أحد يعرف على م سوف تنتهي هذه المعارك الدموية ولمن سيكون النصر ؟ ثم انتهت الحرب فجأة كما بدأت فنسى الناس كل ما كان يشغل بالهم من أمر النهاية التى حسبوا أن سوف تنتهى اليها حرب الاربعة أعوام ،وعادوا يفكرون فيما سوف يحدث بعد هذه الحرب العالمية ، وهل ستكون نهاية عهد مظلم في التاريخ الحديث على أن يكون الأمد الذى يتبع ذلك بدء عصر جديد تشرق فيه أنوار السلم ، فنكون نحن الذين نعيش في هذا العصر كأولئك الذين يتسلقون الجبال العالية فى الاقاليم الشمالية ليرقبوا أشعة الشمس الأولى المرتعدة من وراء الافق، ثم يهرولون الى الوديان يحملون فترةً نبأها للناس . وهل سوف يعقب هذه الفترة فترة آلام الملايين من الضحايا الآمنين فى قراهم زمن تدور فيه المعارك وتصيبهم شظاياها دون أن يحملوا حساما يقاتلون به أو درعا يقيهم الموت ، فتخمد فيه الروح الحربية ؟ .

أجل هل سوف يحدث هـذا أم هل سوف تـكون هذه الحرب مقدمة حروب كثيرة للمخترعات الحديثـة يكون لها أثر كبـير فى الاستزادة من وسائل التدمير المستخدمة ؟

لا ريب فى أن ناحيـة من الاثنتين سوف تـكون هى النهاية التى يصل اليها العالم بعـد هذا الـكفاح الطويل . فاما أن يستشعر العالم بأنه من الواجب أن تلقى الدول مقاليد أمر مشاكلها الى محكمة دولية ، وإما أن تتبع هـذه الحرب حرب أخرى تدمر القرى والمـدائن وتتركها آكاما بالية . ويومئذ يضطر الناس مرغمين الى الانصات لصوت الضمير والوجدان . .

والحقيقة أن هذه الحرب الأخيرة إنما أتت معها بمخترعات كثيرة كانت حاجة الجيوش تتطلبها بلا ريب . غير أنها دون أى جدل هى التى سببت استمرار الـكفاح ، واضطرت الدول الى متابعة القتال رغم الآلام والنكبات التى تصيبها دون أن تفكر فى ترك ميدان القتال مضحية بكل شئ من مال ورجال في سبيل ما تدعوه بالشرف .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الحروب المقبلة سوف تحمل معها أيضا مخترعات أخرى جديدة ، عدا عن كونها سوف تعمل باضطراد على تحسين ما أتت به الحروب التى سبقتها .

وقد نستطيع هنا أن نفـكر فى ناحية أخرى جديرة بالبحث وأن نتفهم العوامل المتباينة التى أدت اليها ، فقد انتهت الحرب وتبعتها مؤتمرات كثـيرة ومع ذلك لم يفلح العالم في حل مشاكله . هـذا الفشل أدعى

إلى زعم الكثيرين بأن حربا أخرى عالمية سوف تكون قريبة.

الواقع أن هؤلاء رغم اتفاقهم فى أمد هذه الحرب فشلوا أيضا في استقراء مسبباتها وتبين واجبهم ازاءها، فهل من الممكن أن نظن أن هذه المشاكل لن تحل أم هل في إمكاننا أن نتريث قليلا فى حكمنا ونقول بأن الامم سوف تتناسي الاحقاد وسوف تقلل من غلواء مطامعها إلى أن تصل إلى حل يرتضيه الجميع؟. الواقع اننا قليلو الامل في هذه المؤتمرات والواقع أن العالم مازالت تشوبه روح عسكرية متعطشة إلى النضال تواقة إليه. ومادام العالم كله فى كفتى ميزان، اذا رجحت أحدهما فهوت، خف ثقل الثانية فعلت، فلن يكون هناك سلم ولن تنسى الدول جشعها.

واذن فالغد مظلم وإن كانت فى الظامة الحالكة تبدوا الأشباح ولكنها سوداء قاتمة لا يمكن تبينها. فأذا كان مصير العالم إلى الحرب فسوف تكون حربا عالمية أخرى تضيع فيها ملايين الضحايا والويل للمغلوب.

رزق الله قلادة

مقدمة المعرب

الكتب التى وضعت عن الحرب ـ الدعاية للأمم المتحاربة ـ فظائع الحرب ـ وجهة نظر الألمان والانجليز فيها ـ العالم بين عامى (١٨٧٠ـ١٩١٤) فلسفة السلم ـ أثر أقوال الزعماء فى الحرب ـ بدء الحرب ـ حياد البلجيك ـ انجلترا وفرنسا ـ الحرب العامة ـ الميدان الغربى .

كتب الناس عن الحرب العالمية كتبا كثيرة سلكوا فيها نواحي متباينة مختلفة ، غير أنها كلها سواء أكانت من الناحية الحربية أم الاقتصادية أم السياسية تباينت بتباين الأوطان واختلاف وجهة النظر الحزبية . ولم يقع هذا التضارب فقط بين أهل القارة الواحدة أو بينهم وبين ما عداهم من القارات والاجناس ، وانما وقع أيضا بين أهل الأمة الواحدة والبلد الواحد . كتب الكثير من الفرنسيين والانجليز والالمان عن الحرب غير أن فرداً واحدا منهم لم يكن نزيها فيما كتب ، ولم يحاول أن يكون صادقا كما ذكر فى مقدمة كتابه عند ما قال أنه يكتب للحقيقة والتاريخ . من أجل هذا نرى أن حقائق هذه الحرب ، أو بالحرى أدوار قتالها المتوالية ونتائجها ومسبباتها مازالت يكتنفها ويحيط بها الشئ الكثير من الشك والتضارب .

ومما يدعو الى الغرابة أن أكثر هذه الكتب وضع عند ما أسدل الستار على المأساة . ونحن وإن كنا معهم فى أن المأساة لم تتم فصولا بعد ، وأن النتيجة التى وصل اليها الحلفاء ودول الوسط المتحدة فى مؤتمر

باريس وما تبعه من المؤتمرات والمعاهدات لا يرتضيها فرد بتاتا ، ومن المحال أن تكون هى الدواء الناجع لقتل الروح الحربية التى تسود الشعوب التى خاضت غمار حرب الاربعة أعوام، الا أننا مع ذلك لانساهم الرأى في أن تكون كل هذه الكتب الموضوعة عن الحرب فى مثل هذا التضارب والتباين .

والحقيقة التى لا سبيل الى انكارها أن هذا كله انما هو أثر دخول الحلفاء الى مؤتمر الهدنة صائحين « ويل للمغلوب ويا فرحة المنتصر » ثم دخول الألمان على رأس الدول المهزومة وهم يرقبون بسخرية هذه النصوص والقيود التى راح المنتصرون يملونها عليهم ويضعونها فى طريق تقدمهم .

ولا نستطيع هنا الا أن نقرر أن كل هؤلاء الذين وضعوا هذه المؤلفات عن الحرب انما كانوا أحد رجلين : إما قائد يدافع عن نفسه وعن خطته ، وإما مؤرخ يحاول الدعاية لوطنه ولأنصاره . ولم تختلف المجموعة مع ذلك فى أن كل هذه الكتب كانت فقط للدعاية وتصوير الدول المتحاربة فى صورة بشعة قاتمة من الوحشية .

وكانت الحرب لاتخلو من مضحكات كما كان فيها المبكيات ، فلقد تقرأ الكتب التى وضعت عن الحرب فتحدثك عن أمم كثيرة تعلن الحرب على المانيا ، ثم تقرأ عن معارك تدور وحصون تدك ودماء تهرق وأرواح تزهق دون أن ترى لجنود تلك الامم أثراً بين جنود الحلفاء ، ثم تكون الهدنة وتأتى المؤتمرات متعاقبة وقد نسى الألمان كما نسى الحلفاء

أولئك الانصار بالامس ، لأن تلك الامم أعلنت الحرب على المانيا من قبيل السلوى ، فكانت فى عملها كأولئك المهرجين الذين ترتفع عنهم الستار بين المشاهد المحزنة ليخففوا من وطأتها على المشاهدين .

وليس هناك باللغة العربية عن الحرب الكبرى غير ذلك الكتاب الذى عربه أصحاب المقتطف فى أجزاء ستة ونقلوه عن الانجليزية دون أن يحاولوا التحقق مما جاء به ونقده ، وإنما راحوا يكيلون السباب للالمان في غير هوادة ولا لين. ولست أدري أيهما المتبرع بكيل هذه المطاعن والمثالب أهو مؤلف الكتاب بالانجليزية أم ناقلة الى العربية . . .

فقد نشر فى الصفحة الثامنة والسبعين من الجزء الأول : «وحاول بعض أهل المدينة فى أحد الأحياء الدفاع عن أنفسهم وحماية امتعتهم . فكان عقابهم عاجلا شديدا . الموت لهم والحرق لمنازلهم . ولم يمض الا القليل حتى باتت مدينة لياج مدينة موت يرمى رجالها ونساؤها حتى أولادها بالرصاص لمداعبة جندي سكران . وذات ليلة أفاق الناس فى بعض الاحياء على صوت اطلاق النار فشاهدوا أعمدة الدخان تتصاعد وألسنة النار تندلع حول منازلهم . فهبوا الى الطرقات مذعورين فأطلقت الجنود النار عليهم واحدا واحدا بلا سبب يعرف »

ولا أحاول هنا البحث فى هذه الرواية ومكانها من التاريخ الصحيح فقد يغنينى عن ذلك دفاع الألمان عن أنفسهم إذ نشر كاتب ألماني إبان الحرب يقول « الحقيقة أنها مهزلة ، ما ذا يبغى الانجليز منا ونحن

منتصرون إلا أن يصورونا للعالم كالوحوش الضارية التى تفتك بالأبرياء وتنتهك حرمتهم »

والحقيقة أن الانجليز والفرنسيين إنما نجحوا طوال أيام الحرب في تشويه سمعة الألمان ، ونجحوا كذلك فى استجداء عطف العالم على فرنسا عندما راحوا يصورونها للناس في صورة الحمامة الوديعة التى انقض عليها الصقر وراح يضربها بجناحيه بلا رحمة ولا شفقة وقد عبث بعشها وفتك بصغارها لا لشئ الا لأنه يستعذب مشهد الدماء . وأفلحوا كذلك فى استسلام العالم لدعايتهم فراحت الأمم تعلن الحرب على ألمانيا الواحدة تلو الأخرى لا لشئ إلا للدفاع عن المدنيـة ، وباسم المدنية انتهكت حرمة الشعوب ، وباسم المدينة حارب العالم أجمع تحالف دول الوسط ، وباسم المدنية أيضا ضرب الحصار البحرى على ألمانيا ، وباسم المدنية كذلك انخدع الألمان بأوهام ولسن وشروطه .

والغريب مع ذلك أن هؤلاء الذين راحوا يرمون الألمان بالوحشية كانوا هم أنفسهم يفعلون ذلك أيضاً فى أرضهم وفى وطنهم ، لا لشئ إلا ليعيقوا تقدم البروسيين ؛ ففى الصفحة الثانية والسبعين من الجزء الأول أيضا يقول « وكان البلجيكيون وهم يرتدون الى لياج يتلفون كل شئ أمامهم كالجسور والكبارى والسراديب والأنفاق وخطوط السكك الحديدية ومركباتها ، وأحرقوا القرى قرية إثر الأخرى لئلا يتخذها الغزاة الفاتحون دريئة لهم ، ثم يسدون إنفاق السكك الحديدية أو يخربونها بالديناميت ويضعون الشباك أينما كانوا لاصطياد الألمان »

كتب ذلك مؤلف الكتاب وأخذ يحمل على الألمان بعد صفحات ستة لأنهم أحرقوا القرى ودمروا الحصون وقتلوا البلجيكيين .

وقد تكون تلك الأقاصيص خرافات، وقد تكون كلها حقائق ولكنها الحرب لا تعرف قانونا ولا تدرك مدنية ومادام الخصمان يقتتلان بسلاح واحد، وما دامت تسود كل منهما شرور واحدة فويل للمغلوب ويا فرحة المنتصر

* * *

والحقيقة أن التاريخ لم يشهد أمدا تطور العالم فيه تطوراً هائلا مثل التطور الحادث بين عامى ١٨٧٠ و ١٩١٤ فقد استعمرت تلك البقاع من الارض التى ظلت دهوراً متعددة سراً مجهولا ، كما انحلت أسرار الطبيعة التى كانت لغزاً لا يحل . وكما تعددت الروابط الأدبية والمدنية بين أمم الأرض فلم تعد أمة في الوجود بمعزل عن سواها ، واشتركت الشعوب فى الأفكار والعقائد، وعمت المدنية دول العالم، كذلك بذلت أغلب الحكومات قصارى جهدها لتحقيق أعلى رغائب الانسانية، وانتصرت مبادئ التسامح الدينى والجنسى انتصاراً لا سبيل إلى إنكاره . غير أن هذا التقدم الاقتصادى الغريب قد ولد روح الحقد بين الشعوب الغربية إذ أصبحت الصناعات لاوطن لها بعد أن كانت احتكارا لبعض الممالك وانتقل بالعدوى الاجتماعية إلى دول العالم ذلك التنافس الذى أدى إلى كارثة الحرب . ثم كان الوجل فالشكوك عقب هذا التنافس ثم المحالفات فالتسليح فالحروب العالمية . وكانت أظهر هذه المحالفات اتفاقية النمسا

والمانيا للهجوم والدفاع عام ١٨٧٩ ثم انضمت لهما ايطاليا أثر ذلك بقليل وأعقب ذلك التحالف الثنائى بين روسيا وفرنسا الذى أعتبر فيما بعد محالفة دفاعية، وكان هذا التحالف الاخير هو الذي جذب فرنسا لمناصرة حليفتها الوحيدة فى القارة .

كان المفكرون إبان تلك الاعوام يخشون قيام حرب في أوربا لأنهم كانوا يعتقدون أنها سوف تكون عامة ، فحاولوا تهدئة الخواطر وعملوا على قتل الروح الحربية الحديثة والدعوة إلى السلم ورسم الخطط لتمهيده على قاعدة احترام القانون الدولى العام . ونادى الرئيس ولسن نفسه بهذا المبدأ ، غير أن هذا لم ينتج أكثر من قيام بضعة مؤتمرات دولية لم تجد نفعا ثم تطورت الحال إلى مادعوه بالسلم المسلح وكان هذا سببا من أسباب هذه الحرب العالمية .

لاريب أن العالم كله كانت تسيره أقوال الكثيرين من قواده ورؤسائه عن الحرب فقد قال روزفلت « الحرب أفضل من السلم المزرى » وقال ليونان الألمانى يسائل نفسه « هل يجدر بالمدنية أن تشيد هيا كلها على أكمات الأشلاء وبحار الدموع ؟ هذا هو الواجب وإذن يجب أن تعتبر انتصارات الشعب المختار للسيطرة على العالم مقدسة عند المغلوب بل وعليه أن يعتبرها واجبا أدبيا ساميا » وقال الجنرال فون برنارد الالمانى « ينبغي لنا أن نختار الوقت الذى نشهر الحرب فيه لا أن نترك ذلك لأعدائنا » وقد كان الامبراطور يشجع ذلك لرغبته فى انشاء أسطول لا يجاريه آخر فى المحيط « إن الأمواج تقرع بشدة على ابوابنا وتدعونا

لنتبوأ مقعدنا الخليق بنا تحت الشمس . إن السيطرة على المحيط لازمة للعظمة الألمانية وهـذا المحيط يذكرنا بأن العالم لا يستطيع أن ينفرد بحل مشاكله دوننا بعد اليوم »

وكان الناس يعلمون أن أول حرب أوروبيـة لا بد أن يخوض الألمان غمارها. لاننا إذا انعمنا النظر هنيهة وجدنا أن أغلب المخترعات التى بدت أيام الحرب من طرادات ومدافع وغازات سامـة إنما تثبت استعداد المانيا منذ زمن طويل لتتم مشروعها السري الـكبير الذى وضعه بسمرك ، وقد قال بعض الانجليز :

« The German Empire was a creation of the victories of 1870 in the last resort of Bismark » (١)

ثم زاد على سكان المانيا من ٤٨ مليونا عام ١٨٨٨ الى ٧٠ مليونا عام ١٩١٤ مما أدى الى ضرورة ايجاد وطن لهاجرة السكان وأسواق لتصريف التجارة ولقد أدرك الالمان أن أهم وسـيلة لبلوغ غايتهم هى الحرب فبدأت المانيا تعد العدة وتبث الروح الحربية في الشعب البروسى .

ثم كانت هـذه الشرارة التى ألهبت أوربا وجعلتها في طوفان من الدماء . ففى الثامن والعشرين من يونيه اطلق طالب صربي الرصاص على الارشيدوق فرديناند ولى عهد آل هبسبرج فأرداه لساعته وماتت زوجه بعـده بقليل ، فوقفت أوربا حيرى لا تدرى ما سوف تفعله النمسا وما

---

(١) الامبراطورية الالمانيـة وليـدة انتصارات ١٨٧٠ فى نداء بسمارك الاخير .

سيكون موقف الأمبراطور فرنسيس جوزيف الاول تجاه مقتل ولى عهده . وفى الثالث والعشرين من شهر يوليه أرسلت النمسا انذاراً شديد اللهجة الى حكومة بلغراد تملى عليها مطالبها ازاء الحادث وكانت كلها مجحفة بحرية الصرب . وظلت النمسا مصرة على مطالبها رغم تدخل أوربا لتهدئة الحالة ، ثم أعلنت الحرب فى الثامن والعشرين من يوليه وبدأت تطلق مدافعها على بلغراد وفى التاسع والعشرين من يوليه أرسلت المانيا بلاغا للروسيا تطلب فيه كف الروس عن التعبئة والا اضطرت المانيا للوقوف بجانب حليفتها النمسا ، فرفضت الروسيا ذلك وبات فى حكم المقرر دخول المانيا الحرب .

والحقيقة أن الألمان انتهزوا هذه الفرصة لأعلان الحرب وهم متيقنون من الفوز وذلك لأرتباك الأحوال في فرنسا إثر اطالة خدمتها العسكرية إلى ثلاث سنوات ، واشتغال الأنجليز بمشاكلهم السياسية فى ايرلندا . وكانت الروسيا لم تنهض بعد من عثرتها فى حرب اليابان ، بينما كانت المانيا على استعداد للحرب بجندية منظمة قوية وأسلحة حديثة على أحسن طراز وجاسوسية منظمة لاتبارى . ثم دخل الالمان الحرب معللين سبب دخولهم باضطرارهم إلى معاونة حليفتهم النمسا مع أن الأسباب الحقيقية كانت تتلخص فيما يلى :

١ ـ امتداد نفوذ الصرب عقب حرب البلقان امتداداً هدد الطريق الأعظم إلى بغداد .

٢ ـ نهوض المانيا وازدياد سكانها واستعدادها الهائل .

٣ ـ الخوف من محاولة فرنسا استرجاع ولايتى الالزاس واللورين.

وفى مساء الثاني من أغسطس أبلغ سفير المانيا الحكومة البلجيكية بأن حكومة جلالة الأمبراطور ستضطر إلى أن تمر بجيوشها من الأراضى البلجيكية قبل أن يحاول الفرنسيون سلوك هذا الطريق لمهاجمة المانيا ، وأشار السفير أيضا إلى أن المانيا ستراعي وتضمن استقلال بلجيكا اذاهى وقفت على الحياد مع أن المانيا فى الحقيقة لم تكن تعبأ بحياد البلجيك ، فقد قال عن ذلك المستشار الأمبراطوارى « إن حياد البلجيك قصاصة من الورق »

وفى الرابع من أغسطس أعلنت انجلترا أنها ستدافع عن حياد البلجيك مادامت المانيا تبغى خرق حرمته ، فأعلنت ألمانيا الحرب على البلجيك غير أنه لم يكن من المنتظر أن يظل العالم أجمع ينظر إلى هذه المأساة نظر المشاهد للفاجعة ، ترتفع عنها الستار ثم يسدل دون أن يقوم بنصيبه فيها . بل ولم يكن كذلك من المظنون أن العالم أجمع سوف لا تثيره دعاية الالمان لانفسهم ودعاية الحلفاء لدولهم ، فيلبث هادئا لا يشجعه انتصار دولة أو الأمل في انتصار أخرى على محاوله الأنضمام إلى أحدى الناحيتين ، جلبا لمغنم وجريا وراء منفعة. ومن هنا دخلت الدول الواحدة تلو الأخرى إلى المعركة . ففى ٣١ يوليه عام ١٩١٤ عبأت تركيا جيشها استعدادا للطوارئ كما قالت ، وفى أول مايو عام ١٩١٥ دخلت ايطاليا الحرب فى صف الحلفاء ، وفى السابع من أغسطس من العام نفسه أعلنت حكومة الجبل الاسود الحرب على النمسا وكانت بلغاريا قد انحازت إلى

المانيا لتحرير بلادها من نفوذ الروس ثم تتابعت الدول بعد ذلك فدخلت رومانيا الحرب وتبعتها اليابان فالبرتغال فالولايات المتحدة حتى الحجاز وحتى البلاد العربية أغراها الانجليز على دخول الحرب فى صف الحلفاء.

وبذلك باتت المانيا وحلفاؤها يحاربون العالم بأسره فى ميادين ثلاثة غير أن الضغط الاكبر انما كان فى الميدان الغربى، فقد كانت المانيا بمفردها تحارب فرنسا وبلجيكا وانجلترا يعاون هؤلاء ما أتى به الانجليز من أيالاتهم فى كندا والشرق، وما جنده الفرنسيون من مستعمراتهم بأفريقيا والشرق الأقصى وما أرسلته الولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية من الجنود، بعد أن أعيى جنود الميدان الغربى طول الجهاد ومعاداة الطبيعة القاسية.

الفصل الأول

فكرة الالمان

عند ما أعلنت الحرب كانت الآراء متفقة فى انجلترا وفرنسا على أن المانيا ما دامت قد غزت البلجيك فقد اضطرتهما الى الدفاع عن شرفهما ودفعتهما الى أن يقابلاها فى الميدان، وبذلك فقد ألبت المانيا عليها جيوشا لا تستطيع معها مقابلة التوازن الحربى .

ولم يكن من المظنون أن الاتحاد الثنائى أضعف فى القوة الحربية من التحالف الثلاثى ، ثم رفضت ايطاليا أن تتبع النمسا والمانيا الى الميدان ، وضم سياسيو برلين قوات بريطانيا العظمى وبلجيكا الى تلك التى ستخوض غمار الحرب من قوات فرنسا والروسيا ، فبات من الواضح أن المانيا قد اثقلت كاهلها . ولقد حدثنى كولونيل فرنسى كان أرسل لملاقاتنا فى الهافر فقال « إن النتيجة مؤكدة ما دام الانجليز قد قدموا ، فان الالمان هذه المرة قد قرضوا مالا يستطيعون مضغه » .

والحقيقة أن الفرنسيين والانجليز كانوا يعتقدون ذلك ، ثم اكدت أخبار حملة الفرنسيين على اللورين ودفاع لياج المجيد هذه الفكرة أيضا، وحتى الى أن وصلت أخبار التقهقر كان من المظنون أن كل شيء سائر فى

سبيل النصر ، ثم تلقت أمم الحلفاء بمزيد الدهشة خبر تدمير حصن نامور في ثمان وأربعين ساعة كما وصلت اليهم أنباء اندفاع الجيش الالمانى فى كل مكان، مكتسحا ، كل مافى سبيله فى شمال فرنسا والبلچيك بجموع كثيفة، ثم وصلت الاخبار كذلك الى انجلترا بكثرة أن جيشها الصغير قد طوق وأن باريس قد أضحت تحت رحمة الالمان . وبدهشه لا تقل عن الاولى جاءت الاخبار ثانية بأن الالمان يتقهقرون وأن باريس قد انقذت ، وأن الانجليز يتقدمون بشجاعة في طول الميدان الغربى وهم يأخذون من فلول الجيش الالمانى الأسرى والمدافع :

غير أن الاسئلة الثلاثة الآتية التى رددها كل فرد لنفسه وهى (كيف نجا الانجليز من الأسر ؟ لماذا لم يدخل الالمان باريس ؟ . ولماذا هم يتقهقرون ؟ . .) لم يكن لها من جواب غير معجزة المارن .

والحق أننا مدينون بالشئ الكثير لفوش وللجنود الفرنسيين الذين كانوا فى المارن ، غير أن المارن بمفردها الى حد بعيد لم تكن هى سبب كل شئ ولا ريب أنه للاجابة على هذه الأسئلة كان الواجب أن نرقب الحوادث الى أبعد ما يمكن من وجهة نظر الألمان ، وأن نبحث فى آرائهم وكيف كانوا يعملون على تنفيذها ، مع أنه من السهل أن نعرف لماذا فشل الألمان فى الوصول الى النصر

كان أساس الخطة الالمانية التى أعدت قبل الحرب بزمن طويل وبدئ بتنفيذها فى خريف عام ١٩١٤ أنه ما دامت ألمانيا في مكان يقع وسط فرنسا والروسيا ، فسيعقبها في الميدان الغربى جيش قد لا يكون

كثير العدد غير أنه وافر العدد ، يمكن مده بنجدات كثيرة سريعة على طوال الحدود بين لكسمبرج وسويسرا ، بينما فى الجهة الشرقية سيقف في وجهها جيش كبير العدد الا أنه بطيء عقيم فى خططه وتحركاته ، تعوزه كذلك السبل التى يستطيع بها أن ينظم قواته بسرعة .

ومنذ أيام مولتكه والالمان يدرسون بعناية ودقة نظرية الحرب فى جبهتين . والحقيقة أن دراستهم الطويلة قد مكنتهم من أن يحكموا على قوة روسيا الحربية . وبرهنت الحوادث أنهم كانوا أقرب الى الحقيقة فى تقديرهم من فرنسا حليفة روسيا وصديقتها .

ولقد زرت المانيا بعد حرب جنوب افريقيا بقليل والتقيت برئيس القسم الروسي فى مجلس رئاسة الجيش الألمانى، وهو رجل قضى الكثير من حياته فى انجلترا . وتستطيع أن تقول أنه يعرف الانجليز جيدا ، قال لى وهو يحادثنى : « ليس هناك من جديد فى القسم الانجليزى غير أنى سعيد حيث أنا إذ أن المسألة تختلف تجاه روسيا . إنه من الواجب أن نعلم أن بقاءنا يتوقف على روسيا وتأكد أننا نعلم ذلك » .

وأدت الترتيبات الاولى التى وضعت لمشروع الحرب فى جبهتين الى تقدير تام للقوى اللازمة لصد الجيوش الروسية بمعاونة النمسا ، فى الوقت الذى تكون فيه غالبية القوات الألمانية متجمعة فى الجبهة الغربية لسحق فرنسا . وكان الوقت بمفرده روح الخطة التى رسمتها القيادة الالمانية ، فقد كانت فى حاجة إلى نصر حاسم فى الغرب حتى تستطيع أن توجه وجهها نحو الشرق قبل أن تعد روسيا العدة لمهاجمة الحدود

الألمانية بكل قوتها . ولكي تقرر السبل التى تعمل بها لتجنى هذه النتيجة تأثرت بالحرب اليابانية الروسية ، فقد كان الألمان يعتقدون أن معارك منشوريا قد برهنت على أن استمرار مهاجمة أى جبهة مهما كان عدد قواتها ـ بالنسبة الى التأثير التعطيلى الذى ينتج من الاسلحة السريعة الحديثة أو على وجه ما من مدافع الماكينة ـ عمل بطئ على ما به من تضحيات غالية وأن النصر الحاسم لا يمكن الوصول اليه بغير التطويق والالتفاف .

وأخيرا جاء مدرب ألمانيا الجديد مولتكه الكبير بنظريته القائله بأن طريق الفوز المؤكد هو الدوران حول جناح العدو ، وأن انتصارات الحرب السبعينية انما تعزى الى عملية تغطية الجوانب أو ما يشابهها . وقد درس هذه النظرية أيضا فون شليفن الذى سبق مولتكه الصغير فى مركز المستشار الحربى للأمبراطور . غير أن مولتكه الصغير بمفرده كان هو المسئول عن القيام بهذا العمل وفق تلك النظرية التى أتحدث عنها الآن كانت نظرية فون شليفن فى مجموعها لا تخرج عن عملية التطويق فى حرب بين أمم مسلحة ، ولكن كيف يمكن الدوران حول ملايين من الجنود مع أن مسألة الالتفاف حول مايتى الف أو ثلاثمائة الف جندى كانت محل بحث طويل . وطبيعى أن شليفن لم يوضح فكرته غير أنه نشر عنها مقالة واحدة خلقت تأثيرا عميقا فى العقلية الالمانية ، يقول فيها: « الطريقة الوحيدة للوصول الى نتيجة حاسمة سريعة فى الحرب الحديثة هى البحث عن جناحى العدو وتطويقهما » . وكانت هذه النظرية هى

غرض الالمان للوصول الى نتائج سريعة . ولقد بعث الى فون شليفن ـ ولاتنس أنه كان مسرورا من حوادث الحرب الافريقيه ـ أيام ان كنت فى برلين ،وقال بعد حديث طويل ، راح يسألنى ابانه أسئلة كثيرة « لقد وجدتم في روبرت قائدا يفهم معنى التغطية ولهذا فقط نجح هو » . . .

ولاريب أن شليفن كان رجلا قويا قادراً مفكرا بينما كان خلفه لايزيد كثيرا عن ضابط مدرب فى مركز رئاسة الجيش يعضده اسم كبير وفراسة دقيقة ودراية تامة بكيفية مسايرة الامبراطور. وأقرر أن سر ماحدث فى أدوار الحرب الاولى إنما كان ناتجا عن نظرية موروثة قد تطورت حتى كادت تصبح معتقدا دينيا يقوم بتنفيذها فرد واحد ذو كفاية عادية .

وبدأ الألمان يبشرون فى كل الكتب الحربية التى أصدرتها المانيا بهذه النظرية بعد أن أبدي الأمبراطور موافقته عليها . وبدأ الجيش الألمانى يقوم بتجربتها في كل مناوراته العسكرية طوال تلك الأعوام التى سبقت الحرب ، غير أنه مع ذلك كان الكثيرون يتساءلون كيف تستطيع المانيا أن تدور حول تلك الجيوش المدربة التى تستطيع فرنسا أن تعدها بسرعة على طول ١٥٠ ميلا من الحدود الفرنسية ؟ وحتى لواستطاع الألمان أن يحصروا جيشهم فى هذه المسافة الضيقة فسوف يجدون الحدود وقد احتلها الفرنسيون من بدايتها الى نهايتها قبل أن يصلها الألمان بقوات كافية للهجوم . فبات من الضرورى إذن إيجاد

طريق حول هاته الجيوش يخرق حرمة حياد الباجيك ولكسمبرج مادامت نظرية الألمان في الحرب هى تلك التى يعتقدونها منذ زمن طويل ، والتى يعملون على تنفيذها بدراسة أصول الحرب الحديثة وتهذيب النظريات الحديثة فى التسليح الحربى .

وفي الحقيقة أن كل البيانات والايضاحات التى أصدرتها المانيا عن حملة الباجيك لاتتفق مع الحقائق المعروفة الواضحة غير أنه مجاراة للمنطق العسكرى بمفرده دون أى جدل أو فرض نستطيع أن نقرر أن ماحدث كان من الواجب أن يحدث كنتيجة فقط للتقدير الدقيق لقوات الحلفاء .

ولم تكن عقلية البروسية العسكريه لتعلق أهمية كبيرة للشرف واحترام نصوص المعاهدات مادامت السرعة بمفردها هى التى تعين طريق الجنود . ولقد يبدو واضحا أنهم لم يقضوا زمنا طويلا فى إقناع رجال السياسة بأن فكرتهم وحدها هى الخطة الآمنة وان كان فون كلك فى الصفحة الثالثه والثلاثين من كتابه يقول « لم يكن الكثيرون من السياسيين يخضعون لتأثير الحزب العسكرى فان سرعة نقل الجنود كانت تتطلب أن تبدأ قبل اليوم الذى بدأت فيه بثلاثة أيام على الاقل وينسب الكثيرون فشلهم لهذا التأخير »

ولا شك في أن المانيا لم تكن ترغب في مقاتلة الباجيك فان صراع عدو ثانوى لامعنى له غير اضاعة الوقت وتضحية الرجال والذخائر بل — والى أبعد من ذلك — تأخير الوصول الى العدو الرئيسى ، غير أنها مع ذلك كانت معتزمة على أن تمر بجيوشها فى الأراضى البلجيكية ، وفى

حالة رفض البلجيكيين الأذعان لرغبات المانيا يكون من الواجب أن يتم ذلك عنوة وبالقوة ولذا فقد أعدت المانيا الجيوش لتنفيذ تلك الرغبات .

والحقيقة أن سرعة نقل الجيوش الحديثة ـ حتى ولو كان تنظيمها على أكمل وجه وأدقه كتلك الجيوش الالمانية ـ مسألة وقت كما هى عملية متشعبة تتوقف على التنفيذ الصحيح لبرنامج ضاف مطول من السهل أن يتضارب ، . ولذا اعتادت الدول الاوربية الكبيرة منذ أعوام طويلة أن تضع عند الحدود قوات كثيرة من جنود الوقاية على أتم استعداد لخوض غمار القتال بعد ساعات قليلة لتستطيع بذلك أن تقى جيشها وقت اعداده . ولم يكن للبلجيك شئ من هذا لأنها لم تكن لتحاول التدخل في سرعة نقل الجنود الألمان . والحقيقة أن البلجيك لو فكرت فى ذلك فمن الواجب أن نعتقد أنه لم يكن ليعطل من سرعة نقل الجنود وعلى ذلك فان أول فكرة فى برنامج الألمان كانت أن تعد المانيا قوات أمامية في وقت السلم على أتم استعداد للدخول الى البلجيك فى أسرع وقت ، كى تعبد الطريق للجيوش التى تتبعها. ويتوقف نجاح هذه الفكرة على سرعة تدمير القلاع البلجيكية على ضفاف الموز . ولقد أبدى القواد الألمان بأقدامهم على تنفيذ هذه الفكرة أنهم فى مقدمة دول أوربا الحربية حيث كانوا أول من استطاع تفهم نيران الهوتزر الحديث ، وحقا لم يكن المراد من تجاربهم الأولى سرعة تدمير القلاع بل الوصول الى أقصى مايمكن الانتفاع به من الهوتزر . فلقد أهمل الألمان قبل الحرب

مدافع الميدان ، التى كنا والفرنسيين كذلك ، نعنى بها كثيرا ، ليعملوا على تقدم الهوتزر الخفيف والمتوسط . وعاد فن الطيران فتقدم ، الأمر الذى مكنهم من استعمال المدفعية الى أبعد مما وصلت اليه . وبالنسبة الى استعمال المدفعية فى السفن الهوائية فان الالمان سبقونا كما سبقوا الفرنسيين فيها أيضا ، وكانوا أسرع منا نحن فى الانتفاع من تأثيرها عندما قرروا استعمال مدافع الحصار لتدمير الحصون المنيعة ، وقد يحسن بى هنا أن أذكر أن القلاع البلجيكية ـ سواء تلك التى كانت فى نامور أم فى لياج ـ كانت على محيط دائرة بفواصل متباعدة وقد سلحت بمدفعية الحصون الضخمة ، وفهم الالمانيون أن هذه القلاع ـ ومكانها واضح على الخريطة ـ سوف تكون بلا فائدة أمام مدفعية ضخمة مختفية فى أماكن يجهلها المدافعون ، غير أن ذلك كان ينقصه عضد واحد لنجاحه وهو مراقبة تأثير نيران تلك المدفع وقد قامت السفن الهوائية بذلك .

ولست أعنى بذلك أن أقرر أن القيادة الألمانية العليا كانت تفهم ذلك كله قبل الحرب كما تفهمه اليوم ، لأن ماحدث فى لياج يوضح أن الألمانيين أملوا طويلا في تدمير القلاع دون أن ينتظروا مدفعية الحصار الضخمة ، ولكنهم فى الحقيقة أحضروا السلاح الفعال عندما أصبحوا في شديد الحاجة إليه . ويبدو كذلك أن الألمان قدروا قوة دفاع القلاع البلجيكية تقديراً أقرب إلى الحقيقة مما استطاع عسكريو الحلفاء أن يقدروه ، وعندما وجد الألمان الوسيلة التى يستطيعون بها التغلب على البلجيكين فى الوقت المناسب اذا تجاسروا على مقاومة قواتهم الحربية

بات فى امكانهم أن يتموا خطتهم لسحق الجيش الفرنسى ، وقرروا أن يتركوا تسع مجموع الجيش الالمانى بمعاونة النمسا لصد الروسيا بينما كان اكثر من الثمانية أتساع الباقية يتجمع على الحدود الغربية ، غير ان القوة لم تكن بمفردها كافية لنجاح خطتهم وإذ كان لابد لهم من قرار سريع لصد الجموع الكثيفة المدربة التى سوف تحشدها جمهورية فرنسا أمامهم ، كأن المفاجأة كانت ضرورية اذ ذاك وكأن العالم الحربي بأجمعه يعلم قوة الجيش الالمانى العامل وأمكنته ، فلذا لم يكن من الصعب أن يقدر الوقت الذى يصل فيه الى الحدود . وكان العالم يعلم أن لألمانياقوات كبيرة من الرجال المدربين أعدوا لتكون منهم قوة احتياطية عظيمة ، الا أن العالم بأسره كذلك كان يجهل كم من هؤلاء يمكن إعدادهم للميدان كما كان يجهل كيف يمكن إعدادهم بكل سرعة ؟ وكان القواد الألمان حقيقة يعلمون بأن الفرنسيين يجهلون مبلغ القوانين التى ستوضع لمراقبة روسيا كما يجهلون عدد قوات الاحتياطى الذى سيخوض الحرب في الميدان الغربى إبان أدواره الاولى . وعلى ذلك فقد قرروا أن يستفيدوا من هذا الجهل فى مفاجأة الفرنسيين أولا بمباشرة قوات كبيرة من الأحتياطى ، وثانياً بتجمع قواتهم المدربة فى الميدان الغربى .

والواقع أنه إبان الأمد الذى نتحدث عنه أو على وجه آخر طوال هذه الستة أسابيع من بدء الحرب وضعت المانيا على الجبهة الفرنسية اثنين وعشرين فيلقاً من الجيش العامل ، ومعها ثلاثة عشر فيلقا

من الأحتياطى (١) ثم جماعة أخرى من الأحتياطي لا تزيد عن فرقتين وسبعة عشر لواء من لواءات ارساتز وستة عشر آلايا من جنود لاندوهر رجيمنتس، ولم تكن كل تلك القوات المجموعة من الاحتياطي معدة فى وقت واحد ولكنها ظهرت كلها فى الميدان مبكرة للأنضمام الى التجمع الرئيسى للجيوش الألمانية، وبالنسبة الى هذا التجمع فأن القيادة الألمانية كانت بلاشك متأثرة بعلمها أن ترتيب السكك الحديدية الفرنسية وموقع القوات الفرنسية فى وقت السلم سوف يمكن الفرنسيين من تجمع سريع على الحدود الفرنسية الالمانيه، وقد تأكد الألمان من ذلك ومن درايتهم بأخلاق الفرنسيين أن الحكومة الفرنسية لن تهاجم غير الالزاس واللورين وأنها أيضا ستحترم من غير بد نصوص المعاهدات فلا تدخل البلجيك قبل أن تدعوها حكومة تلك البلاد.

وبمقارنة تلك القوى المتضادة فأنه من المناسب أن تتخذ الفرق قاعدة للمقارنة إن كانت فى بدء الحرب متساوية القوة في جميع الجيوش وعلى ذلك لو تركنا قوات فرسان الجيش الالمانى جانبا. فلن يزيد مجموع الالمانيين فى الميدان الغربى عن اثنين وسبعين فرقة، وكان الألمان وقت أن أعدوها يعتقدون أنهم سوف يواجهون الجيش البلجيكى الصغير

---

(١) فيالق الاحتياطى كفيالق الجيش العامل كل منها فى فرقتين وقد جمعت من الاحتياطى الذى تم تدريبه حديثا بعد أن أعد الجيش العامل. أما لواءات ارتشامع Ersatz Briqade فى كل منهاست أورط أمالاندوهر Lan lauher Reqiments فمكونة من ثلاث أورط وقد جمعت من الاحتياطى الاسبق.

فى ست فرق، والقوات الانجليزية الاولية في ست فرق أيضا، والقوات الفرنسية فى خمس واربعين فرقة من الجيش العامل ، وسبع وعشرين من الأحتياطى ، هـذا عدا جموعا كبيرة من قوات التريتوريال . وقد يبدو ذلك على الورق لأول وهلة كمحاولة مؤكدة لدفع تلك القوة سريعا للقاء قوة أخرى في اثنين وسبعين فرقة ، الا أنه كانت هناك عوامل أخرى سببت من تخفيف هذه النظرية . ففى اللحظة الأولى وقف الجيش الباجيكى بمفرده دون أن تعاونه فرنسا أو انجلترا ولم يكن من المألوف أن تأمر الحكومة البلجيكية جيشها الصغير بأن يهجر وطنه تاركة إياه للمقادير لينضم الى الجيش الفرنسى ولذا فقد كان من الواضح أنه اما أن يدفع الجيش البلجيكى بأكمله الى الامام وبسرعة واما ـ وهذا اشر مايمكن أن يفعل به ـ ان يترك مقيدا وسط قلاعه تراقبه قوة من الأحتياطى الالمانى بينما تسير القوات الالمانيه فى طريقها الى فرنسا . . . فأذا دخلت انجلترا الحرب ـ ولم يكن الألمان يعتقدون ذلك ـ فأن الأنجليز سوف يصلون الى الميدان متأخرين اذ لابد ان تنقل الجنود فى البحر من انجلترا الى القارة فأذا ما وصلت حركة الالتفاف الكبرى فى البلجيك الى فرنسا قطعت المواصلات بين موانى القنال والجنوب ، ومنعت امدادات الجيش الانجليزى من الوصول ، أما بالنسبة للفرنسين فمن المحتمل أن تتأخر فرق الجيش العامل التى ستأتى من شمال افريقيا وسيفتقر كذلك الى فرق كثيرة من الاحتياطى لحماية القلاع . ومن

المعلوم أيضا أن قوات الترينوريال تنقصها المدفعية كما أنه لم يكتمل تدريبها بعد .

كانت هذه ـ الى حدما ـ هى أهم الأعتبارات التى أخذتها الألمان عندما بدأوا يضعون خطتهم للقتال فقرروا أن يعدوا جيوشهم على الجبهة الغربية فى جماعتين : الاولى هى التى ستقوم بالعمل الحاسم السريع الذى يتطلبونه على الحدود البلجيكية ، والثانية هى التى ترد حملة الفرنسيين عن اللورين وتدفع أمامها القوات الفرنسية في الجنوب . وأعدت هذه على الحدود الجنوبية للكسمبرج وفى اللورين . . . ويربط هاتين الجماعتين قوات أخرى ضعيفة، ثم كانت فى الجنوب قوة رابعة لتراقب الفوسجاس والالزاس ، ولقد كانت الجماعة الاولى مكونة من الجيش الاول والثانى والثالث بقيادة فون كلك وفون بلو وفون هازن على الترتيب . ولا تقل قواتها عن سبعة عشر فيلقا وقوة كبيرة من الفرسان تكاد تصل الى نصف قوات الالمان فى الميدان الغربى .

وكانت الجماعة الثانية مكونة من الجيشين الخامس والسادس تحت قيادة ولي عهد المانيا وبافاريا بينهما الجيش الرابع تحت امرة (البرخت دوق ورتمبرج)وأخيرا فى الجنوب كان الجيش السابع بقيادة فون هربخن في سبع فرق وبعض قوات من الأحتياطي ومن حامية استرا سبورغ ولا يزيد مجموع الجيشين الاول والثانى عن احد عشر فيلقاً الا قليلا، كما كان الجيش الرابع لايزيد عن أربعة فيالق .

ولقد عرض هذا التوزيع قوات الالمان الى خطرين : أولهما أن

أى هجوم فرنسى فى الالزاس واللورين قد يدفع جناح الالمان الأيسر الذي يقوده فون هرنجن الى الوراء، ومن ثم يمكن تطويق الجيش الرابع والخامس من الجنوب، وثانيهما أن القوة الضعيفه التى تربط الجيش الرابع بالخامس قد يمكن للفرنسيين أن يخترقوها بالقوة وبذلك يستطيعون أن يهاجموا جناحى أى جيش أو كليهما معا، والحقيقة أن الألمان قد اندفعوا الى هاتين المخاطرتين دون أن يعبأوا بهما للاعتبارات التى أوضحتها فيما سبق. وقد يستطيعون أن يجادلوا فيقولوا أن نقطتى الخطر كانتا فى بقعتين صالحتين للدفاع فالفوسجاس فى الجنوب والاردنيز في الوسط وفى المنطقتين لمدافع الماكنة ـ ولا تنسى أن الالمان قد استطاعوا تهذيبها سواء أكان ذلك من ناحية النتيجه المطلوبة منها ـ تأثير كبير فى عملية التأخير Delahinq action إذ أن سلاح الفرنسيين الذي يعتمدون عليه (752) قصير المدى

وتتوقف خطة الالمان فى مجموعها ـ على اعتقادهم ـ بأن مهاجمة أى جبهة من الأمام مهما صغر عدد قوتها لا بد أن يكون تقدما بطيئا ولذا فانه من الواجب أن يشعر الجيشان الخامس والسادس الفرنسيين بقوتهما قبل أن يتقدم هؤلاء طويلا فى الفوسجاس. على أن حركة التطويق فى البلجيك والتى لا يتوقعها الفرنسيون سوف يكون لها أثرها قبل أن تحصل قوات الفرنسيين المتوسطة الى نجاح خطير وذلك رغم مابها من جرأة بسيطة معززة بدراسة طويلة للحرب، وكانت فى الوقت نفسه قاسية معها تحمل امتهانا للعهود الوطنية وحقوق الضعفاء وكانت كذلك

مخطئة في إهمالها لنفسية من تحتمل عداوتهم كما كانت تناست دراسة الحلفاء الذين كانوا سيخوضون غمار الحرب ضد المانيا بكل تأكيد. غير أن هذه الخطة كانت فى الحقيقة مقدمة مكشوفة للعسكرية الألمانيه وكل الخطط التى تعارض القوانين الوضعية مضافا اليها عوامل أولية للضعف تكفى أن تسبب لها الفشل جعلت من بريطانيا خصما لدودا ومن ايطاليا أمة محايدة وألبت على المانيا غالبة العالم المتمدين . والحقيقة أنه لو عمل على تنفيذ تلك الخطة فى الميدان بنفس المهارة التى وضعت بها فى غرف هيئة القيادة العليا ببرلين لسببت سحق فرقنا الخمس الأولى ، وسقوط باريس واحتلال شمال فرنسا . على أنه بالرغم من عظم مقياس النجاح فأن الخطة الألمانية لن تأتى بفوز على أعداء يشعرون أن ليس للحياة أية قيمة إذا انتصرت سبل وخطط كهذه . ومن حسن الحظ أننا لم نوضع أمام تجربه قاسية كتلك ، لأنه بالرغم من حسن تدبيرها أخطئ في تنفيذها ، وهكذا يرى أن القاطرة قدباتت بعد أن بدأت بقليل لا تخضع لأولئك الذين يحاولون قيادتها . ولست أريد هنا أن اقرر ان الخطة ـ إلى حدما ـ قاسية أو ان غرض واتجاه حركة التطويق وضعا في الوقت الذى بدأ فيه سير الألمان فى البلجيك .

والحرب ـ بالنسبة الى قيادة كل من الناحيتين المتحاربتين ـ هى صراع بين العقول البشرية ، وكل من الطرفين يستطيع أن يحذر مايذهب إليه الطرف الآخر ، ولذا فقد كان فى استطاعة الألمان أن يحذروا ماذا سوف يفعله الجيش البلجيكى ، وما سوف تفعله بريطانيا وما اذا كانت

أتلبث هادئة ساكنة أم تغامر فى الحرب ، وكان في استطاعتهم أن يتكهنوا هل تصل القوات الأنجليزية لمعاونة الباجيك أم تذهب للأنضمام الى ميسرة الفرنسيين أم تتراجع الى ماوراء ذلك بكثير ؟ وكان في إمكانهم أيضا ان يتوقعوا مدى تقدم ميسرة الفرنسيين شمالا ، إلا ان الألمان لم يكن فى استطاعتهم البت فى أى أمر مما كانوا يتوقعونه.

ولقد علمت التجارب مولتكه أنه لاعداد أية خطة حربية يجب أن لا يفكر الى أبعد من اول لقاء بين القوات المتعارضة ، أماما يأتى بعد ذلك فأنما هو أثر التفكير والبحث تبعا لتحركات العدو ، ولا سبيل الى الجدل بأن العد ويقوم دائما بما لا يظن أنه سيفعله ولقد قال مولتكه فى احدى خطبه « سادتى . . لقد لا حظت دائماً ان للعد وسبلا ثلاث لابد ان يسلك احداها غير انه دوما كان يطرق السبيل الرابع » على هذا تدرب قواد المان في العصر الحاضر ، غير أنه لحسن حظ العالم في عام ١٩١٤ لم يكن خلفاء مولتكه فى مثل مقدرته وبالرغم من ان خطة الالمان كان من السهل تعديلها وفق التغييرات التى تتطلبها الفرص إلا انه لم تكن لهم المقدرة التى تمكنهم من توجيه وقيادة امة مسلحة ، فنتج عن ذلك ان أهملت فرصة إثرا أخرى وفشلت فكرة الالمان عند ماظنوا ان الفوز بات محققا .

الفصل الثانى

الخطة الفرنسية

وما دمت قد تتبعت مجرى الحوادث من وجهة نظر الألمان ، فواجبى هنا أن أوضح ذلك العمل الذى قامت به قواتنا فى بدء اعلان الحرب ، ولذا يجب أن نرقب الحوادث من وقت الى آخر ، كما كان الأنجليز والفرنسيون يرقبونها لبحث مجموع خطة الحلفاء فى الميدان الغربى .

وكانت الخطة الفرنسية كما يمكن أن تظن مستمدة من روح الجيش الفرنسى وتدريبه للقيام بعملية هجوم سريعة على ألمانيا . كانت معاونة روح روسيا مؤكدة ، وكان الايطاليون قد اطلقوا يدهم من الاتحاد الثلاثى ، ثم علم أن الانجليز قادمون لمعاونة فرنسا ، إذ ذاك بات لفرنسا من الاسباب ما يدفعها الى الاعتقاد بأن لديها القوات الكافية التى تستطيع معها أن تقوم بتنفيذ خطتها ، إذ لم يكن هناك إذ ذاك بون كبير بين الجيشين العاملين فى فرنسا والمانيا ، ولكى تصل فرنسا إلى نسبة يتعادل بها الجيشان مع قلة عدد سكانها أطالت أمد الخدمة العسكرية عنه في المانيا والحقيقة أن تلك القوة الحربية العظيمة التى كانت لألمانيا عند اعلان

الحرب انما تعزى لجموع الاحتياطي الكثيفة ولمهارة القواد الالمان فى تدريبها وإعدادها لخوض المعارك المقبلة مباشرة . ولم يكن قواد فرنسا يعلمون كيف تصل المانيا الى حل معقول لهاتين العقدتين ـ محاربة فرنسا فى الميدان الغربى مع العمل على دفع الجيش الروسى بعيدا عن الحدود الألمانية ـ وعدد القوات التى تدفع بها لكل منهما ، ولم تكن فرنسا أو أى من حلفائها كذلك يظن أن ألمانيا سوف تجسر فتحشد غالبية جيوشها على الجبهة الغربية ، ولم يدرك أحدها كذلك تلك العوامل التى أمكن لألمانيا بواسطتها ارسال احتياطيها بسرعة . ولقد أثرت حقا هذه العوامل كما يرى فى عمليات الميدان الغربى الأولى ، غير أن هذه الصعوبة فى تقدير قوات الاعداء فى الغرب ليست هى العائق الوحيد الذى قاست منه القيادة الفرنسية الأمرين .

وعلى نقيض ألمانيا كانت فرنسا تحترم حقوق الآخرين ولذا كانت الجنود الفرنسية محددة الغرض على أن تهاجم الحدود الالمانية بين متز وسويسرا ، ولم تكن حملة فرنسا على الألزاس واللورين كما قيل أحيانا بأنها حملة مساقة لاعتبارات سياسية فقد كان لفرنسا أحد أمرين إما أن تنتظر هجوم العدو فتعرض أراضيها لخسائر الحرب دون أن تحاول منع هذه الخسائر وإما أن تضطر العدو إلى خرق القوانين الوضعية بأن تسوقه إلى الموقعة فى مملكة ذات قوة ضعيفة محايدة .

وكانت هذه العوامل هى التى أثرت فى ترتيب وحشد الجيش الفرنسى على أن يكون كالآتى :

ثلاث فرق من الالزاس مع أربع من الاحتياطى تتجمع عند بلفورد ، وتتجمع القوات الأصلية للهجوم على حدود اللورين مكونة من : الجيش الاول فى أربعة فيالق وأربع فرق من الاحتياطى بقيادة الجنرال روبين والجيش الثانى في خمسة فيالق وثلاث فرق من الاحتياطى بقيادة الجنرال كستلنو والجيش الثالث فى أربعة فيالق ، وثلاث فرق من الاحتياطي تحت إمرة الجنرال روفى تتجمع حول فردون والجيش الخامس فى فيالق ثلاث وثلاث فرق من الاحتياطى تحت أمرة الجنرال لانرينراك لمراقبة مخارج الاردن من البلچيك ولكسمبرج شمالا حتى الحدود البلچيكية قرب روكرواه . واعد جيش رابع فى أربعة فيالق وفرقتين من الاحتياطى تحت قيادة الجنرال لانجل دى كاريه كاحتياطي في المؤخرة ، وعلى ذلك يرى أن مجموع قوات جوفر فى الميدان كانت كلها ثلاث وأربعين فرقة مع تسع عشرة من الاحتياطى (١) وقد يبدو من هذا التجمع أن القيادة الفرنسية كانت مصممة على مهاجمة الحدود الالمانية الفرنسية باثنين وثلاثين فرقة من مجموع قوات جوفر وكان أكثر من نصف قواته العاملة فى هذه الاقسام يعاونها كذلك الجيش الرابع بأكمله ، ويوضح هذا التجمع أيضا على أن جيش جوفر كان معدا للدفاع عن حياد لكسمبرج وذلك الجزء من البلچيك جنوب الميز غير

١ـ كانت هناك فرق أخرى من الاحتياطى معينة للدفاع عن القلاع ، وكانت هناك ثلاث فرق أخرى للدفاع السريع حول فردون وفرقتان كذلك من الجيش العامل فى طريقهما اليه من الجيريا .

أنه لم يكن يظن أن الالمان يستطيعون أن يعبروا الميز عنوة واقتدارا وأن يدفعوا جانبا مقاومة البلچيك ويسيروا وسط سهولها دون أن يتكبدوا أية خسائر . ولم يكن أحد ينتظر امكان ذلك لأن مركز الجيش الرابع فى الاحتياطى كان يمكن من دفعهم الى الامام في الاردن لسحق جناح وتعطيل مواصلات أي جيش المانى يحاول القيام بحركة التفاف واسعة من الشمال بينما كان الجيش الخامس يجعل الارض على يساره لمقابلة العدو إذا تقدم شمالى الموز ، وعند ما تقارن التجمع الأول للجيشين المتقابلين نستطيع أن ندرك في غير خطل عقلية قواد كل من الجيشين الالمانى والفرنسى وكذلك كل تلك الدوافع التى كانت تتملك كل منهما ، وكما نظن أن هذه الدوافع كانت لجر دراسة خاصة للمسائل الجزئية التى واجهت كل أمة والتى أظهرت رأى كل منهما ووجهة نظرها الخاصة فى كل حالة ، وليس الاستراتيجى(١) مجرد فن يؤثر على تجمع وتحركات اقسام الجيش وتوجيهها الى القتال إذ يتمشى الآن والآراء السياسية مع دراسة دقيقة لطبوغرافية الارض التى ستكون مسرحا للحرب ، وكذلك مع بحث وتقدير للزمن الذى يمكن القواد من التحرك من جهة إلى أخرى سواء كان ذلك لمواجهة الأعداء أم لمعاونة الانصار ، بل وإلى أبعد من ذلك هو تصادم العقول البشرية مع الاعتراف بأن لكل دراية تامة بنظريات

---

(١) الاستراتيجى (أو كما يسميه الانجليز Strategy) هو ارغام العدو على القتال فى الوقت والمكان الموافقين لخصومه .

« Strategy is the art of bringing the enemy to battle in position and under circomstances, which are most favourable to one self »
NOTES on TACTICS by Kaimmakam A . M. TOY

الآخر وبأن كلا يعمل على تنفيذ امنيته بقوات ـ تحتمل البقاء الى حد محدود تحت عوامل القتال المتباينة ـ تستلزم اطعامها وأعداد الثياب والاسلحة التى تمكنها من القتال على أكمل وجه ممكن .

ولقد ساقت كل تلك العوامل التى اتبعها قائدا فرنسا وألمانيا طوال الأعوام التى تبعت اعلان الحرب كل من الأمتين مضطرا إلى أن يسلك سبلا خاصة للقيام بالعمليات الهجومية التى دعيت خطأ باسم عقائد الالمان والفرنسيين فى الحرب .

ولم تكن تلك العقائد الى حد ما متمشية مع أصول الحرب وانما كانت خليطا من مسائل خاصة لقتال بين القوات المتوسطة والحلفاء فى غرب أوروبا .

وكان الألمان كما رأينا يطلبون نتائج سريعة يعتقدون بأنهم سوف يصلون اليها إما بتجمعهم لأول لحظة على تلك الأجزاء على الجبهة حيث يرغبون فى أن ينالوا نصرهم الحاسم أو كما يمكن أن يقال على جناح الحلفاء الأيسر ، وإما بالتأثير العنيف الذى يحدثه الهجوم مع القيام بحركة تطويق محكمة إذا قورن ذلك بمهاجمة المقدمة . وكان للألمانيين ثقة كبرى بتدريب وتنظيم وتسليح جيوشهم ، وكذلك بكفاية قوادهم ومقدرتهم على القيام بأعباء هذا التشعب الذى نتج من التضارب فى الأوقات والمسافات التى تضمنتها خطة الحملة .

ثم نال قواد الألمان موافقة رجال السياسة على خطتهم الحربية وتركوا لهم بعد ذلك وضع اقصوصة تستحق المديح ليهدئوا بها من شعور

الألمانيين بواجبهم فى التفكير ، والبحث عن خطأ وصواب وجهة نظر قوادهم بل واذا امكن إلى أبعد من ذلك لخداع العالم المحايد بأكمله .

وكان أول معتقد للحكومة الألمانية منذ أيام بسمارك أن النصر إنما يمحو كل الخطايا وكذلك بات الجميع من تأثير كلمات الأمبراطور يعتقدون أن أسلحتهم لا يمكن أن تبارى واذا لم يكن من الصعب لتنفيذ الخطة القديمة أن تسير السياسة والاستراتيجى جنبا إلى جنب .

وكانت خطة الألمانيين أن يملوا إرادتهم على العدو من البداية وان يرغموه على الخضوع لهاباستعمالهم أكبر قوة ممكنة في غرض واحد وعدم ترك أى وقت للعدو ليقوم بعمليات مضادة .

وكانت أخطاء هذه الخطة التى نتجت من طبيعة اعتداد الألمان برأيهم مسببة عن فشلهم فى أن يستعملوا تأثيرها على اعداء أقوياء، وكذلك تقديرها للقوات التى سوف تعد في الميدان لمواجهة ألمانيا . وقد اعتقد النبيل الالمانى (١) أن بريطانيا العظمي والبلجيك سوف يجدان أى سبب يتجنبابه لقاء ألمانيا القوية . والى تلك الأخطاء يجب أن تضاف دقة الفكر التى أتت بها الى عقل القواد الألمان الدراسة الطويلة لنظرية الحرب ضد فرنسا على مبدأ ثابت معين .

وكانت القيادة الفرنسية على نقيض القيادة الألمانية تحدد العوامل

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل الانجليزى The Prussian Junker ولم يذكر المؤلف شيئا عن ذلك النبيل الذى يقصده والاغلب أنه يريد النبلاء الالمان أى مجموع الطبقة الارستقراطيه

السياسية في ميدان القتال الذى تشغله ولذا كانت لا تستطيع أن تضع كل فكرة الهجوم في خطة واحدة إذ لم يكن هناك أى مأوى لكل هذه الجنود على طول حدود غالبيتها جبلية بين باسل ومتز . ولذا كان واجبهم أن عملية سرعة نقل الجنود إنما تعاونهم فى انتصارهم على العدو وفي دفع تجمعه جانبا قبل أن يتم في الوقت الذى تعد قوات في الاحتياطى كجزء من الخطة الموضوعة على أتم استعداد ، إما لاتمام نصر وإما لذود أى خطر قد يحدث فجأة . وليس هذا لأنهم لم يعتقدوا فى أثر حركة التطويق التى لم يحاولوها لأن جوفر فى الحقيقة كاد أن يسبب فشل خطة الألمان بمحاولة تطويق أحد جناحيهم فى أول فرصة أمكنه أنتهازها بعمل كهذا . غير أن التطويق كما كان من المحال تحت العوامل السياسية والمؤثرات الجغرافية التى كانت فرنسا فيها إذ ذاك عند بدء الحرب ، وقد لاحظ ذلك الكثيرون من الفرنسيين كما لاحظه فوش ، غير أن الأخير استطاع أن يعلم القواد الفرنسيين كيف يقومون بحركة التفاف مضادة برجوعهم الى اصول نابليون في القتال مع وجود احتياطى كبير .

واختار الفرنسيون إذ ذاك بحكم المقادير سياسة الصدفة التى تبحث فى إيجاد الفرص التى يستطيع فيها احتياطى محفوظ فى الخلف أن يضرب العدو ضربة حاسمة فى الوقت والمكان المناسبين بدلا من وضع مجموعة الجيش فى خطوط القتال مرة واحدة ولكل جزء منه ـ منذ اللحظة الأولى التى وجه فيها ـ عمل بالنسبة الى خطة موضوعه قبل أن تكتشف قوات العدو .

وفي طوال هذا الأمد الذى أتحدث عنه هنا تجد چوفر بمجرد أن يدفع احتياطيه الى ناحية مايعد آخراً مكانه ، وهكذا باستمرار في انتظار الفرص حتى جاءت الفرصة النهائية .

كانت فرنسا قد أعلنت الحرب فى الثالث من أغسطس وفى الصباح التالى أعلن چوفر بيانه الآتى .

« إن الحرب قد أعلنت وقد ركنت إيطاليا الى الحياد وسيحاول الالمان نشر دعاية كاذبة ليضطرونا الى خرق حياد البلجيك ولذا فانه من المحظر على جميع القوات الفرنسية حتى جماعات الكشافة مشاة وفرسانا لحين صدور أوامر أخرى أن يتخطوا الحدود البلجيكية أو السويسرية(١) وفى الخامس من أغسطس عند ماطلبت بلجيكا معاونة الحلفاء بعد أن تخطت الجيوش الالمانية الحدود البلجيكية أصدر چوفر الأوامر التالية:

١ ـ يسمح للطيارات الفرنسية بالتحليق فى جو بلجيكا غير انه لما كانت الاوامر التى صدرت حتى أمس تحتم على البلجيكيين إطلاق النار على كل طيارة وربما لم تصل بعد الاوامر التى تلغى هذه فعلى ذلك نلفت نظر قواد السفن الهوائية باتخاذ الحيطة اللازمة فى الارتفاع في الجو الى أبعد المدى الذى تصل إليه القنابل .

٢ ـ تتقدم كشافة السوارى فى الأراضى البلجيكية كذلك غير أنه ليس من الممكن مدها بفصائل كبيرة .

---

(١) وللحيطة أمرت القوات الفرنسية المتقدمة بالعودة الى مسافة عشرة كيلومترات من الحدود .

٣ ـ جميع الوحدات التى تدخل الاراضى البلجيكية فيما بعد يجب أن يلاحظ أفرادها وجودهم فى مملكة محالفة .

ولقد رفعت هذه الاوامر من رأس الحكومة الفرنسية وكشفت للعالم أجمع عن مبلغ قلقها ورغبتها الأكيدة فى احترام حقوق ومطالب إحدى حليفاتها . واذا كانت فرنسا قد فعلت ذلك آملة فى مغنم فليس ثمت أكثر من أن يأتيها بعطف واشفاق العالم المتمدين . والحقيقة أن المانيا قد انتفعت من هذا الاحترام المملوء بالشكوك والأغراض الذى أبدته فرنسا للبلچيك .

ولو كان من الممكن إعداد ترتيبات مبكرة كثيرة لجمع أخبار ما يحدث على الحدود البلچيكية لما أفلح الألمان فى مفاجأة الحلفاء في معركة مونز، ولتغيرت أقصوصة الحرب . غير أن شيئا من ذلك لم يحدث وكان أمام الألمان الوقت الكافى لاتمام استعداداتهم لأخفاء خطتهم قبل أن تتمكن القيادة الفرنسية من بحث السبل التى تمكنها من العمل .

وفى السابع من أغسطس تقدمت القوات الأمامية لجيش فرنسا المعسكر غرب بلفورت متقدمة فى الألزاس واحتلت ملهوزن غير أنها لم تستطع أن تدافع عن المدينة أمام قوات ألمانية تفوقها عددا ولذا تقهقرت في اليوم التالى .

وفي الرابع عشر من أغسطس كان الجيشان الأول والثانى وقوات الألزاس على أتم استعداد للتقدم ، واجتيحت أراضى الألزاس واللورين بالقوات الفرنسية واحتلت ملهوزن ثانية ، ووصلت القوات الفرنسية

إلى ضواحي كولمار واندفعت جماعات الكشافة الى الأمام فى اتجاه الرين، بينا احتلت سلسلة جبال الفوج شرقاً حتى دونون .

وحارب الجيشان الاول والثانى طويلا ليتقدما فى اللورين ، ومقاومة الألمان تزداد باستمرار ، وفي التاسع عشر من الشهر وصلا إلى ستراسبورج فقطعا بذلك خط المواصلات المستقيم بين ستراسبورغ ومتز . غير أنه قبل أن يتم تنظيم قوة الهجوم الأصلية اضطرت حوادث الشمال چوفر إلى أن يحول بعض قواته من الجنوب الى الشمال وبذلك أضعف الجيشين الأول والثانى ، وفى اليوم العشرين التقى الفرنسيون بالجيشين الألمانيين السادس والسابع وسقطت ضربة العدو على جناح الفرنسيين الشمالى بين ستراسبورج ومتز وارغم روبين ودى كاستلنو إلى التقهقر حتى المواقع التى تغطى نانسى ولينفل .

* * *

وفى شمال سيدان على الحدود بين البلچيك ولكسمبرج وضع قائد فرنسا في التجمع الأول قوات جنرال سورديه الراكبة فى ثلاث فرق ، وفى السادس من أغسطس تقدمت هذه القوات جنوبي الموز ووصلت في اليوم الثامن على بعد أميال قليلة من لياج دون أن تجد فى طريقها قوات كبيرة من العدو ، وارتد الفرنسيون ثانية نحو الحدود ، وعادوا يستكشفون أراضى الاردن في اتجاه نيفشاتو بين الحادى عشر والخامس عشر من الشهر . غير أن كل تلك العمليات قد أتت فقط بنتيجة سلبية حيث اكتشفت كل الحدود البلچيكية الشرقية دون أن ترى قوات ألمانيه

كبيرة تتحرك حول جناح الحلفاء الأيسر . ووجد الفرنسيون في ذلك تأكيدا لنظريتهم فى أن مثل هذه الحركة (حركة تطويق جناح الحلفاء) غير محتملة الوقوع . والحقيقة أن حملة سورديه كانت مبكرة قبل الوقت المناسب الذى يمكن فيه رؤية الألمان وهم يتقدمون من لياج بل ولم يستطع فرسانه أن يتقدموا لمسافات طويلة ليعيقوا تجمع الالمان ، بل والى جانب ذلك كان الفرسان الالمان كلما واجههم الفرنسيون يتقهقرون دون أن يسمحوا باختراق ستارهم ، ولذا وجد الفرنسيون صعوبة كبيرة فى نوال أية معلومات ما دام الألمان يواجهونهم بنيران بنادقهم ومدافعهم السريعة الطلقات .

وإن التجربة الأولى للاكتشافات التى قامت بها الفرسان لمسافات طويلة في الحرب الحالية قد أوضحت كيف يمكن بسهولة لعدو ، يحسن استعمال بنادقة ومدافعه السريعة الطلقات ، من أن يخفى تحركاته ما دام منظما تنظيما حديثا . ولم يلاق الفرنسيون جماعات كثيرة من الفرسان الألمان وانما لاقوا بدلا منهم نيران بنادق لم يتعرفوا الى مكانها ، ولم يكن فى وسعهم بينادقهم الخفيفة القصيرة أن يقابلوا العمل بمثله ، فضلا عن أن العين الحديثه لم يكن في استطاعتها أن تكشف ضباب الحرب .

وسبب طول المسافة بين القواعد الحربية فى فرنسا وبين الموز شمالى هاى وإلى أبعد من ذلك فى الشمال عند لياج ، حيث سار العدو ليعبر النهر ، أن بات من المحال على السفن الهوائية الفرنسية إذ ذاك أن تكتشف السبل التى يسلكها الألمان في تقدمهم . فقد كان فى شرق

الميز وأراضى الاردن غابات كثيفة تحول دون الفرنسيين ورؤية جموع الألمان المتقدمة ، وحتى الى أبعد من ذلك ، فان الألمان كانوا قد اتخذوا الحيطة لصيانة مشاتهم فدفعوا بهم الى التقدم فقط خلال الليل .

وقد كان يظن قبل الحرب أن الاستكشاف فى الهواء قد يجعل المفاجأة مستحيلة ، وأن القواد بمعاونة السفن الهوائية سوف لا يضطرون الى الحدس أو الظن — كما كان ولنجتون — بما يحدث على الجانب الآخر من التل . وبالتجربة فان قوة الاستعداد البشرى إنما تدعو عادة كل ما يقلل أو يبطل من مفعول الاختراعات الحديثة فى الحرب ، وكذلك التطورات السريعة فى التسليح التى قيل عنها أنها النتائج المباشرة والضرورية للاختراعات المدهشة . غير أنها فى الحقيقة إنما تصل إلى الغرض الذى خلقت من أجله ببطء . وفى هذه الاقصوصة التى أحدثكم فيها عن الاسابيع الستة الأولى من الحرب سوف تجدون مفاجأتين كل قد أحسن القيام بها وسارت كل منهما مع الأخرى جنبا إلى جنب وجميع ذلك مأساة كأبلغ ما يمكن ايجاده فى التاريخ الحديث .

ولم يكن فى الاستكشافات التى قامت بها قوات (سورديه) مايحول من رأى القيادة الفرنسية أن العدو محال أن يتقدم شمال وادى الموز . ولم يتلق الجنرال جوفر حتى الخامس عشر من اغسطس أنباء صحيحة عن قوات الالمان الكبرى التى تتقدم غربا من لياج ، ولذا نشر جوفر جناحه الأيسر وأعد العدة للهجوم فى الاردنيز ، حيث ظن الألمان ضعافا إذا كانوا حقا يتقدمون حول بروكسل . وتحرك الجيش الخامس ليعبر الحدود

البلجيكية عند ملتقى السامبر بالميز بين شارلرواه ونامور ورينانت، وقد تقوى قبل تحركه بالفيلق الثامن عشر الذى سحب من الجيش الثاني المتقدم في اللورين. والحقيقة أن جوفر قد أضعف قواته فى الجنوب بما لا يقل عن ستة فرق فقد سحب من الجيش الثاني أيضا الفيلق التاسع وفرقتى شمال أفريقيا اللتين أرسلتا اليه للاشتراك في حملة الألزاس، ثم دفع جوفر كذلك بالجيش الرابع الموجود بالاحتياطى إلى حدود لكسمبرج والبلچيك ليأخذ مكان الجيش الخامس المتقدم في الاردون مع الجيش الثالث، وأخيراً عرف على وجه التأكيد أن قوة كبيرة من فرسان الألمان قد عبرت الموز وأنها تتحرك نحو الغرب فى البلچيك، وكان من الضرورى أن تتخذ احتياطات ضد حملات العدو التى لا بد أن يحاولها إما ليعيق تجمع القوات الانجليزية القادمة فى طريقها إلى القتال وإما ليمنع المواصلات بين موانى القتال وداخل فرنسا. ولذا أرسل الجنرال داماد إلى آراس ليقود قوات التريتوريال الاحتياطية التى أضيفت اليها الفرقة الثامنة والثمانون من الأحتياطى بينما وضعت فرقتان من حامية باريس فى انتظار أى أوامر لتتحركا شمالا كى تنضما الى قوات الجنرال داماد وسنلتقى بكل تلك القوات إبان تقهقر الانجليز من موز.

ولم تتم كل هذه التحركات حتى اليوم الحادى والعشرين من أغسطس والى ذلك الوقت لم تكن القيادة الفرنسية تعلم شيئا عن قوات العدو التى يوجهها لملاقاة الجيش الفرنسى، بل وعلى الأخص عن تلك القوات التى يحركها شمال الموز فى البلجيك، ولم يكن للجنرال

جوفر أية فكرة عن الهجوم فقد اضطر الى اضعاف هجومه فى الجنوب. غير ان كل ذلك كان من الممكن معالجته بضربة حاسمة فى الشمال ولذا فقد ارسل قوات الاحتياطى المركزية كما أرسل الجيش الرابع الى الاردنيز على أتم استعداد للعمل إذ وجد أن العدو يتقدم بقواته شمالى الموز، وعلى أن يأتى الانجليز الى يسار الجيش الفرنسى الخامس إذا لم تكن قوات العدو كبيرة وبذلك يمكن الالتفاف حول جناح الألمان الايمن. والحقيقة أنهم كانوا يظنون أن الالمان ليسوا أقوياء لدرجة تكفى لوقاية قواتهم المتوسطة فى الاردن ضد أى هجوم في نفس الوقت الذى يقومون هم فيه بهجوم عنيف على ميسرة الحلفاء

وفى العشرين من أغسطس اكملت القوات الأنجليزية السريعة تجمعها جنوبى مايلج في فرقة من الفرسان وفيلقين من المشاة، كل في قسمين. وكان مجموع القوة سبعين الف مقاتل وفي اليوم التالى بدأت القوات تتقدم شمالا وتقدم فرسان الانجليز في اتجاه قناة ديكوندية شرقى مونز وعلى يمينها قوات جنرال سوردية الراكبة وفي اليوم الثانى والعشرين وصل الفيلقان الأول والثانى قرب مونز والفيلق الأول على اتصال بقوات لانريزاك اليسرى قرب فوين جنوب غرب شارلرواه. والى يمين شارلرواه كان الفليق الفرنسى الثالث بينا كان اللواء العاشر على ضفة السامبر بين شارلرواه ونامور وكان الفيلق الاول على خط الموز بين نامور ودينانت، تقويه فرقة من احتياطى شمال أفريقيا. والحقيقة أن كثيرا من قوات جوفر لم تكن قد وصلت بعد الى الميدان اذ كان بعضها

فى طريقه اليه ، ولذا فأنه عندما ضرب الالمان ضربتهم الأولى على جناح الحلفاء الايسر كان مجموع قوات الأنجليز والفرنسيين لايربو على مائتى وسبعين الف مقاتل بين رينانت وناموز ومونز يواجهون أربعمائة ألف مقاتل من الألمانيين ، وأخيرا فى الثانى والعشرين من أغسطس بدا للقيادة الفرنسية أنه من الممكن أن يطوق الفرنسيون الالمان شمالى مونز بتقدم الجيش الانجليزى والفرنسى الخامس للالتفاف حول نامور وللقيام بعملية التقدم شمالا إلى البلجيك تقدم الجيش الانجليزى إلى مونز فى الثامن والعشرين من أغسطس .

وفى صباح الثالث والعشرين من أغسطس وصلت فرقة الأحتياطى الثالثة والخمسون والتاسعة والستون إلى خط مونتجنيز — چومونت ، شمال شرقى مالياج وخلف الفاصل بين يمين الجيش الانجليزى وشمال الجيش الفرنسي مباشرة ، غير أن الالمان فاجأوا الفرنسيين بقوة وبعد ساعات قليلة لاول مرة فى تاريخ الحرب أخبر الجزال چوفر والسير جون فرنش بالخطر الدائم الذى يهدد جناح الحلفاء الايسر .

ولست أجد هنا خبرا من سير چون فرنش لأكشف عن مبلغ تلك المفاجأة فقد ذكر فى رسالة له :

« فى السادسة من صباح الثالث والعشرين من أغسطس صحبت قائدى الفيلقين الأول والثانى وقائد فرقة الفرسان إلى نقطة جانب الموقع وشرحت لهم موقف الحلفاء وكل ما استطعت أن أفهمه من خطة الجنرال چوفر ، وبحثت معهم إلى حد ماعن الموقف الذى يواجهنا وفهمت من

كافة المعلومات التى وصلتنى من القيادة الفرنسية العليا بأن فيلقين من الألمانيين على أكثر تقدير وربما تعززهما فرقة من الفرسان فى مقدمة مواجهتى ، وقد حذرنى چوفر من أن يقوم الالمان بحركة التفاف حول جناحى وقد أكد لى هذا الرأى بأن كشافته لم تلاق أية مقاومة في عملها وكادت تكون ملاحظات قواتى الهوائية كذلك أيضا »

وحوالى الساعة الثالثة بعد الظهر الاحد الثالث والعشرين من أغسطس بدأت التقارير تصل إلى بأن العدو يهاجم خط مونز بقوة .

والحقيقة أن يمين الفرقة الثالثة التى يقودها الجنرال هملتون في مونز كان في بقعة معرضة للخطر . وقد أشرت إلى قائد الفليق الثانى أن لايبقى الجنود طويلا فيها على أن يسحب قواته خلف مونز اذا كانت جموع الالمان تهدده وعمل ذلك قبل المساء وفي الساعة الخامسه بعد الظهر تلقيت من الجنرال چوفر رسالة برقيه (١) لم أكن أنتظرها يقول فيها إن ثلاثة فيالق من الجيش الالمانى (٢) وفيلق من الاحتياطى يتحركون في اتجاه الجيش الانجليزى من الأمام بينما كان الفيلق الثاني الالمانى يقوم بحركة التفاف من اتجاه تورنى ولقد أخبرنى كذلك بأن فرقتى الاحتياطى الفرنسى والجيش الفرنسى الخامس يتقهقرون حيث احتل الالمان جميع معابر السامبر بين شارلواه ونامور منذ الامس .

---

(١) أرسلت من فرنش الى القيادة العامة الساعه ٥ ووصلت القيادة الساعه ١١

(٢) كانت الفيالق الثلاث الألمانيه التى تتقدم هى الفيلق الثالث والتاسع والرابع وكان الفيلق الثانى جنوبى جرامونت والفيلق الاحتياطى الرابع جنوبى هال والفيلق السابع فى جيش فون بلو يواجه ميمنة الجيش البريطانى فى بتسى .

الفصل الثالث

سير الالمان فى البلچيك

ثم تجمعت جيوش المانيا الثلاثة التى أعدت لمهاجمة جناح الحلفاء الأيسر ، الأول تحت قيادة (ڤون كلك) شرق ايكس لا شابل ، والثانى يقوده (ڤون بلو) بين مالمدى وكو بلنز ، والثالث تحت أمرة (ڤون هوزين) قرب برن - وكان عليهم أن يتقدموا فى البلجيك الاول شمال لياج والثاني فى هوى (Hoy) وعلى طول الشاطئ الشمالى لنهر الموز إلى نامور والثالث فى الاردن (Ardennes) وسلك كل سبلا عدة إلا أن هذه الاماكن الثلاث كانت تعين اتجاه طريق السير .

وكان على (ڤون كلك) أن يقوم بعملية التغطية النهائية لجميع الجوانب ، ونظرا لما كانت عليه مهمته من الصعوبة كانت قواته لاتقل عن سبعة فيالق من المشاة ، إلا أن جزءاً منها كالفليق التاسع الذى دفع به للهجوم على نامور لم ينضم إلى قوات ڤون كلك قبل الخامس عشر من أغسطس ، كذلك الأحتياطى التاسع لم يخط خطوة واحدة فى الأراضى البلچيكية قبل اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه بينا ترك الاحتياطى الثالث - كما سيرى فيما بعد - فى البلجيك حتى بعد تقدم الالمان فى الأراضى الفرنسية . .

وكان فيلق السوارى الثانى الذى يقوده (ڤون ديرمارى وينز)

يعمل فى مقدمة ڤون كلك إلا أنه بعد موقعة مونز كان تحت أمرة ڤون بلو الذى أسندت إليه قيادة مقدمة الجيشين الاول والثانى .

وعلى وجه ما ـ كان مجموع الجيش البروسي الذى ترك عند الحدود الشرقية ليحول دون تقدم الروسيين فى الأراضى الألمانيـة لايربو على الثلاث فيالق مع بعض الأحتياطى ، ويجب أن نذكر ذلك كى نستطيع تفهم الأدوار الأولى لحملة الميدان الغربى التى ابقى الألمان طوالهـا عينا ساهرة ترقب روسيا بينا يعملون هم لاتمام برنامجهم فى فرنسا .

وكان تقدم خط ڤون كلك ـ وهو أطول الخطوط الثلاثة ـ تعوقه قلعة ليبج الشهيرة ، ولذا لم يكن من الضرورى فقط أن يجتاز ڤون كلك ليبج بأسرع ما يمكن ، بل كانت الخطة الألمانية للهجوم تتوقف على سرعة التغلب على المكان ، إذ كان ضمن دائرة القلاع الحصينة خطوط المواصلات الحديدية التى تربط شمال فرنسا بشمال ألمانيا مخترقة بلجيكا ولا يمكن مد هـذه الجيوش الوفيرة العدد بالمؤن والذخائر الـكافيـة لتثبيت قدمها في الميدان ما لم تـكن هـذه الخطوط الحديدية فى قبضة السلطة العسكرية الألمانية .

وكان رفض البلجيكيين بالسماح لجيوش ألمانيا باخـتراق أرضهـم ما دامت بلجيكا على الحياد ـ فشلا كبيرا للسياسة الألمانية ، غـير أن الحوادث التى جرت بعـد ذلك كانت تظهر بوضوح أن الألمان كانوا يعدون العدة لأتمام برنامجهم سواء أذعنت بلجيكا لرغباتهم أم رفضتها ، إذ أن القوات التى هاجمت ليبج انما كانت من الفصائل المختلطة الموزعـة

على الحدود الشمالية الشرقية للبلچيك ،والتى القيت مقاليد قيادتها للجنرال (ڤون اميبخ) قائد الفيلق العاشر فى جيش ڤون بلو ، إلا أنهم لم يتركوه يعمل بمفرده بل عززوه بلودند ورف رئيس أركان حرب الجيش الثانى وثمت كان انتصار لودند ورف فى أول معارك الحرب الكبرى على أقوي حصون البلچيك

*
* *

وكانت الحرب قد أعلنت على فرنسا فى مساء الثالث من أغسطس وفي بكورة اليوم التالى تخطت الفرقتان الثالثة والرابعة من فرسان الجيش الألمانى الحدود البلچيكية لتعبرا نهر الميز عنـد (ڤيزا) غير أنهما أوقفتا بلواء من الجنود البلچيكيـة كان يحرس القنطرة ، ولم تستطيعا حتى اليوم السابع من أغسطس أن تتقدما غربا لتغطيا الهجوم على ليبچ ، وكذلك على طول وادى الميز شرقا ، وفى الاردن كانت الفرقتان الخامسة والتاسعة من الفرسان الألمان أيضا تكونان معا ستارا لاخفاء تجمع الجيشين الثانى والثالث . والحقيقـة أن جنود هاتين الفرقتين وجنود آلاى من الحرس الراكب استطاعوا بمعاونة السيارات المسلحة وفرق البيادة ذات الدراجات أن يجتازوا الحدود البلچيكية بسهولة ، وبينا كان الفرسان يتقدمون كانت قوات المشاة التى يقودها ڤون اميبخ تندفع نحو ليبچ من الشمال والشرق والجنوب وبعد محاولة صائبة أفلح المشاة فى رد نقط البلچيكيين الخارجية إلى الوراء .

وفي اليوم التالى ـ ٥ أغسطس ـ استطاع ڤون اميبخ الوصول

AUC - LIBRARY

بقواته إلى خطوط القلاع على ضفة الميز اليمنى بخسائر قليلة .

ثم بدأ الهجوم على ليبج فخلف بذلك أثرا بالغا فى روح البلچيكيين المعنوية .

وليس واجبى هنا أن أصف في إسهاب حملة الألمان القاسية على بلچيكا ، فقد كفانى مؤونة ذلك أقاصيص أولئك الذين رأوها رأى العين ، وقد ترجع عوامل الوحشية والقسوة التى اندفع الألمان اليها إلى الخسائر الفادحة التى تكبدوها فى حصار ليبج ، وإلى ماطبع عليه الجنود البروسيون من الوحشية والغضب الذى تملكهم حين تجاسرت بلچيكا على الوقوف فى سبيل تنفيذ أغراض آله الحرب فى أوروبا ، لذا يمكن أن يقال بأن كل هاتيك التدميرات على هذه الصورة المفزعة القاسية انما تعزى لوقوف بلچيكا فى سبيل جيوش المانيا ، والحيلولة دون تقدمها ، غير أن كل الأخبار التى يمكن استخلاصها من تلك الأقاصيص انما تدفع بالباحث إلى الظن بأن سبب تلك التدميرات لا يعزى فقط إلى وقوف بلچيكا فى سبيل تقدم الألمان ، بل يعزى الى أنها كانت ناحية من الخطة الألمانيه المرسومة كما كان التجمع عند الحدود احدى هذه النواحى أيضا .

والحقيقة التى لاسبيل إلى انكارها أن هذا الضغط على البلچيكيين إنما أراد به الألمان مجرد الارهاب ليتهيأ للقوات الأصلية تحقيق الغرض الذى تقصده .

وكان الهجوم على ليبج فى ليلة ٥ — ٦ أغسطس في خمس فرق

وكان قائد القوات البلچيكيه الجنرال (ليمان) قد قوى بالفرقة البلچيكيه الثالثة قبل مهاجمة الألمان بقليل ثم أعدت له الخنادق وعززت الفواصل بين القلاع ، إلا أن ڤون ابيخ وطدعزمه على احتلال الخنادق بسرعة فى هجوم ليلى بعد القيام بعملية تدمير قصيرة المدى ، غير أنه ضحى في سبيل هذه التجربة الطائشة غاليا ، ولكن الألمان كانوا يرون كسب الوقت اثمن من الأرواح البشرية ، ومع ذلك فشل جناحا الألمان الشمالى والجنوبى وإن كان الجزء المتوسط من مقدمة الألمان قد أفلح إلى حد مافي استمرار هجومه ، إلا أن قائده المنتصر قتل ولحق به قائد الاورطة الامامية ، وإذ ذاك بدأت تسود الجنود روحا غريبة من الاضطراب ، وخلال هذه الثورة النفسية العنيفة وصل لودندورف .

والحقيقة أن لودندورف بمفرده هو الذى انقذ الموقف ، فقد استطاع بدرايته في شئون القيادة ان يدفع الجنود إلى الامام نحو غايتهم ، وبعد قتال عنيف فى القرى المظلمة لساعات كثيرة أخذت القوة تتقدم وقد بات عدد رجالها لايربو على الألف والخمسمائة جندى

وعند ما بزغ نور يوم ٦ أغسطس استحضرت بعض المدافع وشق المشاة طريقهم بين قلعتين من القلاع الشرقية ، غير أن البلچيكيين كانوا حتى تلك اللحظه يحتلون القرى الموجودة وسط دائرة القلاع وكذلك مدينه لييج نفسها ، ولم يكن فى استطاعه الألمان بأية وسيلة أن يتقدموا لأحراز النصر ففد سقط الكثيرون منهم أعياء ، ولذا بقيت المدينه بعيدة عن يد الألمان حتى صباح السابع من أغسطس عند ما قصدها

لودندورف فى سيارة من السيارات المسلحه على رأس قواته لمحاصرة قلعتها التى تحميها شرازم صغيرة من البلچيكيين ، لأن ليمان عند ما رأى أن خطوط دفاعه قد انتزعت الواحد تلو الآخر أمر الفرقة البلچيكية الثالثة بالانضمام للألتئام للقوات البلچيكية المرابطة غرب ليپج على مسافة ٣٠ ميلا تقريبا حتى لاتقع فى أسر الجيش البروسى، على أن يدافع هو عن القلعة لآخر لحظة ليحول دون الألمان واستخدام الخطوط الحديدية المارة بالمدينة .

ولقد اسفرت الخسائر الفادحه التى لاقتها مشاة ڤون اميبخ عن أنه من الخطل محاولة اقتحام خطوط الخنادق بالمشاة قبل القيام بعملية تدمير طويلة الأمد .

وعندما أمكن احتلال المدينة ترك أمر اخماد نيران القلاع إلى مدافع الهاويتزر وشق الطريق لمدافع الميدان الضخمة ـ التى لم تصل حتى يوم ١١ ـ اذ وجهت مدافع الهاويتزر إلى القلعتين الموجودتين شرقى نهر الميز حيث سقطت أولاهما فى التاسع من أغسطس بينما سقطت الاخرى فى العاشر منه وفى الثانى عشر بدأت مدافع الحصار بمفرقعاتها تحطم صلب القلاع وتثيره كالغبار ، أما قلعة لينسن التى كانت تحمى الطريق الحديدى بين ليپج وبروكسل فقد لبثت تدافع بشجاعة حتى اليوم الخامس عشر من الشهر ، وهناك قبض على ليمان بعد أن سقط فى اغماء طويل من تأثير آخر قنبلة قوضت البناء . .

وارسل دفاع ليپج المجيد صياح الاعجاب فى طوال ممالك الحلفاء ،

إلا أن التأثير الحربى لذلك الدفاع قد ضوعف من أثره إذ أنه لم يكن من المستطاع فى ذلك الوقت تقدير — على وجه الصواب — أن مهارة الألمان فى وضع خطة الهجوم على المكان قد عوضت من التأخير الذى سببه دفاعه ، فلقد استمر الحصار من مبدئه إلى منتهاه احدى عشر يوما ، وطوال غالبية هذه الايام كانت قوات ڤون كلك تتجمع إذ كان الكثير منها كما قدمت يفد من أماكن بعيدة ، ولم يكن ڤون كلك نفسه قد أعد عدته للتقدم فى اكس لاشابل حتى العاشر من الشهر . .

والحقيقة أن ڤون كلك انتظر حتى الثالث عشر منه وكانت أكثر من أربعة مستنقعات تشغل المسافة بين الأماكن المجاورة لاكس لاشابل ونهر چيت ، وفى منتصف الطريق بين ليپج وبروكسل ، غير أن ڤون كلك استطاع أن يصل الى النهر فى اليوم السابع عشر من أغسطس ومن المحتمل أنه لو كان الطريق فسيحا أمام قوات كلك دون أن يعيق التقدم دفاع ليپج لوصل إلى النهر قبل ذلك بثلاثه أيام كامله إذ لم يكن من المرغوب أن يسير قبل أن تتجمع قواته كلها لملاقاة قوات بلچيكيه مازال لها نشاطها مهما كان عددها صغيرا لو قورنت بقواته .

وحتى لو فعل هو ذلك ، فقد كان من واجبه أن ينتظر حتى يتم أعداد قواته وتجمعها قبل ان يتقدم نحو الجنوب ليطوق جناح الحلفاء الايسر ، ولذا فأنه بغض النظر عن الخسائر التى تكبدها الألمان فان دفاع ليپج لا يمكن ان يقدر بأكثر من تأخير ڤون كلك لثلاثة أيام عن الموعد الذى كان واجبا عليه أن يصل فيه إلى ميدان القتال فى مونز

ولم تمنع ليبج استمرار تقدم الالمان .

وقد يبدو لاول وهلة أن هذا التأخير قديوازى — بصعوبة زائدة تضحيات أولئك الشجعان الذين دافعوا عن الحصون البلجيكيه ، إلا أن الحقيقة التى لاسبيل إلى إنكارها أن ذلك التأخير لايمكن ان تقدر قيمته فلو وصل ڤون كلك شمال موبيج قبل وصوله اليها بثلاثة أيام لكان من الممكن أن يقع فى قبضة يده الجيشين الانجليزى والفرنسى الخامس اللذين كانا كما نعلم يجهلان كل شئ عن قوته واستعداده ولذا كان من الصعب عليهما أن يفلتا من الفناء لو بقيا فى مكانهما ، ولم يكن أمامها غير التقهقر ،وتقهقر الجيشان مباشرة دون أن يكبدا العدو أية خسائر أو حتى يعوقا تقدمه إلى وقت قليل يستطيع معه جوفر أن ينتهز الفرصة .

غير أن هذا ليس كل مافعله دفاع ليبج للحلفاء ، فان وقوف بلجيكا بجيشها الصغير فى وجه أكبر دولة حربية فى أوربا إذ ذاك وهى تحاول اجتيازها بجيش يفوق رجالها عددا وعدة ، ووقوفهم طوال هذا الامد من أجل الوطن والملك كان ذلك مشجعا لكل جندى يخفق فوق رأسه علم من أعلام الحلفاء ، بل وان شمم جلالة البرت الاول ملك بلجيكا وإباءه كانا المثل الاعلى الذى ضربته بلجيكا الصغيرة للحلفاء ، كما وأن التضحيات التى قدمها الشعب البلجيكى لهيكل الشرف كانت سببا فى أن المانيا أضحت تقاوم قوات معنوية لم تدر بخلد الألمانيين حين تكالبوا على تنفيذ أغراضهم الحربية . .

ولقد خدع الشعب الالمانى حقا حين اعتقد بأن الأنجليز سوف

يهاجمون المانيا مخترقين البلچيك دون أن يحترموا هم أيضا حيادها ، ولم تك هذه الدعاية الألمانية لأثارة العالم على انجلترا ، وإنما كانت لكى تبرر للالمانيين خطتهم العسكرية ، ولم يكن هذا غير مستبعد أن تأتيه حكومة أوتوقراطية لقنت رعاياها ودربتهم من عصور غابرة على التفكير كما تريد هى ، وكان فشل الألمان في تفهم فسيولوچية أعدائهم إحدى نقط الضعف في التسليح الالمانى ، كانت المانيا مسئولة عن اغراق (ليزوتانيا) ، وكانت كذلك مسئولة عن إطلاق الرصاص على مس كافل ، وتدمير المدن الآمنة ، واطلاق القنابل على باريس ، وغير ذلك من سبل الارهاب التى كان أثرها الحربى الوحيد انها ضاعفت من أعداء المانيا وشجعتهم على مكافحة هذا الكابوس المريع الذى يهدد المدنية . .

والحقيقة أن تنظيم وخطط القيادة العليا الالمانية كانتا من نواحى كثيرة على أكمل وجه . . ولن احاول هنا الخوض فى بحث محاسن قواد الالمان ولكنهم مع ذلك فشلوا لأنهم كانوا يعتقدون أن هناك قوى عليا فى الحرب يمكن الاتكاء على ساعدها أكثر من استغلال القوى الطبيعية فنيا فى الحصول على فوائد حربية .

وقبل أن تسقط آخر قلاع ليبج ارسلت الفرقتان الثانية والرابعة من فرسان الجيش الألمانى ، حيث كانتا تعطيان الحصار من الغرب والجنوب لاستكشاف مكان الجيش البلچيكى وتقدير ، قوته وفى الوقت نفسه لحماية المعابر فوق نهر جيت (Gette) لمرور قوات ڤون كلك التى أكملت تجمعها حول اكس لاشابل ، وكان الباچيكيون يرقبون معابر

جيت قرب ديست جنوبى جودين بقوات منصفلة من جيشهم الاصلى المتجمع بين جيت وديل فى فرق خمس من المشاة منهاجنود الفرقة الثالثة التى فرت فى اعياء وكلل من ليبج ، ثم فرقة آخرى من الفرسان ، أما بقية القوات البلچيكية وهى الفرقة الرابعة بأكملها فقد أرسلت إلى نامور ومعابر الميز خلف القلاع مباشرة . .

وفى اليوم الثانى عشر هاجم الفرسان الألمان الجيش الباچيكى قرب هيلين غير أنهم ارتدوا على اعقابهم بعد قتال عنيف ، ولا بد أن يكون ڤون كلك قد تبين له أنه لابد من قوات المشاة لكى يتمكن من رد البلچيكين إلى الوراء ولذا كان من المؤكد أنه لابد أن يتغلب بقواته على كل مقاومة تصادفه فى طريقه .

وفى السابع عشر من الشهر اقترب ڤون كلك من جيت بأربعة فيالق الفيلق الثانى والثالث والرابع والتاسع ، وعلى جناحه الأيسر الفرقة الثانية من الفرسان وعلى مسافة قليلة فى المؤخرة كان الفيلقان الثالث والرابع من قوات الاحتياطى (١) يتبعانه .

وفى بكورة يوم ١٨ هاجمت مقدمة ڤون كلك الخطوط البلچيكية وافلح الالمانيون فى شق الطريق لهم فى ميسرة البلچيكيين عند هيلين

---

(١) لم يكن فيلق الاحتياطى التاسع قد وصل بعد ، أما بقية قوات الجيش الاول التى كانت تهاجم ليبج فقد انضمت اليه فى السادس عشر ـ وفى اليوم السابع عشر ـ ذكر الأصل الأنجليزى أن قوات ڤون كلك وضعت تحت أمرة ڤون بلو كما كانت قوات الفرسان التى يقودها ڤون دير مارويتز عدا الفرقة الثانية الراكبة

وديست ، أما فى الجنوب فقد لقوا مقاومة عنيفة ولم يقع خط النهر با كمله فى قبضة ڤون كلك حتى المساء ، وبدا إذ ذاك بوضوح لقائد البلچيكيين أنه يواجه جيشا يربو عليه فى العدد ، وان الفرسان الألمان يعملون حول جناحيه باستمرار ، وأنه لاسبيل إلى أية معاونة من الأنجليز والفرنسيين فى ذلك الوقت كى يستطيع الأستمرار فى الدفاع دون أن يعرض قواته للفناء ، والحقيقة أن فرسان « سورديه » ظهروا فى اليوم الثامن عشر قرب جمبلو « Gambloux » غير أنهم أوقفوا ثانية بنيران مدافع الماكينة ولذا اضطروا إلى التقهقر دون أن يقفوا على أية معلومات عن قوة الجيش الألماني ، ثم ترك الجيش البلچيكى بمفرده في الميدان أمام قوات ڤون كلك فاما أن يقهقر واما أن يقع فى قبضة الألمان ، وعلى ذلك اضطر قائد البلچيكيين إلى التقهقر إلى ماوراء دييل فى ليلة ١٨ ـ ١٩ أغسطس ، وفى صباح اليوم العشرين من الشهر كان قد وصل وسط دائرة قلاع انتورب ، وبذلك أصبح طريق ڤون كلك مأمونا وابتدأ يتقدم بكل نشاط ، غير أنه كان ـ إلى حدما ـ في شبه ضباب يحيط به لان ادارة المخابرات الالمانية لم تخبره شيئا عن الجيش الانجليزى ، ولم يك يعلم أهو في البلچيك أم في فرنسا وعلى ذلك سار ڤون كلك وهو على أتم استعداد للقتال سواء كان ذلك في الغرب أو في الشمال الغربى . .

وفي اليوم التاسع عشر مر الفليق الثاني بعد مقاومة قليلة مع قوات صغيرة من البلچيكيين باير سشوت ، وكانت الفرقه الثانية السوارى تتبعه عن كثب وتحمى كذلك جناحيه حتى يستطيع أن يدور حول

بروكسل بينما كان الفليق الرابع يسير نحو أينين «Enghien» والثالث إلى هال والتاسع إلى برين، أما فيلق الأحتياطى الثالث وآلايات لاندفير Landwehr في جيش ڤون كلك فقد أرسلت الى أنتورب لمراقبة الجيش البلچيكى وحفظ خطوط المواصلات، وتبع الفيلق الأحتياطى الرابع الفيلق الرابع من الجيش العامل فى اتجاه بروكسل.

وفى اليوم العشرين تم تجمع القوات الأنجليزية جنوبى موبيچ، وعلم الالمان أن الانجليز لن يرسلوا قواتهم إلى البلچيك غير أنهم كانوا يجهلون كل شئ عن تحركاتهم، وفى ذلك اليوم أبرق مولتكه الى ڤون كلك يقول « أرسلت قوات انجليزية الى بولونيا ويجب أن يلاحظ تقدمها من ناحية ليل ويعتقد أن إنزال قوات انجليزية تشغل مساحات كبيرة لم يحدث بعد. »

وفي صباح يوم ٢١ أغسطس انتشرت قوات ڤون مارويتز الراكبة وكانت الفرقة الثانية قد انضمت اليها - على طول المنطقة غرب بروكسل فى اتجاه جرامونت تبحث عن الأنجليز الذين يتقدمون من ليل، بينما كان فون كلك - وكله يقين بأن الأنجليز سوف لايأتون من اوستند أو التورب - يتقدم ليتمكن من القتال إما فى اتجاه ليل وإما فى اتجاه موبيچ، وكان اتجاه فيلقه الثانى بروكسل والثالث نحوهال والرابع الى اينين أما التاسع فكان يتقدم نحو براين لالود Braine L,allaud ..

وبينما كان ڤون كلك يتحرك حول بروكسل احتلت قوات ڤون بلو المتقدمة فى الثالث عشر من أغسطس الجسر الوحيد للسكك الحديدية

التى تعبر الميز بين نامور وليبج عند هوى وايتدأت تعبر النهر الى الضفة اليسرى ، إلا أنه كان على الجيشين الثانى والثالث أن يخترقا الاردن إذ فى استطاعة الجيش الثانى ـ الذى لابد أن فيلقيه السابع والعاشر قد تأخرا فى عمليات ليبج أن يعبر الميز من نقط قليلة فقط . غير أنه لما كان على هذين الجيشين أيضا أن ينتظرا وصول قوات ڤون كلك ، لم تؤثر كل هاته الصعاب فى خطة الالمان ، وفى صباح يوم ٢١ وصل الجيش الثانى فى أربعة فيالق ونصف (١) الى شمال النهر وهو يتحرك فى اتجاه الجنوب الغربى فى انحناء وعر يمتد من چيناب ، (Genappe) حيث كان جناحه الايمن يلامس جناح ڤون كلك الأيسر عند چمبلو على بعد أميال قليلة من نامور التى كانت على وشك أن تهاجم بفيلقين المانيين (٢) .

وفى نفس الوقت كانت فيالق ثلاثة (٣) من الجيش الالمانى الثالث تتقدم فى الاردن في اتجاه الميز على جانبى دينانت وعلى ذلك فقد كان هناك ثلاثة عشر فيلقا ونصف الفيلق من الجيش الألمانى تغطيها جموع كثيفة من الفرسان تشغل مواجهة ٧٥ ميلا تمتد من جرامونت على يمين هوى إلى چمبلو في اتجاه دينانت على أتم استعداد لسحق الجيشين

---

(١) الفيلق السابع والعاشر والعاشر الأحتياطى ونصف الاحتياطى السابع وفيلق الحرس .

(٢) احتياطى الحرس والفيلق الحادى عشر .

(٣) الفيلق الثانى عشر من الجيش العامل والفيلقان الثانى عشر والتاسع عشر من الأحتياطى . .

الأنجليزى والفرنسى الخامس .

وفي صباح الواحد والعشرين من أغسطس بينما كانت ثلاثة فيالق من الجيش الفرنسى تتقدم الى مراكزها على السامبر والميز وقوادها يتوقعون تتمه تقدمهم بمعاونة الانجليز للوصول الى جناح القوى الالمانية التى كان من المؤكد أن تتقدم في البلجيك شمالى الموز ، كان الفليق الباقى من هذا الجيش - الفيلق الثامن عشر - لايزال يتقدم شمال اڤيسنس وعلى بعد كبير من القوة الاصلية كما كان الكثير من فرق الأحتياطى، وكان الجيش الأنجليزى كذلك يقيم معسكراته فى جنوب موبيج متقدما الى الميز وهو يجهل كل ماخطه له القدر فى صفحة المستقبل .

والحقيقة أنه قبل أن يطلق الفرنسيون والانجليز - فى الجناح الايسر - طلقة واحدة كانوا فى خطر ، فقدربح العدو كل الوسائل المعنوية التى تمكنه من الفوز اذكان يسير متقدما الى الأمام لتحقيق غايته بكل قسوة دون أن يحاول التغير من خطته ، وارغم القادة الفرنسيون ازاء الحوادث التى لايستطيعون التحكم فيها الى تغيير خطتهم في اللحظة الاخيرة ولم يستطيعوا إلا بعد طويل وقت أن يعوضوا كل هذا الوقت الذى أضاعوه في سبيل هذا التأخير .

ولقد أوضحت هاته التحركات الأولى بالبرهان وبالمعارك أصول هاتين الفكرتين الحربيتين اللتين لبثتا أمدا طويلا قبل الحرب مثارا

للجدل والنزاع (١) وبالنسبة الى نظرية الألمان الحربية فقد دربوا فى بدء الحرب وفى أقصر وقت ممكن كل تلك الجموع الكثيفة التى كانت تتقدم بلاشفقة ولا رحمة الى الموقعة الحاسمة . . الى الغرض الوحيد من كل تلك المناورات التى حاربوا فيها وانتصروا ، والحقيقة أن معرفة الألمان للعدد اللازم للفوز كانت نتيجة دراسة عميقة لخواص جيوش الحلفاء وقوتها ، وكذلك ، دراسة الأرض التى سوف يقاتلون فيها الاعداء لأول مرة بشجاعة بل والى أبعد من ذلك لمفاجأتهم . .

وكانت نظريه الفرنسيين كما قدمت هى ابقاء احتياطى قوى وتوزيعه الى المعارك كلما سنحت الفرصة لذلك سواء أكانت عن خطأ الألمان أم نتيجة انتصار أجزاء الجيش الاخرى ، ولقد اخطأ الألمان حقا وانتهز جوفر الفرصة كذلك ، غير أنه لم يبدأها إلا عند ما استعاد الألمان مكانهم واضطر قائد الفرنسيين أن يتناسى خطته الاولى للهجوم فنشر جناحه الأيسر نحو الشمال وقواه بفصائل متحركة من جناحه الأيمن ثم بعثر قواته الأحتياطية على طول خط القتال وعمل على ايجاد قوات نشطة جديد ، وفى ابان أعماله هذى كان الألمان يتقدمون وفق خطتهم التى قرروها قبل ذلك بكثير .

وعلى هذا الجناح الايسر كان الفرنسيون والانجليز يحاولون العمل ضد جيش مندفع بقوات كثيرة على أكمل استعداد للقتال .

---

(١) لم يذكر مؤلف الكتاب شيئا عن هاتين الفكرتين والمظنون أن المؤلف يقصد بها القتال فى جبهتين متباينتين

الفصل الرابع

نامور ـ دينانت ـ السامبر

كان الجيشان الأنجليزى والفرنسى الخامس قد تجمعا في نفس المنطقة التى جمع فيها نابليون الكبير قواته فى حملته الأخيرة ، وسلكت قوات ثون بلو الى الموقعة نفس الطرق التى اخترقتها في عام ١٨١٥ قوات بلو خر كما طرقتها جنود ولنجتون وغيره من القواد الذين قادوا جنودهم الى الحرب فى هذه الميادين، وكانت معابر السامبر التى وقف الجيش الفرنسى الخامس يدافع عنها فى صباح الحادى والعشرين من أغسطس عام ١٩١٤ قد وقفت عندها مشاة نابليون أيضا ترد عنها البروسيين قبل ذلك بقرن كامل ، وبلغ ولنجتون في بروكسل أخبار هذا الدفاع فدفع بجنوده الأنجليز الى ميدان « كواتربرا » (Cuatre Bras) سالكة نفس السبل التى سار فيها جناح ثون كلك الأيمن في كواتربرا ولينى ، وبعثر نابليون قوات بلوخر الألمانى وعلى مرمى سهم منها وضع لأنرينزك نقطه الامامية على السامبر الا أن القوات الفرنسية كانت هذه المرة قد اتجهت لمسافة اميال قليلة نحو الشمال الشرقى ، وكان ولنجتون قد احتل بقواته مونز فى بدء معارك عام ١٨١٥، ثم مر قرن إلا قليلا وجاء الأنجليز مرة ثانية فى طريقهم الى البلچيك فاخترقوا ميدان مالبلا كويت الى مونز ،وقبل أن تستعر نيران المعركة كانت كشافة الأنجليز قد اندفعت شمالا حتى واترلو واخترق فرسان جناحى ثون كلك السبل الى خنادق الانجليز ثم التقى

الجيشان وجها لوجه في مونز ، غير أن تغييرات عدة قد بدلت من المكان منذ أن رآه الفرنسيون والالمان والانجليز ، فقد رأى نابليون عندما سار الى السامبر فى حملته الأخيرة وراء سلسلة التلال المنخفضة التى تحد الوادى من الجنوب مساحات فسيحة من الاراضي المنزرعة فى وسطها بقع سوداء كانت هى القرى التى يقطنها الفلاحون والغابات التى يقطعون منها أخشابهم ، وهناك بجانب معابر النهر كانت المدينة الصغيرة وكأن نابليون اذن قد رآها مملكة فسيحة ذات أرض خضراء ترويها نهيرات صغيرة ولكن الارض كانت غير الارض . عند ما جاء الانجليز هذه المرة الى جانب الفرنسيون يواجهون الألمان.

فى الاسبوع الثالث من أغسطس عام ١٩١٤ كان الجيش الألمانى في تقدمه يشغل أماكن مازالت لها بقية من صورتها التى كان لها منذ القدم ، بينا وجد الفرنسيون والأنجليز انفسهم في أماكن لم يشهدها غيرهم فى التاريخ من قبل ، اذا كان وادى السامبر قد غيره تماما التقدم الصناعى في جنوب البلچيك وانتشر حول مدينة « شار لرواه » الصغيرة من الشمال والشرق والغرب عشرات المناجم وافران الخزف ومصانع الزجاج تحيط بها هالة متسعة من أكواخ المعدنين ومنافذ الدخان المخروطية الشكل كالأهرام ، ثم اضافت الصناعة مظاهر جديدة لتلك الأرض ، فقد أنشئت قنال صناعية لتصريف مياه المصانع فى السامبر شمال شارلرواه بأميال قليلة حيث تلتقى القناة الصناعية بالنهر الممهد منذ القدم ، وعلى بعد ست وعشرين ميلا من ملتقى السامبر

تتجدد ثانية تلك الصورة الصناعية عند موتز ، وتمتد نحو الغرب على طول قنال كوندى .

وعلى العموم فان تلك البقعة كانت الى حد بعيد لا تصلح كمنطقة للدفاع لان تحركات المدافعين الطليقة يعوقها ازدحام الأماكن الصناعية وتقاربها وكان مدى مدفعيتهم تحدده تلك الأبنية المتراصة التى كانت من أماكن متعددة على طول الميدان تعرقل امكان مراقبة المهاجمين ، غير أن ازدحام المنطقة بالسكان لم يكن بمفرده كل الصعوبات التى لاقاها الحلفاء فقد كان السكان يكتظون فى الطرقات الضيقة ويعوقون بعرباتهم المحملة تقدم الجنود ، بل كان منهم أيضا أولئك الذين اندفعوا بلا مأوى في وجه الألمان يحمونهم من طلقات بنادق الانجليز والفرنسيين . والحقيقة أن الحلفاء لم يقدموا إلى هذا الميدان الغريب للدفاع ، فلقد غطى كل من الجيشين مقدمته بالكشافة على أمل أن يتقدم إلى الشمال على طوال الأرض المكشوفة بعيدا عن منطقة المناجم ولكنهما اضطرا إلى أن يخوضا غمار الحرب مع عدو يفوقهما عددا وعددا وابتكارا (١) .

وكان تقدم الألمان فى البلچيك قد صيَّر ثون بلو فى الحادى والعشرين من أغسطس أقرب إلى الحلفاء من قون كلك فكان الجيش الثانى هو الذى سبق الألمانيين في الوصول ، وعلى ذلك فمن الواجب علينا أن نتتبع تلك العمليات الحربية التى قام بها قبل أن نبحث تلك التى قام بها

---

(١) يقصد هنا بكلمة ابتكار الكلمة الانجليزية Initiative

الجيش الاول حيث كانت نامور قاعدة الحلفاء . والحقيقة أن نامور فى مجموعها إنما هى قلعة حصينة تغطى ملتقى الميز بالسامبر وقد وضع تصميمها وفق ذلك الذى شيدت على منواله حصون ليبج ، وكانت التجربة التى عالجها الألمان في هجومهم على ليبج قد وضحت لهم أثر نيران مدفعية الها وتزر الثقيلة فى أعمال الميدان الدائمة ، ولذا لم يكن من الضرورى ولا من الواجب أن تكرر عملية اقتحام البيادة لخطوط القلاع ، ذلك الأقتحام الذى كلف الألمان غاليا عندما حاولوا الأندفاع نحو استحكامات البلچيكيين . وكانت مدفعية الحصار الثقيلة قد صحبت فيلق الحرس الاحتياطى من مشاة ڤون بلومن ليبج في تقدمه إلى نامور ، غير أنه أمد كذلك بأسلحة أخرى لاعدد لها ، فقد كانت النمسا قبل الحرب قد نهجت منهج ألمانيا فى اعداد مدفعية ضخمة للحصار قطر فوهتها ١٢ بوصة ، واستعار الالمان أربع بطاريات من حليفتهم فوصلت كولون في منتصف شهر أغسطس وبدأت تعمل فى تدمير حصن نامور من الثانى والعشرين من الشهر .

وفي الوقت نفسه اخترق الألمان نقط البلچيكيين الخارجية . ودون أن يتقدموا الى الأمام كما فعلوا فى ليبج سكنوا الى الخنادق يحفون وراءهم المدفعية ، ثم ابتدأت مدافع الحصار مباشرة فى تدمير القلاع ، بينا كانت بطاريات هاوتزر الميدان تفتك بأولئك الجنود الذين يحتلون الخنادق في الفواصل التى بين القلاع .

وكانت حامية نامور مكونة من قوات القلاع من البلچيكيين ، جزء كبير من الفرقة البلچيكية الرابعة تعاونه قوات منفصلة سحبت

من هوي « Hwi » وثلاث أورط من مشاة الفرنسيين ، وبذا كانت — إلى حـدما نحو ثمانية عشر ألف مقاتل ، وفى هـذه المرة لم يكن لمشاة البلچيكيين أية فرصة يستعملون فيها بنادقهم ، بل كان واجبهم فقط أن يجدوا سبيلا للتخلص من هذا التدمير الذى لم يكن فى استطاعتهم أن يقابلوه بمثله ، إذ لم يكن فى استطاعة مدافع الحصون أن تكتشف مكان مدفعية الألمان بل وحتى خطوط المواصلات التليفونية بين القلاع كانت قد قطعت لأول لحظة اطلقت فيها المدافع ، ولذا لم يكن من المستطاع ضبط نيرانها ، ولم يستمر هذا العراك طويلا فقد اخترقت القلاع بسرعة . وفى صباح الثالث والعشرين من أغسطس تقدمت مشاة الألمان للهجوم فدخلوا المدينة فى اليوم التالى وقطعوا بذلك خط الرجعة على جزء كبير من حامية المدينة .

وكان سقوط نامور بهـذه السرعة ضربة قوية تلقاها الحلفاء ، فقد قوى دفاع لياج من أملهـم . وكانوا يظنون أن نامور بمعاونة الجيش الفرنسى تكافح على الأقل وقتا كافيا يستطيع معـه الجيش الانجليزى والفرنسى من اتمام تجمعهما على جناح الحلفاء الايسر ليتسنى للحلفاء القيام بحركة هجوم عنيفة على العدو المتقدم .

ولم تصل الينا أية معلومات ضافية عن هجوم ليپچ ، ولم يعرف لماذا قصر أمد دفاع قلاعها عنـدما بدأت مدافع الحصار الألمانية عملها ، غير أن مأساة نامور هى التى أوضحت أن طريقة الدفاع بالقلاع ذات المدافع الثقيلة الحركة عديمة الفائدة ضد الأسلحة الحديثة الضخمة ، وبذلك فقد

امحت من سفر الحرب وقبل أن ينتهى الهجوم الأخير كان جناح الفرنسيين الأيمن فى خطر ففى مساء الثانى والعشرين من أغسطس كان الحرس الامامى لفيالق جيش ڤون هازن الثلاثة قد وصل الميز عند دينانت على مسافة خمسة عشر ميلا جنوب نامور ، وبدأ الألمان يهاجمون دينانت فى بكورة اليوم التالى وبعد قتال عنيف سقطت المدينة فى يدهم وعبروا النهر .

وكان مدافعو الفرنسيين فى تلك الجهة جنود فرقة الاحتياطى الحادية والخمسين وقد وصلوا فى الليلة السابقة بدلا من الفيلق الأول من جيش لانريزاك ، الذى تحرك شمالا الى ميدان السامبر إذ كانوا فى حاجة قصوى اليه هناك ، ولم يكن في استطاعة لانريزاك وقد سقطت نامور فى يد العدو أن يهمل الضربة التى كادت تقطع خط مواصلاته ببقية الجيوش الفرنسية فى الجنوب ولذا لم يكن أمامه إلا أن يأمر الفيلق الأول بالتقهقر ثانية الى دينانت فوصل فى وقت الحاجة للقيام بهجوم مضاد مجيد على اللواء الالمانى الثانى عشر ، والحقيقة أن الألمان — كما سنرى — كانوا يقومون بواجبهم فى لحظة حرجة لارغام قوات الفرنسيين على التقهقر من ميدان القتال في الشمال ، والى هذا يجب أن نعود تاركين الألمان على مقربة من الميز فى ليلة الثالث والعشرين من أغسطس عند نامور ودينانت .

وبينما كان فيلقان من قوات ڤون بلو يعدان العدة لمهاجمة نامور في صباح الحادى والعشرين من أغسطس كانت بقية جيشه تتقدم نحو

السامبر من الشمال وقد وجهت قواته المتوسطة نحو شارلرواه وبدأت فيالقه العمل على الترتيب من اليسار الى اليمين ، وقد دفع ذلك بالجناح الأيسر أن يكون أقرب الى النهر من سواه ، وكان فيلق الحرس المتقدم من چمبلو أول من اشتبك مع الفرنسيين فدفع نقطهم الخارجية التى كانت شمال النهر الى الوراء واكتشفت قوات فون بلو أن معابر النهر بين هام وتامنيس تحتلها قوات كبيرة من الفرنسيين وبدئ بالهجوم على القناطر عند الساعة الثانية والنصف من مساء اليوم نفسه فعبر الجنود النهر واحتلوا واليس بعد تامنيس مباشرة (١) وهنا قوبلوا بهجوم عنيف من الفرنسيين غير أن استمرار امدادهم بقوات جديدة مكنهم ـ ليس فقط من البقاء حيث كانوا — بل واستطاعوا كذلك أن يتقدموا الى الأمام حتى خيم الظلام . .

وفى المساء احتل الالمان قرية ارسيمونت التى تقع جنوبى النهر بنحو ميلين وفى ذلك الوقت كان الفيلق العاشر قد مر (بلينى) يشق طريقه بين قرى المعدنين نحو غرب « شارلروا » وهاجم بعد الظهر مباشرة

---

(١) نتجت معركة شارلرواه من مناوشات الجنود المتقدمة فقد صمم فون بلو على أن ينتظر حتى الثالث والعشرين ليمكنه أن يتعاون مع فون هازن فى الهجوم ولم يكن لانريزاك يبغى القتال فى وادى السامبر غير أنه قرر أن يقابل الألمان بهجوم مضاد بعد عبورهم للنهر الا أنه بعد أن اشتبكت القوات المتقدمة ونجح الالمان فى عبور السامبر رأى فون بلو أن جيشه لن يقاوم بغير قوات سوردية الراكبة وبعض قوات منفصلة ضعيفة من المشاة ولذا فقد قرر أن يتقدم لانتهاز الفرصة

قناطر النهر شرق المدينة ، والى ابعد من ذلك عند الغرب كان الفيلق العاشر الاحتياطى قد عبر القنال واشتبكت قواته اليسرى مع فرسان سورديه التى ارتدت ثانية فى المساء الى طريق « شارلرواه » ومونز. وعلى ذلك فعند انسدال ظلام الحادى والعشرين كان ڤون بلو قد احتل معابر السامبر حتى غرب « شارلرواه » ووصل الى موقع يمكنه منه أن يتقدم لمهاجمة الفرنسيين جنوبى النهر .

والحقيقة أن هذا اليوم في مجموعه كان من الأيام المعدودة فى معارك الميدان الغربى ، فقد كانت مقدمة الألمان تحارب ضد نقط الفرنسيين الخارجية لتصل الى النهر ، وكان كل من القوتين المتضادتين يمد بقوات جديدة لم تخض بعد غمار القتال وكل من الاثنتين يحاول أن ينال مواقع مهمة بجانب النهر إلا أن فردا واحدا من قوات ڤون بلو ولا نريزاك الاساسية لم يشترك في القتال ، غير أنه طوال هذه المناوشات نال الالمان فوائد كثيرة ، لأنه وان كانت القوات الفرنسية جنوبى السامبر توازى قوات الألمان عددا الا أن الالمانيين كانوا قد وضعوا فى أماكن تنيلهم الأفضلية فى بدء العمل وأرغم لانريزاك بذلك حقا على أن يقاتل فى وقت كان يعد العدة خلاله ليتقدم بعد ثمانية وأربعين ساعة على طول السامبر ، بل والى جانب ذلك ، كان جزء كبير من قواته ما زال في طريقه الى ميدان القتال

والحقيقة أن الالمان كانو قد افلحوا فى مفاجأة الفرنسيين واضطروهم الى الدفاع - بل والى أبعد من ذلك - فأن الجنود الالمانيين فى مجموعهم كانوا

في أماكن يستطاع منها استخدامهم في خطة واحدة معدة للهجوم. وتحت هذه الظروف كلها ابتدأت المعركة فى اليوم التالى، ففى فجر الثانى والعشرين من أغسطس هاجم الفرنسيون فيلق الحرس جنوبي النهر واستطاعوا كذلك ان يحتلوا ثانيه ارسيمونت وتبع ذلك عراك عنيف فى ذلك الجزء من وادى السامبر، غير أنه لما بدأت مدفعية الحرس عملها ودفعت قوات أخرى من مشاة الألمان نحو النهر استطاع البروسيون بالرغم من الخسائر الفادحة التى تكبدوها أن يدفعوا الفرنسيين ثانية الى الوراء عند انسدال الظلام الى الهضبة التى تطل على وادى السامبر، وفي الوقت الذى كان فيلق الحرس ابانه يقاتل كان الفيلق العاشر قد اشتبك مع الفرنسيين جنوب شرق شارلرواه واستطاع الالمان أن يتقدموا بالرغم من تكرار اندفاع الفرنسيين بهجوم مضاد إلا أن تقدمهم كان بطيئا وغاليا. وقبل أن يجيء الليل وصل الالمان الى مسافة أربعة أميال جنوبى النهر فى خط طويل يشغل فيلق الحرس جزءه الايمن واكتشف الفيلق العاشر أثناء تقدمه غرب « شارلرواه » مشاة الفرنسين تحتل النهر بقوات كبيرة على جانبي « ثوين » وكانت هاته القوات هى الفيلق الثامن عشر الفرنسى الذى وصل فى الليلة السابقة، غير أن فرقتى الاحتياطى، اللتين كانتا قد ضمتا اليه لتشغلا المسافة بين جناحه الأيسر والجيش الانجليزى، كانتا على مسيرة يوم كامل نحو الجنوب، وقد برهن اليوم الثانى والعشرين على أنه يوم عصيب إلا أنه كان فى مجموعه نجاحاً للألمانيين، والحقيقة أن المعركة لم تكن مقررة ولا منتظرة غير أن ثون بلو كان قد أعد لواءاته كلها فى

خط يمتد من الشرق الى الغرب فى مسافة أربعة أميال جنوبى «شارلرواه» وقد حارب من أجل تقدمه في منطقة ليست بها مظاهر الصناعة ثم وصل بعد النهر الى مواقع تمكنه من أن يستعمل مدفعيته الثقيلة الى أبعد ما تصل اليه ، وكانت آراء الجنرال لانريزاك عن موقفه في مساء هذا اليوم كالآتى :

« انى أرى أن العدو لم يبد أية أفضلية في العدد أو النوع وربما كانت لديه قوات كثيرة فى المنطقة المجاورة . ان الجيش الخامس قد فقد الكثير من قواته فى الموقعة الماضية غير أنه ما زال يعمل واذا كان لنا أن نقول أنه قد أصيب بخسائر فادحة فلا سبيل الى انكار انه كبد العدو مثل هاته الخسائر ايضا ، واذا استطعنا أن نسحبه الى منطقة خلوية حيث تستطيع مدفعيته التى ما زالت تقاتل للآن أن تعمل عملا جديا فأن الجيش سوف يستطيع ايقاف تقدم الالمان ، وان جنودنا بدفاعهم عند كل ياردة من أرض الوطن يستطيعون أن ينالوا الوقت الذى يمكننا من أن نعيد تنظيم قواتنا وسنكون قريبا فى موقع يسمح لنا بأن نقوم بهجوم مضاد »(١)

وفى الوقت الذى كتب فيه الجنرال لانريزاك رسالته هذه كان الفيلق الثامن عشر قد وصل الى يساره دون أن يطلق طلقة واحدة فقد كانت فرقتاه مازالتا تتقدمان الى الامام بينما كان الفيلق الأول الذى أرسل الى الميز على أتم استعداد للاشتراك في المعركة وكانت قوات لانريزاك التى تقاتل هى الفيلقان الثالث والعاشر ، ويقول هو عنهما انهما

---

(١) هانوتو الجزء الخامس صفحة ٢٨٩

بالرغم من الخسائر الفادحة التى تكبداها كانا يقاتلان بشجاعة . ووصل الجيش الأنجليزى الى مواقعه قرب مونز إلا أن لانريزاك لم يكن بعد قد علم شيئا عن جيش ڤون كلك القادم من الشمال ولا عن قوات ڤون هازن القادمة من الأردن نحو دينانت ، ولذا فانه بالرغم من أن الانتصارات التى جناها الألمان فى اليوم الثانى والعشرين لم تكن مرضية للفرنسيين إلا أنه لم تصل أية أنباء من الوجهة الحربية لتسبب قلقا للحلفاء ، وأضاع ڤون بلتمبرج قائد الحرس الألمانى الساعات الأولى من صباح الثالث والعشرين فى تنظيم قواته بعد القتال العنيف الذي حدث في اليوم السابق ، وفى اعداد جنده لمهاجمة الفرنسيين الذين اكتشف انهم تقهقروا ابان الليل الى موقع جديد على جانبى متيت

وعندما بلغه أن قوات فرنسية كثيرة تتقدم نحو جناحه الأيسر بدأت مدفعيته عملها التدميرى ، وتناسى ڤون بلتمبرج عملية الهجوم لمقابلة العدو الجديد ـ أى الفيلق الفرنسى الأول ـ الذى كان قد أرسل لمعاونة القسم الأحتياطى الحادى والخمسين فى الدفاع عن الميز قرب دينانت ، وكان هذا الهجوم هو أول عمل له فى ميدان السامبر ، غير أنه لسوء حد الفرنسيين وصلت إذ ذاك اخبار سريعة الى قيادة الجنرال لانريزاك عن سقوط نامور واحتلال الفيلق الألماني الحادى عشر لمدينة دينانت فاضطر الفيلق الأول أن يرتد ثانية بسرعة الى نهر الميز لأنقاذ مواصلات وجناح الجيش الفرنسى الأيمن من الخطر الذى يهدده ، ولو استطاع الفيلق الأول الفرنسى — ويجب أن لايغيب عن بالنا أنه لم يكن قد اشترك بعد

فى القتال — أن يصل حين الحاجة اليه الى جناح الحرس الألمانى لاختلفت نتيجة معركة السامبر عما وصلت اليه ، وقد نذكر هنا أنه قبل ذلك اليوم بقرن إلا قليلا حدثت حادثة تشابه هذه غيرت من نتيجة معركة ، فقد كان الفرنسيون يهاجمون البروسيين فى « لينى » وكانت فيالق ايرلون تتقدم فى هجوم مضاد بين ميدانى « لينى » و « كواتربرا » ولو وصلت الى جناح البروسيين لتمكن نابليون من الاندفاع نحو بلوخر فيهزمه تلك الهزيمة التى كان من المحال معها أن يشترك البروسيون فى معركة واترلو .

وبعد أن بات ثون بتلمبرج مطمئنا على جناحه الأيسر أعاد ثانية ترتيباته الاولى لمهاجمة مواقع الفرنسيين قرب متيت ونفذ ذلك قبل انسدال ستار الظلام ، وكان الفيلق العاشر مشتبكا فى قتال عنيف مع الفيلق الفرنسى الثالث طول اليوم جنوبى شارلرواه وعندما جاء الليل استطاع الالمان أن يتغلبوا على دفاع الفرنسيين واضطر الفيلق الثالث أن يرتد الى والكورت فى موازاة موبيج وفي نفس الوقت هاجم الفيلق الألمانى العاشر الفيلق الثامن عشر الفرنسى على طول المواجهة « جوزى » و « ثوين » وبعد قتال عنيف احتل الألمان هذين الموقعين

واضطر الفيلق الثامن عشر بعد أن بات معرضا لتقهقر الفيلق الثالث أن يتقهقر هو الآخر ، وفى مساء الثالث والعشرين كانت مقدمة الجنرال لانريزاك قد ارتدت الى الوراء وكان جناحاه يهددهما سقوط نامور وظهور الجيش الالمانى الثالث عند دينانت ووصلت اليه انباء أخرى عن الجيش الانجليزى يؤخذ منها أن ثلاثة فيالق من البروسيين قد هاجمته

بينما كان فيلق رابع يدور حول جناحه ، ثم وصلته رسالة أخرى يطلب اليه فيها ارسال فرسان الجنرال سورديه بسرعة الى ميسرة البريطانيين لمنع حركة الالتفاف ، واذ ذاك اضطر الجنرال لانريزاك الى أن يتقهقر وعادت قواته الى الوراء ومنها فرقتا الاحتياطي الثالثة والخمسين والتاسعة والستين اللتان كانتا في طريقهما الى ميمنة الأنجليز .

وهنا نترك جيش ڤون بلو والجيش الفرنسى الخامس وجها لوجه ونعود ثانية الى قوات ڤون كلك المواجهة للجيش الانجليزى غير أنه من الواجب أن نتذكر أنه فى ليلة الحادي والعشرين عند ما كان الانجليز يتقدمون شمالا كان الألمان قد عبروا السامبر تماما حتى شرق شارلرواه أى أنه فى صباح الثالث والعشرين عندما بدأت موقعة مونز كان الألمان على مسافة سبعة أميال جنوبي شارلروا . فكانوا بذلك جنوب جناح الأنجليز الأيمن . ولايفوتنا أن نذكر أن الأنجليز عندما بدأوا يتقهقرون من مونز في فجر الرابع والعشرين كان الجيش الفرنسى قد تقهقر منذ ساعات طويلة .

الفصل الخامس

﴿ مونز ﴾

لقد تركنا جيش ڤون كلك فى الحادى والعشرين من أغسطس جنوبى غرب بروكسل سالكا الطرق المؤدية إلى جرامونت — أينين — هال — براين لالود — على اعتقاد أن الجيش الأنجليزى سوف يأتى من ليل ، وانتهى اليوم دون أية حادثة ، غير أنه فى بكورة اليوم التالى ، التقى الفرسان الألمان بقوات انجليزية راكبه شمال شرقى مونز وشرقها وبين لالوڤيير وبينش ، ولو أن أول لقاء بين فرسان الجيشين كان عند كاستو على بعد خمسة أميال شمال الشمال الشرقى لمونز ، وفى نفس اليوم أطلق الالمان نيرانهم على سفينة هوائية انجليزية فاسقطوها قرب أينين ، وكانت هاتان الحادثتان كافيتين لاستدلال الالمان على قرب الجيش الانجليزى ولاقى الالمان تلك الصعوبات التى لاقاها قبلهم فرسان الجنرال سورديه إذ ذهبت عبثا محاولتهم لمعرفة أية أنباء عن تحركات الجيش الانجليزى ، لأن القوات الأنجليزية الراكبة بالرغم من أنها لم تكن إذ ذاك متكئة على قوات من المشاة كما كان فرسان الألمان ، إلا أن فرسان الانجليز كانوا منذ حرب جنوب أفريقيا الأخيرة قد تسلحوا ببندقية المشاة العادية ، ولذا كانوا في مقدمه قوات أوربا الراكبة إذا ترجلت ، وتكبد الألمان بعض الخسائر فى مناوشات الصباح ، إلا أنه عند ماسحبت قوات الجيش

الأنجليزى الراكبة إلى الوراء فى المساء لم يحذر الالمان أن عدوهم موجود بقواته غرب مونز .

ووصل إذ ذاك الفيلقان الأول والثانى من الجيش الأنجليزى واحتلت بعض قواتهما النقط الخارجية التى كانت تحتلها الفرسان ، وانتشر الفيلق الأول تحت قيادة السير دوجلاس هج فى خط طويل يمتد من بيزانت على مسافة خمسة أميال غرب الفيلق الثامن عشر الفرنسى الى هارمنى على بعد أربعة اميال جنوب شرق مونز ، وانتشر الفيلق الثاني بقيادة السير هوراس سمث دورين شرق مونز نحو القنال عند أوبرج ثم أنحدروا غربا على طول القنال الى بوميروى ، ثم مدت الفرقة التاسعة عشر المشاة فى الصباح التالى خط القتال الى أبعد من ذلك نحو الغرب فاتصلت قواتهما بالفرقة الرابعة والثمانين الفرنسية .

وأتم فون كلك تقدمه طوال اليوم الثانى والعشرين في اتجاه الجنوب الغربى أيضا ، ووصلته أنباء تدل على أن بعض القوات تتجمع عند تورنيي فظن أنها قوات انجليزية قادمة من ليل ، وعلى ذلك توقف فون كلك عن التقدم وأخذ يعد العدة للقتال ، والحقيقة أن القوات التى كانت موجودة في تورنيي هى اورطتان من الفرسان تقهقرتا أمام قوات مارويتزا الراكبة وفى مساء الثانى والعشرين وقفت ميسرة الجيش وقد اتجه الفيلق التاسع نحو سوايني والفيلق الثالث على بعد ستة أميال جنوبى ايفين ووقف الفيلق الرابع في مكانه فى منتصف المسافة بين ايفين وآث بينا وقفت ميمنة الجيش ، وقد اتجه الفيلق الثانى شمال شرق جرامونت ،

أما قوات ڤون دير مارورييز فقد كانت بعيدا غرب « آث » تحاول أن تصل إلى أية معلومات عن تقدم الجيش البريطانى

والحقيقة أن قوات ڤون كلك قد قطعت مسافة طويلة فى وقت قصير ، فان الفيلق الثانى — ويجب هنا أن نلاحظ أنه فى أقصى الجناح الأيمن — قد قطع مائة وأربعين ميلا فى أحد عشر يوما وهذه بلاريب محاولة لا تنكر إذا نظرنا إلى هذه الجموع الكثيفة التى تتقدم لاسيما إذا عرفنا أن أحذية الجنود ومعداتهم كانت جديدة فى أوائل أيام الحرب ، هذا عدا أن جنود الاحتياطى لم يكن قد مر وقت طويل بعد على تركهم للحياة الملكية (١) ، ولقد وجدت جماعات الاحتياطى الأنجليزى أن السير إلى مونز مضنى وذلك لحرارة الطقس من جهة ولعدم طرقهم هذه السبل من قبل ، ولاريب أن الألمان قد لاقوا نفس هاته الصعوبات إلا أنها لم تبلغ الدرجة التى لاقاها الانجليز وذلك لقلة عدد جنود الاحتياطى بين هاته القوات فضلا عن أن جنود الاحتياطى الالمانى لم يكونوا قد تركوا خدمة الجيش العامل منذ أمد طويل .

والواقع أن أى جيش من جيوش القارة فى مثل هذا الشهر (أغسطس) يكون قد أتم تدريب جنوده الجدد الذين يلحقون به منذ أول العام ولذا لم ينقصه غير عدد قليل من الاحتياطى لكى يبلغ الى قوة يخوض معها غمار القتال وعلى ذلك كان هذا الفصل أبدا مذ أول التاريخ الحديث فصل الحرب في أوربا .

---

(١) يقصد هنا بالحياة الملكية أى عكس الحياة العسكرية

الا أن ضرورة تقوية حامياتنا في الخارج كانت قد حولت جيشنا في أرض الوطن الى مورد لامدادات دائمة لهاته القوات فكانت نتيجة ذلك أن بات الجيش الانجليزى فى الجزائر البريطانية أقل عدداً من القوات الضرورية هذا عدا ما به من الجنود الجدد أضف إلى ذلك صغر سن هؤلاء الجنود وقرب عهدهم بالخدمة العسكرية الامر الذى يدفع إلى عدم الوثوق بهم فى الميدان والذى يستلزم معه تركهم فى نقط التمرين

ولهذه الاسباب كانت مشاة الجيش الانجليزى الموجودة في مونز تضم بينها عدداً من الاحتياطى يزيد عن تلك التى كانت فى جيش ڤون كلك حيث كانت النسبة فى بعض الفرق لا تقل عن الخمسين فى المايه، وكانت فى سواها تبلغ السبعين بل وكانت غالبية تلك القوات كذلك قد قضت عهد الخدمة العسكرية فى المستعمرات ولذا لم يكن جلهم كذلك على معرفة بضباطه وصف ضباطه ، بل ومن جهه أخرى فان غالبية رجال الجيش العامل الأنجليزى قضت أكثر من سبعة أعوام فى الخدمة العسكرية وقد اعتنى بمشاة الجيش الانجليز منذ حرب البوير عناية خاصة في تدبيرها وإعدادها ، وعلى ذلك بات الجندي الأنجليزى فى مقدمة مشاة أوربا تدريبا ، هذا التدريب الذى بدا واضحا في مونز

وفي صباح الثالث والعشرين من أغسطس كان ڤون كلك بفيالقه الثلاثه وڤون بلو بفيالقه الاربعة على مقربة من الجيش الانجليزى الذى لا تزيد قوته عن فيلقين من المشاة وخمس لواءات من الفرسان فكان بذلك ١٥٠ ألفا من الالمان وستمائة مدفع في مواجهة ٧٠ ألفا من الانجليز

معدة بثلاثمائة مدفع هذا عدا أن قوات ڤون بلو كانت طوال اليومين الماضيين قد اشتبكت مع الفرنسيين فى قتال عنيف نجح الالمان بعده فى دفع الفرنسيين الى الوراء جنوبى السامبر بين شارلروا وناموو ، ولا ريب أن ڤون كك لو كان يدرى قوة الجيش الانجليزى الذى يواجهه لنحا منحي آخر فيما قام به غير أن الحقيقة التى لا نستطيع انكارها أنه بالرغم من أن تجمعنا قد جاء متأخرا بعد تجمع الفرنسيين باربعة أيام إلا أنه عند ماصدرت الاوامر بارسال القوات سريعا إلى فرنسا تم ذلك العمل سريعا دون أن يدري أى فرد شيئا عن المكان الذي ترسو عنده السفن التى تحمل القوات الأنجليزية فى طريقها إلى الميدان الغربى ، فلم يعلم الألمان أن الانجليز قد رسوا فى الهافر ثم ساروا إلى موبيج مارين بمين، وحتى إلى بعد موقعة مونز كان ڤون كلك يعتقد أن القواعد البحرية الانجليزية لابد أن تكون فى دانكيرك وكاليه وتولون ، وفشلت كذلك إدارة المخابرات الألمانية تماما في الوصول إلى معرفة أية أنباء حقيقية عن تحركاتنا ولاريب أن هذا راجع إلى المهارة التى وضعت بها هذه الترتيبات لأننا قد استطعنا أن نمنع الجواسيس الالمان — ولا سبيل إلى الشك في مهارتهم — من أن ينقلوا أية اخبار عن الاستعدادات القائمة فى انجلترا لارسال القوات المحاربة الى فرنسا وقد يبدو ذلك واضحا إذا نظرنا إلى أن الكثير من هاته القوات كان حتى الثالث والعشرين قد مر عليه أكثر من أسبوع فى فرنسا ، ونتج عن قلة الاخبار التى وردت للالمان عن تحركات الجيش الانجليزي أن فرسان ڤون دير مارويتز كانت فى

اليوم الثالث والعشرين تبعد ثلاثين ميلا عن ميدان القتال ، وكانت فيالق ميمنة ڤون كلك متأخرة قليلا الى الوراء على استعداد تام للتقدم إذا وقف على أي أثر للانجليز ، وكانت القوات الالمانية تتقدم باستمرار منذ المعارك الأخيرة عند جيت في الثامن عشر من أغسطس ولذا لابد أن تكون قد انتشرت فى خط طويل بأميال كثيرة على طول الطرق وراء الاماكن التى ذكرت أن فيالق ڤون كلك وڤون بلو كانت تتجه اليها ، وفى مثل هذه الحال كان الافضل لڤون كلك أن يضم قواته ويعدها للمعركة ثم يضرب العدو الذى بات تحت رحمته ضربة قاضية ،وكان الاجدر به كذلك- إذا ذكرنا أنه كان يجهل الكثير من أخبار الانجليز — أن يتقدم بجنود الوقاية فى مقدمته ليستطيع الوصول إلى أية أنباء ليكون له الوقت الكافى من جمع قواته الاصلية، الا أن ڤون كلك — كما يظهر — قد أهمل كل هذه الاحتياطات .

ولا يغيب عن بالنا أن ڤون بلو قد هاجم الجيش الفرنسى الخامس بفيالقه الأربعة ، وابتدأ القتال كما قدمنا من اليسار إلى اليمين على الترتيب هذا عدا أن القوات الالمانية كانت في أمكنة جعلت ڤون بلو عند حد الاعتقاد بان قواته تستطيع أن تضغط باستمرار على العدو، الا أن ڤون كلك بالرغم من أن نصف قواته كان بعيدا عن ميدان القتال ولا يستطيع أن يشترك اشتراكا فعالا فى معارك اليوم الثالث والعشرين دفع بقواته الباقية القريبة من العدو الى الاڤون .

ولا ريب أن ڤون كلك بذلك قد قدر القوات الانجليزية أقل من

قدرها إذ أن قصوصة الحرب الافريقية الكبرى التى لم تكن مفهومة جيدا في أوربا لم تكن قد أضافت شيئا الى شهرتنا الحربية ، ومن المحتمل أن يكون ڤون كلك قد خشى أن نفر من أمامه لاول وهلة ، ولذا اندفع فى شغف ولهفة الى لقائنا،ولقد فكر بعد أن اشتبك الفيلق التاسع فى القتال فى أن يمد خط القتال بدفع الفيلق الثالث أيضا الى المعركة بينما يكون فيلقا الجناح الايمن يتقدمان في اتجاههما الاصلى الذى يتبعانه .

وانقضت الساعات الاولى من صباح الثالث والعشرين فى اتمام الاستكشاف الذى قامت به الجنود فى اليوم السابق ، وابتدأت فرقة الفرسان الالمانية تلتصق تدريجيا بنقط الانجليز الخارجية ، ثم ابتدأت المعركة فى العاشرة والنصف صباحا بعملية تدمير فجائية قامت بها مدفعية الفيلق التاسع التى كانت تطلق النار من الهضبة شمال أوبرج ، غير أنه من الواجب أن نذكر هنا أن مناوشات كثيرة كانت قد حدثت قبل منتصف الحادية عشرة بوقت طويل ، ومن ذلك الوقت بدأت المدافع تتوالى بطارية أثر الاخرى عند ما اشتبك الفيلق الثالث أيضا فى القتال وحتى الساعة الاولى من مساء الثالث والعشرين كان الالمان قد أظهروا تفوقا عظيما في مدفعيتهم على طول مواجهة قوات السير هوراس سمث دورين ، وتحت ستارهاته الغلالة من نيران المدفعية ابتدأت مشاة الفيلق التاسع تتقدم عند الساعة الحادية عشر صباحا فى طريقها بجموع كثيفة الى حد القنال حيث كانت أورطة واحدة من مشاة الانجليز هى الاورطة

الرابعة من آلاى مدل سيكس تحتل ذلك الموقع .

وهوجمت تلك القوة الانجليزية الصغيرة بما لا يقل عن اثنتى عشرة أورطة من الالمان وعلى ذلك تقهقرت .

وتقدم الالمان حتى الى مدى بنادق المشاة فى قولات منضمة طويلة تتقدمها جماعات من المناوشين .

والحقيقة أن الانجليز قد لاحظوا تجربة ذلك فى مناورات الألمان للتمرين على الحرب ، غير أن الالمان ـ وما زالت ، ذكري حرب جنوب افريقيا ماثلة لهم فى أذهانهم ـ قد عرفوا ماذا يحدث اذا قوبلت جنودنا بمثل هذه التكتيكات .

ثم جاء اليوم : وكما اعتقد كانت قوات الالمان هدفا ظاهرا لنيران مشاتنا السريعة والعادية ، وحتى مدفعيتنا التى كانت لا تستطيع ايجاد مواقع لها فى أكثر نقط مواجهة للفيلق الثانى لكثرة الابنية شرقى مونز استطاعت بالرغم من وفرة عدد مدفعية الالمان وقوتها ـ أن تعوق تقدم مشاة الالمان قبل أن يعبروا القنال شرقى مونز ، ثم هجم البروسيون على مونز من الشمال والشرق ودفعوا الانجليز أمامهم الى الجنوب الشرقى ، والواقع أن مشاتنا كانوا يشكون من أنهم لم يستطيعوا اطلاق النار بسرعة كافية لمنع هذه الجموع الكثيفة المندفعة نحوهم ، غير أنه لا شك فى أنهم أطلقوا طلقات سريعة كثيرة ، فقد ذكرت بعض التقارير الألمانية عن موقعة مونز أننا كنا قد وضعنا عند القنال عددا وفيرا من مدافع الماكينة ذلك السلاح ـ الذى كنا الى حدما ـ مزودين بعدد قليل منه .

وكان هجوم فيلق الالمان التاسع موجها الى ميمنة فرقتنا الثالثة التى أعـد قائدها الجنرال هوبرت هملتن مكانه جنوبى مونز متصلا بميسرة قوات السير دوجلاس هيج قرب هارمينى ، والى هـذا المكان سحبت القوات التى كانت تدافع عند القنال ، وبدأت تقاتل بدون أمل شرقى مونز حيث كانت القوات الألمانية لا تعوقها الأبنية .

وتقدمت مشاة الفيلق التاسع الالمانى وسط مدينة مونز ، غير أنها لم تصل الى مواقع الانجليز قبل الظلام ، ولبث الالمان فى مكانهم بعد أن بعثوا بجنودهم الى النقط الخارجية انتظارا لأوامر جـديدة أثر خسائر ومتاعب اليوم .وفى غرب مونز هاجمت ميسرة الفيلق الثالث آلاى هملتن التاسع بينما كانت ميمنه الفيلق التاسع الى أبعد من ذلك فى الغرب ومقدمة الفيلق الرابع فى طريقهما اذ التقيا باقل من نصف مشاة السير تشارلس فير جوسن فردتا الى الوراء ، وكان فى استطاعة الانجليز أن يحتلوا خط القنال ، ولـكن صدرت أوامر بالانسحاب الى الخنادق فى الخلف كما صدرت كذلك الى الفرقة الثالثة المشاة ، الا أن فرسان اللنبى والآلاى التاسع عشر المشاة سببا دون عناء فشل كل المحاولات التى قام بها الألمان فى عبور القنال عند جناحنا الايسر .

ويظهر أن الفيلق السابع الالمانى في ميسرة ڤون كلك لم يتقـدم سريعا الى المعركة ، وربما يكون قـد قضى اليوم فى ضم قواته واعدادها للهجوم فى اليوم التالى ، غير أنه لا يبدو أنه قـد اشترك فعلا فى معارك مونز فان قوله الايسر قـد وقف عند بينش على مسافة ستة أميال من

مواجهة الفيلق الاول الذي يقوده السير دوجلاس هيج ، والذي كان قد قضى يوما هادئا بالنسبة لبقية القوات البريطانية التى خاصت غمار القتال

وقد تكون هذه مقدمة موجزة للحوادث التى كانت فى اليوم الأول لموقعة مونز ، واذا جاز لنا أن نقول بان كل الانباء التى وصلت للألمان لا تستند الى أساس ، فان فون كلك لم يكن لديه أى شئ منها ، فلقد ظن أن الفيلق الرابع ـ وهو على جهل تام بمدي امتداد جناحنا الايسر — يستطيع باستئناف سيره نحو الجنوب الغربى أن يدور حول جناح عدوه ، وعلى ذلك سمح لفيلقه الثالث بالاشتراك فى القتال على أن يندفع فى مهاجمة أمامية كلفته خسائر فادحة .

وفى منتصف اليوم وصلت اليه أنباء أن الانجليز قرب مونز فى قوات كبيرة، الا أنه كان يعلم أن ليس لنا فى الميدان أكثر من ست فرق ، وكان هجومه في الحقيقة مخاطرة طائشة لم يعمل على محاولة احكام تنفيذها، وعلى ذلك فقدفشل فى انتهاز كل الفرص التى سنحت له ، ويقول السير جون فرنش فيما كتبه عن مونز : إنه لم يكن ينتظر أن يهاجم باكثر من فيلق واحد ، أو على الاكثر بفيلقين تعززهما فرقة من الفرسان ، والحقيقة أنه لبث حتى الساعة الحادية عشر صباحا دون أن تصل اليه أية تحذيرات عن قوة فون كلك .

ولا ريب أن الفرقتين الثالثة والخامسة من قوات سمث دوريين قد هوجمتا بين الحادية عشر مساء ومنتصف الليل بفيالق المانية ثلاث نجحت فقط فى رد النقط الانجليزية الخارجية الى الوراء بعد أن تكبدت

جنودها خسائر تربو على تلك التى استنفذها المدافعون ، بينا كان فيلق رابع من القوات الالمانية على مقربة من ميدان القتال، الا أنه لم يشترك في المعركة القائمة ، وقد تقدم هذا الفيلق ـ الفيلق السابع فى جيش ڤون بلو ـ الى بينش ولم يقم بعمل أكثر من ذلك .

واستأنف الفيلق الثاني من جيش ڤون كلك تقدمه في جرامونت كما تقدم الفيلق الرابع الاحتياطى ببقية قواته ـ بعد أن ترك آلايا من المشاة لحماية بروكسل ـ الى هال ولو أنه كان فى استطاعة ڤون كلك أن يقوم بعملية الهجوم فى مساء الثالث والعشرين من أغسطس لتبدلت تلك الصفحة التى خطت فى سجل الحرب للجيش الانجليزى الصغير ، فقد كانت إذ ذاك ميمنة الفرقة الثالثة جنوب شرقى مونز فى مركز حرج وذلك بالنسبة لدخول القوات الألمانية ، فاضطرت الفرقة الثالثة إلى التقهقر لاماكنها القديمة ، الا أن هذا التقهقر سبق تقهقر الفرقة الخامسة بكثير فكانت ثغرة لبثت أمدا غير قصير وسط قوات السير هوراس سمث دوريين ، ونفذت منها قوات صغيرة من الالمانيين ، ولكنها سدت عقب انسدال الظلام مباشرة ، إلا أنه بالرغم من كل ذلك كانت هناك لحظات كثيرة لبثت الأقدار طوالها تتقاذف مصير الجيش البريطانى .

على أنه وان سبب فشل قلم المخابرات الألمانى فى معرفة الكثير من الأنباء عن تحركات الجيش البريطانى ، ووجود فرسان ڤون دير مارويتز في مهمة بعيدة عن ميدان القتال ،صعوبات كثيرة لڤون كلك إلا

أنه كقائد كان هدفا لكثير من النقد .

ولا ريب أنه لو تعاونت الفيالق الثلاث ـ الثالث والسابع والتاسع ـ فى الهجوم بعد ظهر الثالث والعشرين من أغسطس فى الوقت الذى يعد فيه الفيلق الرابع لاقتحام ميسرة الانجليز في فجر اليوم التالى لبات أمر التقهقر من المحال .

غير أن الذى حدث أنه في مساء الثالث والعشرين كان الفيلقان الثالث والتاسع قد تكبدا خسائر فادحة لم يستطيعا معها القيام بأى مجهود يفوق ذاك الذى قاما به ، وكان الفيلق الرابع قد أعياه السير وقواته مبعثرة على طول الطريق ، وليس فى استطاعة أى منها أن تشترك فى المعركة اللهم الاجزء من المقدمة ، واندفعت هاته القوات الأمامية إلى الأمام وقاتلت حقا طوال الليل فعطل ذلك من تقدم القوات في الصباح التالى وعاون على فرار الانجليز من الخطر المحدق بهم .

والحقيقة أن ڤون كلك قد اقترب من الجيش الانجليزى وقواته مبعثرة لدرجة لايستطيع معها أن يدفعها كلها الى القتال ، بل والى أبعد من ذلك ، فان ڤون كلك قد أثقل كاهل بعضها قبل أن تستطيع البقية أن تشترك في المعركة . ولكنها كانت نتيجة لاشك فيها لمناورة محكمة دبرت بمهارة ، غير أن محاولة ڤون كلك لم تكن شيئا من ذلك .

ولقد نستطيع هنا أن نسوق على سبيل التدليل من تلك الخسائر التى تكبدها العدو غير شهادة مشاتنا في الميدان الغربى ، رسالة وجدها الفرنسيون مع ضابط ألمانى وقع في أسرهم يقول فيها عن ذلك . . . .

« لقد تركنا البلچيك منذ أيام بعد أن ضربنا البلچيكيين ضربة قاضية في بير ليمونت ودحرنا الانجليز فى مونز ، وقد لاتزيد أصول الحرب الانجليزية عن أن يسكنوا الى القرى ويطلقون علينا نيرانا قاتلة من البنادق ومدافع الماكينة ، فتركنا مدفعيتنا تناقشهم حسابا عسيرا وسحقنا تلك الخيوط التى مدتها العناكب بنيران مدفعيتنا الضخمة . ولم يكن من بدفي أن نتكبد خسائر فادحة اذا هاجمنا مواقع الانجليز بالمشاة لأن مشاتنا يتقدمون كما كان بلوخر يسير »

وقد كتبت هذه الرسالة بعد موقعة مونز بما لايقل عن أسبوع ولقد شوهد تغيير أصول الحرب الألمانية ـ الذى ذكره فى رسالته ـ فى المعارك التى خاضت المشاة غمارها طوال اليوم الثالث والعشرين ، غير أن الألمان فى الجناح الغربى كانوا يحاربون طوال اليوم الثالث والعشرين غير أن الالمان كانوا يحاربون مدة معاركهم الأولى بانموذج يستطيع الباحث أن يضعه فى الجملة الآتية « تقدم بأية طريقة وبأى ثمن »

والحقيقة أن الروح المعنوية للهجوم هى كل شئ للجيش غير أنه مادامت تنتظر منها نتائج باهرة فلا بد أن يحكم وضعها وتدبيرها .

« غير أن الهجوم بالرغم من كل شئ خير من الدفاع . لأن المعركة التى يدافع الجندي طوالها لاينال منها فوزا مهما كانت الخسائر التى يكبدها للمهاجمين ، ولا شك أنه من الواجب على الجندى أبدا أن يتقدم لمهاجمة عدوه وضربه ضربة حاسمة ، لاأن ينتظر وصوله اليه ليخرجه من مكمنه لأن استمرار الدفاع كالتقهقر كلاهما له أثره السئ فى روح الجندى المعنوية

بينا يعطى التقدم والاندفاع روحا مستمرا من التشجيع تلبث مضيئة لاتخبو ، ولابد أن يذكر هنا أن الجماعة التى تظل دوما تتقدم تجعل خصمها أبدا فى شك لايدرى متى وأين ستكون الضربة التالية ، ولا يلبث هذا التضارب والشك أن يفعل فعله فى جنود العدو . ولقد قال رجل من القواد في حديث له: إن أول واجب على العسكرى نبثه فيه هو أن يهاجم وقال آخر :إن جماعة من الجند لابد أن تتقهقر أمام جماعة أخرى مساوية لها فى العدد ما دامت قد فقدت الروح المعنوية التى تتملكها» . . .

وبدأت إذ ذاك تظهر نقطة الضعف فى تسليح الألمان ، فقد كان ڤون كلك فى كوبلنزا بعيدا عن جناحه الأيمن ، فيحول بعد الشقة عن أن تصله أنباء سريعة حتى يستطيع أن يزوده بأوامر سريعة أيضا قبل فوات الفرصة ، وكانت لديه أعمال كثيرة وفي الوقت نفسه كان يحاول توجيه الجيوش الألمانية فى شرق وغرب جبهة الميدان الغربي ، وعلى ذلك حاول الألمان أن يبدلوا من قوادهم، فوضع الجيش الأول وفرسان ڤون دير مار ويتز تحت أمرة ڤون بلو إلا أنه هو الآخر كان لديه فى قواته الخاصة ـ الجيش الثانى ـ مايعيقه عن أن يباشر بنفسه توجيه قوات ڤون كلك ولذا ففى الواحد والعشرين من أغسطس كان جناح الحلفاء الأيسر تحت رحمة جيوش المانيا الثلاثة فى الجناح الغربى، غير أنه لم يكن هناك أى تضامن بينها ، فلقد اندفع ڤون بلو في اليوم نفسه قبل أن يكون ڤون هازن على استعداد لمهاجمة جناح ومؤخرة قوات لانرزاك وفى اليوم الثالث والعشرين اندفع ڤون كلك في حماقة وطيش غير أنه كان حسن

الجد الى درجة غير عادية اذ أجبر الى مقاتلته جيشا منفردا في عزلة تامة هذا عداعن صغر قواته مع جهله التام بمبلغ استطاعة عدوه على التدخل فى تحركاته ، ففى الصباح عند مابدأت المعركة ضرب ڤون كلك ضربته الأولى إلا أنها لم تترك كبير أثر ، وفى المساء كانت قوات ڤون كلك قد التحمت مباشرة بجنود السير هوراس سمث دورين بفرقتين زيادة من القوات التى كانت تكفى لدفع الانجليز الى الوراء ، ولانستطيع هنا أن ننكر ذلك العمل الخالد الذى قام به مشاة الجيش القديم فقد تحملوا تلك الصدمة التى نالتهم من جيش الألمان الأول بشجاعة نادرة واضطروهم أن يلبثوا فى خوف ووجل من أن يحاولوا ثتمة تقدمهم الى الفوز حتى أفلتت من يدهم تلك الفرصة التى سنحت لهم . فقد كان ڤون كلك حتى الحادية عشر مساء يستطيع أن يفاجيء الانجليز وأن يستثمر تلك المفاجأة غير أنه بعد الحادية عشر كان كل شيء قد انتهى ولم يعد للمفاجأة أى أثر وباتت محاولاته واضحة جلية فقد وصلت إذ ذاك للسير جون فرنش رسالة جوفر يخبره فيها عن مبلغ قوات الجيش الألمانى الأول ويحدثه بأنباء تقهقر الجيش الفرنسى الخامس .

ولا ريب أنه من العبث أن ينشر الصياد شباكه أمام الطير . فلقد حذر قائد الانجليز أن الشباك منصوبة أمامه فاعد العدة للفرار قبل أن يضيق الخناق عليه ، لهذا أصدر أوامره أبان الليل الى التقهقر غربى مويبج فجاءت هاته الأوامر فى مجموعها كصدمة عنيفة للقوات الانجليزية التى كانت غالبيتها الى حد بعيد مغتبطة بالمعارك التى خاضتها طوال اليوم لانهم

كانوا فى غفلة عن الخطر الذى يتهددهم وكانوا يجهلون ذلك الحظ العاثر الذى كتب للجيش الخامس الفرنسى ، ولـكنهم كانوا يعلمون فقط أن العدو قد تـكبد خسائر فادحة وان مواقعهم الأصلية قـد ردت اليهم وانهم فى جهادهم لأول مرة ضد أقوى جيش برى فى العالم قـد أظهروا أكثر مما كان يظن أنه فى استطاعتهم .

وكان الفيلق الأول قد أعياه طول السير وتبع ذلك فترات طويلة من الراحة في الخنادق إلا أن غالبيـة قواته المشاة لم تشترك فى القتال وتقهقرت دون أن تخوض غماره . وهكذا كانت بقية قوات الفرقة الثالثة فى الفيلق الثانى قد أنهكها القتال في مونز إلا أن بقيته قد لاقت متاعب كثيرة من الألمان هـذا بينما كانت الفرسان ـ بالنسبة لاستكشافها الأول لقوات العدو ـ ثابتة متيقنة من قواتها سواء كانت مترجلة أم على ظهور الجياد .

ولا ريب أن التقهقر فى أى وقت تجربة رغم أنها مليئة بالخطل إلا أنها محاولة اضطرارية ولأنها مع ذلك تضعف من روح الجندى الذى يعتقد أنه فى استطاعته ضرب العدو ، ولذا فأنه أبدا يرى أن لا داعي للتقهقر مادام لم يرقب بعينيه مايضطره الى ذلك ، وعلى ذلك أرغم بأن يعتقد في خطأ تقديره لقوات العدو وان الخطر محدق به من جهة غير معروفة .

وفى الوقت الذى وصلت فيـه الأوامر للبريطانيين بالتقهقر كان الفرنسيون قد قضوا يوما كاملا يتقهقرون وراء مؤخرة ميمنة البريطانيين وعلى ميسرة الجيش الانجليزى كانت قوات الجنرال داماد قد تجمعت

فى العشرين من أغسطس بين (ستشلدت) والبحر وفى الثالث والعشرين كانت الفرقة الرابعة والثمانون منها عند كوندى

وفى الرابع والعشرين تقهقرت . .. والى أبعد من ذلك عند الغرب كانت الفرقة الثانية والثمانون معسكرة بين سكارب وليل واشتبكت في الثالث والعشرين من أغسطس فى القتال مع بعض قوات الفرقة الثانية من فرسان الجيش الألماني . وكانت الفرقة الحادية والثمانون أيضا تراقب الحدود بين ليل ودنكرك لتمنع قوات الألمان الراكبة والسيارات المسلحة عن مهاجمة خطوط مواصلات الانجليز مع مواقع القتال . وفي ذلك الوقت وصلت الفرقة الثامنة والثمانون وهى آخر قوات الجنرال داماد الى آراس فكانت بذلك كل هاتيك القوات مبعثرة ولكنها لم تلبث أن نظمت إلا أنها كانت مفتقرة الى الذخائر وعلى ذلك فبينما كان في استطاعتها أن تحدد مبلغ جهد الفرسان الألمان لم تكن فى موقع يمكنها من الحيلولة دون تقدم قوات ڤون كلك الأصلية وهنابات الجيش البريطاني فى عزلة تامة طوال ليلة ـ ٢٣ ، ٢٤ فى مواجهة قوات من العدو تربو على ضعفى عدده .

وكان ڤون كلك فى الرابع والعشرين من أغسطس يرى أن يحتل مركز القوات البريطانية جنوبي مونز بالفيلقين الثالث والتاسع فى الوقت الذى يدور فيه الفيلق الرابع حول جناحنا الأيسر، غير أن قواته أثر التجربة التى لاقتها في اليوم السابق ، بدأت العمل بحذر ولم تحاول مشاة الألمان الاقتراب من خنادق الانجليز إلا بعد أن تكون مدفعية الألمان

قد أخمدت نيرانها تماما . وكان السير دوجلاس هيج قد وصلته فى الليلة السابقه أنباء كثيرة عن تقهقر الجيش الفرنسى الخامس قبل أن تصله أوامر السير جون فرنش وعلى ذلك قرر أن ينسحب الى الوراء ومن ثم وصلته الأوامر فأصبح فى استطاعته أن يفرسراعا في الصباح قبل أن تتم ميمنة فون كلك كل ترتيباتها .

أما فى مواجهة قوات السير هوراس سمث دوريين ، فقد بدأ الفيلقان الثالث والتاسع فى اطلاق نيران مدفعيتهم بشدة بعد الفجر مباشرة وتبع ذلك بعد ساعتين أوثلاث هجوم المشاة في جموع كثيفة ولكن الانجليز أفلحوا فى ردها على أعقابها ثم كان بعد ذلك بقليل أن تقدم الفيلق الرابع في قولين بين بوميروى وكوندى وكان من الواجب أن تكون حركة الالتفاف ذات أثر كبير لو أنهم بكروا فى محاولتها قبل ذلك بساعات لأنه فى الوقت الذي حاول الألمان فيه أن يلفوا حول ميسرة الانجليز كان هؤلاء قد أعدوا كل سبيل للتقهقر ، وكان كل جندى يعرف كيف ومتى يكون هذا الانسحاب . وعلى ذلك ذهبت ضربة الألمان فى مجموعها أدراج الرياح على أنه بالرغم من أن فرسان الجيش الانجليزى والجيش الفرنسى الخامس لم تتقهقر دون أن تدفع ثمنا غاليا لهذه النجاة .

الآن غالبية الجيش الفرنسى قد انسحبت من طريق تلك القوات الكثيفة المتدفقة كانحدار الجليد الى سفح الجبل دون خسائر فادحة (كانت خسائر الانجليز فى يومى ٢٣ ـ ٢٤ نحو ٤٣٥٢ مقاتل) تاركين ميدان القتال وقد ازدحمت فيه تلك الجموع الكثيفة فى ثياب الميدان الرمادية التى لم

تخرج من مستودعات مصلحة المهمات الألمانية إلا من أسابيع قليلة . .

وهكذا بدأ تقهقر الحلفاء من مونز..

الفصل السادس

﴿ المطاردة والتقهقر ﴾

« لوكاتو LeCateau »

كانت قلعة موبيچ تبعد عشرة أميال جنوبى مونز . وفي الحقيقة أن مجموعة تلك القلاع التى تحيط بالمدينة لم يكن لها تلك القيمة الحربية التى كانت لقلاع ڤردون وتول ، فقد تباطأت الحكومات الفرنسية المتتابعة من عهد الثورة فى التأكد من أنه سوف يأتي اليوم الذى ينقض فيه الألمان عهودهم باختراق البلچيك فى طريقهم الى فرنسا ، وعلى ذلك لم ينفقوا فى سبيل الدفاع عن الاراضى الفرنسية في الشمال جزءا يسيرا مما أنفقوه فى إعداد سبل الدفاع عن الاراضى الفرنسية المجاورة لالمانيا ، غير أنه كان هناك من العسكريين الفرنسيين طائفة اقلقها بقاء هذه الحدود فى الشمال الشرقى طليقة دون أن تحصن تحصينا كافيا ، فاعدوا العدة لتقوية دفاع موبيچ الا أن ذلك جاء متاخرا فقد ثارت العاصفة وسار الألمان في طريقهم الى فرنسا يسلكون السبيل الذى لم تكن فرنسا باسرها تنتظر أن تصلها جيوش المانيا الكثيفة منه ، عابرة الموز ، مدمرة حصون نامور وليبچ التى لبثت منذ أن كانت ،

حجر عثرة فى سبيل الجيوش الجرارة التى تحاول أن تكتسح البلچيك .

« وقد نستطيع هنا أن نقول أنها السياسة ، أو الى حد أبعد من ذلك ، أنها المعاهدات التى أمضتها الدول والتى كان اتفاقها على وضعها أصدق دليل على محاولتها احترامها والعمل على تنفيذها ، واذن يحق لنا أن نلتمس لفرنسا العذر اذا هى اكتفت بتحصين حدودها الشرقية ، تاركة الاراضى الفرنسية الشمالية عند البلچيك دون أن تعمل على تحصينها ، ما دامت هذه الاراضى لن يطرقها الالمان فى تقدمهم نحو فرنسا ، سيما وأن الفرنسيين كما قدمنا كانوا يعتقدون بانه من المحال أن تنقض المانيا عهودها التى أخذتها على عاتقها باحترام حياد البلچيك ، بل والى جانب ذلك كان الفرنسيون يعتقدون أن البلچيك سوف لا تقف مكتوفة الايدى في وجه الالمان اذا حاولوا خرق حيادها ما دامت الاراضى البلچيكية تحميها حصون نامور وليبج التى كان العالم باسره على اعتقاد بانها امنع من عقاب الجو ، ولكن الالمان نسوا فيما تناسوه حياد البلچيك بعد أن اعدوا العدة لتدمير حصونها التى تقف فى طريقهم ، وما دامت السرعة بمفردها هى التى تحدد طريق المشاة اذن فمن الواجب أن لا يكترث بحياد البلچيك وأن تعتبر تلك المعاهدات قصاصات من الورق فكانت هى الحرب ، والحرب لا تعرف قانونا ولا تدرك مدنية وما دام الخصمان يقتتلان بسلاح واحد وما دامت تسود كل منهما شرور واحدة فياويل المغلوب ويا فرحة المنتصر » .

وكان دوى المدافع المستمر هو أول انشودة من مأساة الحرب

سمعها الانجليز عند ما تجمعوا جنوبى قلاع ما باج ، ودلتهم الفرقعة على أن الجنرال فورنيه يعمل على قطع الغابات وهدم الابنية التى تعيق نيران مدفعيتهم ، وفى طوال تقدمهم نحو الشمال كانوا يرقبون الخنادق المحفورة بعناية والاسلاك الشائكة الكثيفة التى تكون موقعا حصينا يمتد الى مسافة عشرين ميلا فيربط هاته الحصون بعضها ببعض ، فبدا اذ ذاك بوضوح أنه ولا ريب موقع حصين تستطيع الجيوش المتحاربة أن تعتمد عليه . وكان فورنيه فى جماعة لا تقل عن خمس وثلاثين الف مقاتل من التريتوريال وجماعات الاحتياطي قد سدت الطرق الرئيسية الممتدة جنوبا من مونز ، كذلك خطي السكة الحديد من مونز الى شارلروا وفى مونز الى ماباج ، وعلى ذلك فقد استطاع أن يؤثر فى تقهقر البريطانيين ومطاردة الالمان لهم .

وكانت أقصى هاته القلاع عند الشمال الشرقى تقع على مسافة خمسة أميال جنوبى غربي ميمنة السير دوجلاس هيج ، وكانت الطرق نحو شرق هاته القلاع قد أغلقها تقهقر الجيش الفرنسى الخامس وعلى ذلك تقهقر الانجليز لاول مرة في اتجاه الجنوب الغربى .

وكانت أوامر ڤون كلك فى اليوم الرابع والعشرين قد صدرت بارسال جيشه الى هذه الجهة أيضا وكان يامل فى أن يستطيع بفيلقيه الثالث والرابع أن يدور حول جناح الانجليز الايسر بينما يكون الفيلق التاسع في تقدمه نحو موبيج على أن يراقب الى أمد قصير الوجهتين الشمالية والشمالية الغربية لهذه القلاع التى كانت ـ الى حد ما ـ محاطة بجنود

الفيلق السابع الاحتياطى من الجيش الالماني الثانى والتى دمرت بمدفعية الحصار الضخمة التى استحضرت من نامور . وكما نعلم أن هـذا المـكان قـد سقط فى السابع من سبتمبر منذ كانت أصوات القتال في معركتى أورك والمارن تقترب .

وكان فون كلك كما رأينا قد عزم على مهاجمة مقدمة وجناحى الجيش الانجليزى فى اليوم الرابع من أغسطس، ولاريب أنه من الصعب التغيير السريع لحظة ما إبان الالتحام بقوات العدو . إلا أنه مر وقت طويل قبل أن تصل الأوامر بذلك الى أقسام الجيش المنتشرة على طول ميـدان القتال هـذا عدا أن مشاة الألمان مازالوا يذكرون تلك الخسائر الفادحة التى تـكبدوها عنـدما هاجموا مواقع الأنجليز إبان تقدمهـم الى قنال مونز فى الثالث والعشرين من أغسطس وعلى ذلك باتوا يقتربون من خطوط الأنجليز بحذر حتى ولو كانوا عند حد الاعتقاد بان الانجليز قد تركوا هاته المواقع . والحقيقة أنه فى الـكثير من حوادث التقهقر خلال الحرب الـكبرى سواء أكانت الجنود المتقهقرة من الحلفاء أو الألمان كانت هذه الحوادث تظل أمداً طويلا مجهولة عن الخصوم ، وعلى ذلك عندما تقهقرت ميمنة البريطانيين أخفت قلاع موبيج هذا التقهقر الى حين ، فضلا عن أن مدافع القتال كانت ترغم الالمان وتضطرهم الى وقاية جنودهم وقد يوضح ذلك أن مطاردة الجيش الألمانى الأول للبريطانيـين كانت بطيئة ، هذا عدا أنه يبدى أيضا أن الفيلق التاسع الذى كان يتقدم من مونز لم يؤثر فى تقهقر قوات السير دوجلاس هيج التى وصلت عند

سقوط الظلام الى مواقعها بين موبيج وبافاى ، والحقيقة أن قواتنا لم تتكبد خسائر فادحة ، فلم يعان لواء الفرسان الخامس الذى كان يغطى حركة التقهقر مشقة جسيمة ، كذلك لم توفق ميسرة الفيلق الألمانى الثالث الى ايقاف الفرقة الثالثة الانجليزية التى تكون ميمنة قوات السير هوراس سمث دوريين ، غير أن ميمنة اللواء الالمانى الثالث وفرقتى الفيلق الرابع كانت كلها تقوم بعمل آخر ، فقد دفع الالمان الفرقة الخامسة من الفيلق الثالث الى اكتساح مقدمة الفرقة الخامسة من قوات سمث دوريين بينما يسوق الفيلق الرابع بأكمله الجيش الانجليزى نحو موبيج على أن يسرع فرسان فون دير مارويتز — كانت فرسان دير مارويتز إذ ذاك قد عادت ثانية تحت أمرة فون كلك — نحو الجنوب الى تورناى لتحول دون الأنجليز والقواعد البحرية المزعومة فى كاليه وبولون

وكان فون كلك فى صباح الرابع والعشرين قد دفع فرقته الخامسة واللواء التاسع عشر على جانبى القنال بين سانت جيزلين وكوندي في مواجهة فرسان اللنبى ، غير أنه أضاع وقتا طويلا فى أعداد قوته ، والواقع أن الانتصار على عدو ينتظر المعركة وهو يجهل أنه يواجه قوات كثيفة تتقدم نحوه مسألة ميسورة ، بل وكذلك لاريب في أنه من السهل هزيمة عدو يعد قواته للتقهقر قبل أن يقدم على المعركة ، ففى ظهر ذلك اليوم كانت قوات كثيفة من الألمان تحاول الدوران حول ميسرة الانجليز بين قنال كوندى وقرى المعدنين جنوبى غرب مونز ، فاشتبكت في قتال عنيف مع قوات الجنرال فورجوسن وفرسان اللنبى

إلا أن ذلك لم ينتج أكثر من سلسلة محاولات يائسة أسفرت عن تعطيل الألمان ، وقد تكبد بعض أورط الفرقة الخامسة الأنجليزية خسائر فادحة الا أن هذا القتال العنيف كان ولاريب للمشاة البريطانيين من الواجب أن يسطر بمداد التقدير والاعجاب فى سفر الحرب

ولقد أسر الالمان عددا وفيراً من مشاة البريطانيين ، إلا أن قوات ڤون كلك طوال محاولتها لاضعاف مقاومة الانجليز وتعطيلهم حتى تستطيع فرسان ڤون دير مارويتز الدوران حولهم كانت هدفا واضحا لنيران مشاة الانجليز ومدفعيتهم ، والواقع أن ذلك لم يمكن الالمان من الحصول على نتائج جدية بجموعهم الكثيفة فقد تكبدت الفرقة الخامسة من الفيلق الألمانى الثالث خسائر فادحة أثناء مهاجمتها للفرقة الخامسة الأنجليزية ، فأعياها هذا القتال العنيف عن متابعة مطاردة الأنجليز ثم لبثت بقية اليوم مشتبكة فى قتال عنيف مع أورطتين من المشاة وبطارية من مدفعية الفرقة الخامسة يعاونها لواء من فرسان اللنبى ، أما الفيلق الرابع الألمانى فقد اشترك فى حركة الالتفاف لضغط الانجليز نحو الجنوب على طول الطريق من مونز الى ڤلنسين حتى أصبح تدريجيا يهدد سلامة الأنجليز .

ولقد حدثت عدة ما سى فى هذه المعارك الدموية غير أنه من الواجب أن نترك كل البيانات المستقاة عنها من أولئك الذين رأوها رأى العين لقصاص مؤرخ يستطيع أن يتحدث عنها باسلوب روائى ، إلا أننا من الواجب أن نذكر اثنتين منها كنموذج لهذا القتال العنيف الذى

وقع فى ذلك اليوم ، وقد لاتزيد الأولى في مجموعها عن وقوف البطارية «ل» من المدفعية R . H . A وراء سياج قصير على مسافة لاتربو على الألفى ياردة في مواجهة ثلاثة اورط من مشاة الألمان تعاونها اربع بطاريات من مدفعية العدو . ووقفت البطارية في عزلة تامة عن الجيش الأنجليزى ، الا أنها رغم كل تلك النيران المندلعة من افواه مدافع البطاريات الأربعة استطاعت ان تحول دون تقدم الألمان ثلاث ساعات ثم تقهقرت دون أن تفقد شيئا من مدافعها عندما نفذت ذخيرتها

غير أن الثانية لم تكن كذلك ، فقد كان أبطالها من المشاة إذ حال بلوك واحد ـ وقد كانت القيادة العليا الانجليزية قد فاتها أن تعطيه أمراً بالتقهقر ـ دون تقدم الألمانيين ، ولبث بمعاونة مدفع مكنة واحد حتى انسدال الظلام في عراك عنيف مع الألمانيين ولكن هؤلاء الأبطال غلبوا على أمرهم أخيراً ولم يجد الالمان عندما أحاطوا هذه القوة الصغيرة بجموعهم الكثيفة أكثر من أربعين مقاتلا استطاعوا رغم جراحهم الدامية أن يقفوا فى وجه العدو حتى استنزفوا آخر مجهود فى مكنتهم .

وقد جاء الظلام والجيش الأنجليزى المنهوك القوى يسير متباطئا في حراسة فرسان اللنبى ـ الذين أفلحوا طوال ذلك اليوم فى اثقال كاهل الألمان بخسائر فادحة ـ مندفعا فى خط واحد مع بقايا الجيش الفرنسى فى مواجهة طويلة تمتد من لالو نجفيل نحو جنلين مارة بيافاى على الطريق من موبيج الى ڤلانسين .

ويجب أن نذكر أن الفرقة الرابعة والثمانين الفرنسية كانت فى

فلانسين منذ أن سحبت في اليوم الخامس والعشرين ولما كانت لا تستطيع أن تجاوب نيران مدفعية الالمان بمثلها اضطرت الى أن تتقهقر بينا كانت كشافة الفرقة الثانية من فرسان الجيش الألمانى تحتل دووای ؟ ولذا سحب خط دفاع جنود داماد بين دووای وكامبريى . وكان الجيش الالمانى الثالث في الرابع والعشرين من أغسطس على ميمنة الجيش البريطانى قد ارغم الجنرال لانريزاك على التقهقر الى أبعد مما وصل اليه نحو الجنوب . وفى المساء كانت ميسرة قواته ـ الفيلق الثانى عشر ـ قرب سولر لو كاتوا على مسافة اثنى عشر ميلا جنوب غربى ميمنة البريطانيين ، بينا وقفت فرقته الثالثة والخمسين والتاسعة والستين الاحتياطى عن التقدم عندما وصلت الى دائرة قلاع موبيج الا أن الاوامر صدرت لها بمتابعة تقهقرها عند الفجر ولم تستطع فرسان الجنرال سورديه ـ الذى قرر أن يعاون المشاة فى ردحركة الالتفاف التى تهدده ـ الوصول الى جناحنا الايسر وذلك بالنسبة لازدحام الطرق واعياء جياده فاضطر الى أن يأوى الى موبيج وبات الجيش الأنجليزى كما هو فى عزلة تامة غير بعيد عن الشباك التى ينصبها ڤون كلك في طريقه .

وكما أثرت حصون لياج فى تحركات جيشى السير چون فرنش والجنرال ڤون كلك طوال اليوم الاول للتقهقر ، كذلك عينت على وجه التأكيد غابة مورمال فى جنوبى حصون موبيج السبل التى تضطر الجنود أن تسلكها فى اليوم التالى ، ولم يكن ثمة من وقت لاستكشاف الطرق التى تخترق الغابة والتى كانت مبينة على الخرائط العسكرية كممرات

ضيقة ، كذلك لم يك من المظنون انها تصلح للعجلات ، ولما كان الجيش الانجليزى باكمله سيسير الى يمين الغابة كان لابد اذ ذاك من أن تكون هناك ثغرة خطرة بين ميمنة البريطانيين وميسرة الجيش الفرنسى الخامس . هذا عدا أن ميسرة الانجليز سوف تندفع في طريقها بين القوات الالمانية التى تبحث عنها ، ولم تكن هناك كذلك سبل كافية لمرور الجيش بأكمله شرق الغابة ، وعلى ذلك قسم الجيش الانجليزى الى فريقين على أن يسير السير دوجلاس هيج شرقا الى لاندريسيز ويتحرك السير سمث دوريين غربا الى لوكاتو ولا بد أن يكون ڤون كلك قد علم من أسرى الانجليز الذين سقطوا فى يده فى يومى الثالث والرابع والعشرين من أغسطس - ويجب أن يذكر هنا أن كثيرا من القوات البريطانية وكذلك عددا وفيرا من الجرحي قد اضطر الانجليز الى تركهم فى مونز - مبلغ قوات الجيش البريطانى (١) ومكانه

ولما كان ڤون بلو قد نجح الى حد بعيد فى أن يبعث الى قائد الجيش الأول بانباء تقهقر الفرنسيين المستمر ، كان من الواجب أن يعتقد ڤون كلك أن الفرصة قد باتت فى مكنته لسحق القوات الصغيرة المندفعة أمامه ، كما كان أيضا مضطرا الى أن يعتقد بأن تنفيذ ذلك يتوقف فقط على المطاردة السريعة المليئة بالنشاط ، غير أن مشاته كان قد أجهدها طول القتال ، ولم يكن فى استطاعتها أن تتابع مطاردتها بسرعة ، هذا عدا أن

(١) قد علم من احدى الاوامر الحربية التى وجدت فى ميدان القتال أن القوات الانجليزية كانت موجودة بين موبيج وڤلانسين

فيالقه المتقدمة كانت قد وقفت على بعد ستة أميال من نقط الانجليز الخارجية .

وكانت فرسان ڤون دير مارويتز قد وقفت عن متابعة تقدمها من تورني على مسافة عشرة أميال تقريبا شرق دووای Douai ولذا استطاع الانجليز أن يتقهقروا فى سلام من معسكراتهم قرب بافای قبل فجر الخامس والعشرين من أغسطس .

وكانت، جماعة من فرسان الجيش الالمانى قد اشتبكت فى قتال عنيف مع فرسان اللنبى فى بكورة ذلك اليوم جنوبى غربى ڤلانسين الا أن ذلك لم يكسبها غير نجاح ضئيل ، لانها لم تستطع اختراق خطوط الفرسان الانجليز للوصول الى مهاجمة مشاة السير سمث دوريين التى كانت تتقدم فى طريق لوكاتو ـ كامبرمى .

واستطاعت حتى المساء فرسان ڤون دير مارويتز وبصحبتها مشاة ميمنة الفيلق الرابع ، أن تحاصر الحرس الخلفى للفرقة الانجليزية الثالثة فى موقع تحتله شمال سولسمى مباشرة وفى ذلك الوقت كانت فرسان الجيش الانجليزي تحاول التحرك نحو الجنوب الشرقى الى لوكانو لسد الثغرة الواقعة بين فيلقى الجيش الاول والثانى والتى نتجت عن تحركهما على جانبى غابة مورمال .

وكانت الطرق الرئيسية المارة بقرية سولسمى إبان الهجوم الالمانى مكتظة بالعربات التى تحمل المهاجرين الفرنسيين الفارين من وجه العدو وبرجال مواصلات فرسان الجيش البريطانى وجماعات التريتوريال التى

قطع عليها خط الرجعة أثناء تقهقرها من ڤلانسين .

وسنحت فرص عدة للفرسان الالمان للانقضاض على القوات الانجليزية المتقهقرة غير أن الالمان كانوا يجهلون كل ما يحدث وراء مقدمة البريطانيين كما أن متابعة تعقبهم للانجليز كانت قد انهكت قواهم ولم يكن فى مكنتهم مهاجمة قوات المشاة التى أظهرت شجاعة نادرة ، وعلى ذلك استطاع الحرس الخلفى للانجليز المكون من أورطتى ولتشيرز وسوث لانكشير وبطارية من المدفعية أن يثبت فى مكانه حتى بعد انسدال الظلام ، فربح بذلك الوقت الذي كان يستلزمه اخلاء هذه الطرق المزدحمة ، ثم عادت بعد ذلك الى معسكراتها فى كودرى ، ومن المحتمل أن تكون قوات الالمان الراكبة قد عادت تبحث عن مأوى وعن مياه لها عند انسدال الظلام دون أن تحاول بذل أى مجهود للوقوف على ما يقوم به الانجليز .

وكان ڤون كلك ينتظر مقاتلتنا مرة ثانية في اليوم الخامس والعشرين على طول الخط من باڤاي الى ڤلانسين وأصدر أوامره بذلك استعدادا للمعركة الا أن سفنه الهوائية اكتشفت أن الانجليز مازالو يتقهقرون نحو لوكانو ، وحملت اليه تلك الانباء سريعا وعلى ذلك أمر ڤون كلك بمتابعة مطاردتهم ، وكان ڤون كلك يأمل في أن تتمكن فرسان ڤون دير مارويتز من أن تحول تقهقر الانجليز الى هزيمة الا إنها كما قلت استطاعت فقط مهاجمة الحرس الخلفى للقوات البريطانية قرب سولسمي بعد أن اشتبكت معه ميمنة الفيلق الرابع في قتال عنيف ، ثم تقدمت ميسرة الفيلق الرابع في طريقها نحولوندريسي ولوكانو ، الا أن قواتها الامامية

وقفت على بعد أميال قليلة شمال المدينة ، ووقفت كذلك القوات الامامية للفيلق الثاني المتقدم غرب ڤلانسين في قولين على مسافة ثمانية أميال شمالى كامبرسي ثم وصلت مقدمة الفيلق الرابع الاحتياطى كذلك الى مسافة قليلة منها

وفى شرق غابة مور مال هاجمت بعض القوات فى ميسرة الفيلق الرابع ومعها الحرس الأمامى للفيلق الثالث الذى اخترق الغابة من بافاى قوات السير دوجلاس هيج فى مرمال ولوندريسى . فى الوقت الذى وصل فيه الانجليز الى معسكراتهم (١) وقد استمر العراك العنيف الذى حدث فى القرى وقتا غير قصير من الليل . وقد حاول الألمان دخول لوندريسى التى كان بها فيلق الحرس الرابع الانجليزى خدعة باستبدال ملابس القوى الألمانية بملابس مشاة من الفرنسيين غير أن الألمان فشلوا في كلتا المحاولتين ولكنهم نجحوا أخيرا فى إقلاق راحة الأنجليز وعدم السماح لهم بالخلود للراحة ، ولو استمر ڤون كلك فى مطاردته للأنجليز ومتابعة مهاجمتهم كلما أخلدوا الى الراحة لتمكن من قتل روح البريطانيين المعنوية خاصة لأنهم يكونوا على علم باسباب هذا التقهقر ، ولقد قضى الانجليز أياما طويلة فى قتال مستمر يعقبه سير طويل شاق تحت شمس أغسطس المحرقة ، وكانت هذه الايام تنتهى غالبا بانتصارات طفيفة يتناوبها الطرفان ، الا أن الافتقار الى النوم والراحة ومواصلة

---

(١) يقال أن جزء من القول الأيمن لجيش ڤون بلو المتقدم شرق السامير قد اشترك أيضا فى هذا القتال

الاستعداد لمقابلة خطر مجهول لا يدرك كذلك كان قد بدأ يؤثر فى الجنود غير أنه لحسن حظ الانجليز كانت هاته المشاق والمتاعب قد أثقلت كاهل كل من الناحيتين ، لانه بالرغم من أن الالمان قد نجحوا الى حد بعيد فى نضالهم وكانوا يتقدمون يوميا فى أراضى العدو كما كانوا يدفعون أمامهم الجيوش الفارة على غير هدى ، الا أن الاعياء كان أيضا له أثره فى الالمان وكذلك لم تكن ترتيبات الامداد لتتم بسرعة لأن موبيج كانت توصد الطريق الحديدى الذى يحتمل أن تكون الامدادات لجيش فون كلك قد وصلت منه ، وكانت كذلك غالبية المعابر المقامة فوق قنال مونز قد دمرت ولذا كان من الصعب على قوات الامداد الالمانى أن تحافظ على المسافة التى بينها وبين قوات الجيش الالمانى المتقدمة طوال تلك المطاردة المستمرة ، ولقد شكا الكثيرون من جنود الالمان الذين وقعوا فى أسر الانجليز من أنه لم يكن لديهم الطعام الكافى لهم ولجيادهم ، وعلى ذلك الحال التقى وجها لوجه في مساء الخامس والعشرين من أغسطس جيشان قد انهك طول القتال كل منهما وأعياه .

وكانت تعليمات السير جون فرنش فى مجموعها لا تعدو أن يتابع الانجليز تقهقرهم فى السادس والعشرين . والواقع أن الفيلق الاول الذى يقوده السير دوجلاس هيج قد سار نحو الجنوب في اتجاه جوايين وقواته تكاد تلاصق فرق احتياطي الجيش الفرنسي الخامس ، غير أنه في منتصف ليلة ٢٥ ـ ٢٦ وجد السير سمث دورين جزءا كبيرا من قواته قد وصل في تلك اللحظة بعد أن مرت به عشرون ساعة متوالية كلها اجهاد

مستمر، فضلا عن أن قوات العدو كانت منتشرة على طول خط مقدمته ولم يعد بعد في مكنته أن يتابع تقهقره عند الفجر .

وحوالى الساعة الثانية من صباح الثالث والعشرين أخبر اللنبي السير سمث دوريين أن رجاله متفرقون وقد انهكت قواهم المعارك المتتابعة ، وكذلك جياده قد أعياها طول السير ، ولذا لن يكن في استطاعته أن يغطي التقهقر في الصباح التالى ، وقد أضاف اللنبي الى ذلك بأن العدو قد اقترب في قوات كبيرة من نقط الانجليز الخارجية وعلى ذلك يجب أن يكون التقهقر قبل أن تبدو تباشير الصباح اذا كان سيطلق سراح الجنود ليفر كل منهم محاولا النجاة بنفسه وفى نفس الوقت أخبر الجنرال هبرت هلتن السير سمث دوريين بأن الفرقة الثالثة لن تتمكن من معاودة السير قبل الساعة التاسعة صباحا ، اذ ذاك اضطر دوريين الى القتال وأصدر أوامره بالوقوف عند الهضبة التى تمر مباشرة جنوبي طريق لوكانو وكامبرمى .

وفى بكورة الصباح التالى دخلت ميسرة الفيلق الرابع لوكانو ، واكتشفت جنودها أن المدينة كانت مكتظة بالانجليز ، والحقيقة أن لواء المشاة التاسع عشر كان يحيط بالمدينة كما كانت بعض قواته داخلها ، وكذلك كان جزء كبير من فرقة الفرسان البريطانيين على مقربة من المكان .

وقد جاءت كل هاته القوات من جناح البريطانيين الايسر حيث نزلت بالمكان بعد انسدال الظلام وجنودها على جهل تام بما يحيط

بهم ، بينما كانت بعض أورط الفرقة الخامسة البريطانية خارج حدود المدينة مباشرة .

وكان القتال المضطرب الذى حدث كافيا ليدل الالمان على أن في الانجليز قوة لا يستهان بها ، وأنهم قد ثبتوا فى مواقعهم وأنهم لن يتقهقروا الان البطاريات الالمانية التى اشتركت فى القتال سرعان ماجاوبتها بالمثل مدفعية الانجليز التى كانت خلف الهضبة جنوب غربى المدينة .

وفى ساعة مبكرة هاجمت القوات الامامية لميمنة الفيلق الرابع مدينة كوردى ولكن الالمان الفوها على جانب كبير من المناعة والمشاة في خنادقهم تعاونهم المدفعية على جانبى المدينة ، وفى ذلك الوقت اكتشفت السيارات المسلحة التى تصحب الفرسان الالمان أن مشاة الانجليز يحتلون المواقع بين كوردى ووامیکس ولا بد أن يكون ڤون كلك عند ما وصلته تلك الانباء قد فكر فى خطة تشابه تلك التى قام بها نابليون فى صباح الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٨١٥ عند ما وجد الانجليز في واترلو ، ولا بد أن يكون قائد الجيش الاول قد حذر أن قواته تكاد تلتصق بالفيلق الاول الذى يقوده السير دوجلاس هيج الذى كان اذ ذاك يتابع تقهقره وبينه وبين ميمنة السير هوراس سمث دوريين ثغرة فسيحة ، بل ولا بد أن تكون فرسانه كذلك أخبرته بان كامبرى تحتلها قوة من الفرنسيين ، غير أنه كان هناك فاصل كبير بين المدينة وبين ميسرة البريطانيين التى كانت قد مدت بجنود جدد ، والحقيقة أنه بالرغم من كل هاته التقوية كان من المؤكد أن البريطانيين لا يستطيعون

أن يقفوا فى وجـه هاته الفيالق الاربعة وتلك الفرق الثلاث من الفرسان التى كانت على مقربة من ميـدان القتال ، وبالرغم من أن الفيلق الرابع الاحتياطي لم يصل منه أحد الى ميدان القتال فى اليوم السادس والعشرين الا أن قوات ڤون كلك مع ذلك لم تـكن تقـل عن مائة وعشرين ألف مقاتل تواجـه خمسا وخمسين ألفا من البريطانيين يقودهم السير هوراس سمث دوربين وأربعة آلاف من الفرنسيين فى كامبرى ، هـذا عدا أن مدفعيته كانت بالنسبة الى مدفعية الانجليز أنفسهم كالنسبة بين واحـد وثلاثة ونصف ، وكانت خطتـه في مجموعها صورة أخري من تلك التى فشلت فى مونز في اليوم الرابع والعشرين ، أى كما نستطيع أن نقول إنه اعتزم مهاجمـة المقدمة بنيران مدفعيته ، ثم يتبع ذلك بتطويق كل من الجناحين ، ولذا كان على الفيلق الرابع أن يقوم بهجوم أمامى على البريطانيين من غرب لوكانو الى كودرى على أن يسـير الفيلق الرابع الذى كانت قواته الاصلية حول مورمال ولوندريسى عند ما تبدأ المعركة غرب السامبر الى لوكاتو ليهاجم ميمنة البريطانيين ويدور حولها ، أضف الى ذلك أنه كان قد أعد فرسان ڤون دير ما رويتز لمهاجمة ميسرة البريطانين فى الوقت الذى يقدم فيه اليها الفيلق الرابع الاحتياطى من ڤلانسين على أن يتحرك الفيلق الثانى الى كامبرى.

وكانت غالبية فرسان اللنبي فى ميمنة قوات السير هـوراس سمث دوربين بين لوكاتو والسامبر (١) وجاءت بعد ذلك الفرقة الخامسة متقدمة

---

(١) تحركت هاته القوات من الفرسان اخيراً الى الجناح الايسر لمعاونة قوات

نحو مركز القوات البريطانية ، ثم تحركت للامام يعاونها اللواء التاسع عشر فى دفاعها على خط القتال بين ضواحي لوكاتو الغربية وتروازفيل ، وكانت الفرقة الثالثة تشغل اذ ذاك مركز القوات حتى كودرى ثم امتدت الى ما وراء ذلك في مركز القوات حتى كودرى ثم امتدت الى ما وراء ذلك في الجناح الايسر للفرقة الرابعة التى كانت قد وصلت اذ ذاك من انجلترا ، والتى كانت قد تقدمت شمال طريق لوكاتو ـ كامبرى في اليوم السابق لوقاية تقهقر الفيلق الثاني ، وقد نستطيع أن نقول أن قوات السير هوراس سمث دوريين كانت موزعة كالاتى . تحركت الفرقة الرابعة أثناء الليل لتغطى ميسرة السير سمث دوريين ، وسارت المدفعية مع لواء واحد من المشاة الى جنوب وارفل بروك ، وتحرك كذلك اللوا آن الباقيان الى باڤوا وكاتينييه حيث ظلا حتى فجر السادس والعشرين ، واحتل لواء الفرسان الرابع موقعا في ميسرة مؤخرة الفرقة الرابعة على أن يراقب الجناح باكمله أيضا ، وبدأت الموقعة في ساعة مبكرة من الصباح بقتال غير منظم حول لوكاتو وعلى ذلك اشتبكت قوات الفرقة الرابعة التى كانت بين باڤوا وواميكس فى قتال عنيف مع فرسان ومدفعية ڤون ديرمار ويتز وكان دوريين قد فكر فى أن تحتل الفرقة الرابعة موقعا للقتال على أن يكون جناحها الايمن قرب كودرى وعلى أن تنشر قواتها الامامية على طول الهضبة التى تعلو الدرب الضيق الوعر الذى تكونه هضبة وارنل بروك فى اتجاه

الجنرال سوردبه فى عملها .

أسنى ، غير أنه قبل أن يحتل لواءا المشاة اللذان لم يكن من المستطاع مدهما بالمدفعية إذ ذاك امكنتهما على طوال ذلك الخط اشتبكا في عراك عنيف مع قوات كبيرة من المشاة والفرسان تعززها مدفعيةوفيرة العدد والحقيقة أن المدفعية الانجليزية التى ارسلت بعد ذلك لمعاونتهما كانت فى ذلك الوقت تتحرك للوصول الى اماكنها على طول وارنل بروك. وتقهقر الانجليز الى الوراء تدريجيا وبيطء وكان خط القتال بين الثامنة والتاسعة صباحا على طول هضبة وارنل بروك ، والواقع أن فرسان ڤون دير مارويتز اشتركت في معركة مونز والتى كانت لذلك أقل حيطة من سواها حيث كانت قد اندفعت فى الصباح الى القتال عند حد الأعتقاد بانها تطارد عدوا يتقهقر باستمرار ، ولاريب أن تقهقر القوات الأنجليزية التى التقت بها لأول وهلة قد ضاعفت من هذا الاعتقاد ، الا أن هذا التقدم المستمر والذى كان دون أي جدل قبل الوقت المناسب (١) له قد انتهى بوقعة اضطرارية سببتها نيران مشاة البريطانيين وتلك المدفعية التى كانت تعاونهم

ومن الواجب أن يعتبر كل ذلك القتال الذى حدث مناوشات رغم امكان القول بأنه قتال عنيف وذلك لأن أوامر ڤون كلك لم تكن قد وصلت بعد الى قواته المتفرقة عند مابدأ القتال ، ولم يكن قد حذر أى شئ حتى اللحظة التى وصلته فيها تقارير قواته الامامية تنبئه بان الانجليز

(١) المعنى الحربى الذى يستعمل فى الكتب الحربية لكلمة Premature التى وردت فى الاصل الانجليزى هو « قبل الاوان » أى قبل اللحظة المناسبة لبدء العمل

قد صمموا على القتال ، هذا واذا اتخذنا هجوم قوات ثون كلك الذي حصل بعد ذلك مثالا للحكم على خطة ثون كلك فان مسائل اقتحام المشاة ـ ولا ريب ـ للمواقع التى تحتلها الانجليز لم يكن جزءاً من خطة ثون كلك بل ونستطيع منها أن نقول أن طريقة قوات ثون كلك في الهجوم كانت مشابهة تماما لتلك التى ذكرت في رسالة الضابط الالمانى التى نشرت فى الفصل السابق ، أوعلى وجه آخر كما يقول الضابط الألمانى فى رسالته (تمزيق نسيج العناكب) وهو يريد به هنا مواقع الأنجليز بنيران مدفعية الميدان ، وقد بدأت الموقعة بعملية تدمير قوية ازدادت نيرانها كثافة عند ما اشتركت مدفعية لوا آته الأربعة فى القتال ، ولقد كانت مجموعة القرى ـ التى كانت على طول مقدمة البريطانيين وخلفهم بليل ـ بكنائسها وما يعلوها من ابراج وقباب هدفا ظاهرا لمدفعية الألمان ، ولم يكن البريطانيون يعلمون اذ ذاك أنه بالرغم من أن القرية يمكن أن تحول الى حصن صغير اذا كان هناك ما يكفى من الوقت والأدوات والعمال لاعدادها لتكون موقعا للدفاع ، فهى الى جانب ذلك شراك يستطيع العدو أن يتصيد به خصومه ، لانه الى حد بعيد اذا لم يعمل على اخفائها وتضليل العدو عن موقع المدافعين لباتت واضحة لجنود المدفعية يستطيعون دون أى مشقة أن يوجهوا اليها نيرانا متجمعة قوية تفوق نيران القوة المدفعية ، وعلى ذلك يستطيعون أن يخمدوا نيران المدافعين ويعاونوا مشاتهم في تقدمهم لاقتحامهم ، وعلى ذلك لأول وهلة اضطر الانجليز الى نقل ذخيرتهم ومراكز قيادة الأورط واللوا آت

المشتركة في القتال والمستشفيات التى أقيمت في الكنائس والأبنية الضخمة تفاديا من ذلك الوابل من النيران التى كانت تنهمر من مدفعية الألمان ، والواقع أن مدفعية البريطانيين كانت في أمكنة أحسن من تلك التى كانت فيها فى مونز وعلى ذلك استطاعت، رغم ضآلة عددها وضعفها أمام مدفعية الالمان : معاونة المشاة الانجليز فى أن تكبد الالمان المتقدمين خسائر فادحة. الا أن بعض مدفعية الفرقة الخامسة فى الجناح الايمن لم تجد مواقع مغطاة تستطيع أن تختفى خلفها ، وعلى ذلك تكبدت البطاريات التى كانت فى الشمال والشرق خسائر فادحة ، ولكنه بالرغم من أن عدداً من مدافعها قد عطل واستطاع العدو وهو يراها هدفا ظاهرا لنيران مدفعيته، أن يقذفها بنيران متجمعة ، بقيت حتى النهاية تلك المدافع التى تستطيع العمل وتجاهد من أجل النصر ، لأن غالبية كل من مدفعية الألمان والبريطانيين كانت توجه نيرانها الى المشاة ، فالألمان يحاولون أن يخرجوا الانجليز من مكامنهم فى الخنادق بتلك الغلالة الكثيفة من النيران التى يقذفونهم بها ، والانجليز يحاولون أن يمنعوا الألمان من تنظيم هجوم مشاتهم على مواقع الانجليز .

واضطرت الفرقة الرابعة الأنجليزية فرسان ڤون دير مارويتز الموقوف حول مشاة الألمان على طول خط القتال دون أن يفلحوا فى اختراق خطوط دفاع الانجليز فى نقطتين متباعدتين فى الجناح الأيمن قرب لو كانو وقرية كودرى . فقد كانت الأرض قرب لو كانو مليئة بالأخاديد الوعرة والحقيقة كان فى مكنة الألمان - وقد كانت نيران

مدفعيتهم تخفيهم في ستر عن نيران الانجليز أن يتقدموا مع قذف جنود الفرقة الخامسة بنيران شديدة كلها الى حد بعيد من مدافع المدينة . وعلى ذلك عادت الفرقة الخامسة التى تذكر كانت قد نقلت الى مركز القوات البريطانية بعيدا عن الجناح لتكون أقل تعرضاً بعد تلك الخسائر الفادحة التى تكبدتها فى التقهقر من مونز، تخضع لاحكام القدر وتصاريف الحرب ، فترقب مرة أخرى المأساة التى حلت بها وراء مونز وتتحمل أعباء القتال طوال ذلك اليوم . ولم تكن الفرقة الخامسة بمفردها هى التى أثقل كاهلها القتال فى ذلك اليوم فقد ساهمتها قرية كودرى كذلك إذ لبث الالمان يقذفونها بغلالات مستمرة كثيفة من نيران مدفعيتهم بينا كان يدافع عنها جنود قد أعياهم الكلل وأضناهم الجهاد ، وكانت حامية كودري جلها من لواء المشاة السابع الذى كان يقوم فى اليوم السابق بحراسة مؤخرة الفرقة الثالثة ، والذى اشتبك في قتال عنيف قرب سولسمي استمر بعد انسدال الظلام بكثير ، وقد وصلت غالبية اللواء الى كودرى فى ساعة متأخرة من الليل فى حالة إعياء وتعب شديدين .

وكانت القوات الأمامية للفيلق الالمانى الرابع قد هاجمت القرية فى بكورة اليوم — كما ذكرت آنفا — دون أن تترك وقتا للمدافعين تمكنهم فيه أن يتموا اقامة استحكاماتهم ، والحقيقة أن مشاة الألمان قد أفلحوا إلى حد بعيد فى اختراق دفاع الأنجليز واقتحام المكان ، وما لبثت كودرى أن أصبحت بعدأن تقهقرت الفرقة الرابعة الى خط القتال على طول وارنل ، كالابراج التى تقام على زوايا الحصون والمعاقل .

وكما ضرب الألمان ضربتهم الأولى لنامور وهى اذ ذاك رأس زاوية خطي قتال الحلفاء عند بدء معارك السامبر ، وكما هاجموا فى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس قلاع مونز الشمالية لأول وهلة عند ما وصلوا الى ميدان مونز ، عاد ڤون كلك يتابع المجهودات المبكرة التى قام بها الحرس الامامي لقواته المتقدمة للاستيلاء على كودرى ودفع بمشاته يهاجمونها باستمرار تحت ستار كثيف من نيران المدفعية . والحقيقة أن نيران مدافع الألمان هى التى اضطرت الانجليز لاخلاء كودري ، الا أن الاخيرين عادوا ثانية فاستولوا على جزء منها أثر هجوم مضاد ، وبذلك استطاع الأنجليز أن يمنعوا مشاة الالمان من أن ينالوا نصرا حاسما يعتدبه.

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر كانت مقدمة البريطانيين ما زالت تقاتل فى جهاد مستمر رغم بقائها ساعات سبع تناضل تحت ثقل جموع كثيفة تفوقها عددا وعددا . وعلم السير هوراس سمث دوريين أنه قد أحسن صنعا عند ما خلد الى مكانه يقاتل غير أنه لم يكن يجهل أيضا أن ميمنته يعرضها تدريجيا لنيران الألمان استمرار تقهقر الفيلق الاول ، وكذلك كان يعلم أن قوات الالمان التى كانت فى الصباح على مقربة من ميدان القتال ما زالت تهاجم رجاله وقد حذر أيضا أنه لا يد أن يفقد وقتا طويلا لابعاد المعدات الثقيلة عن طريقه . ولكى تصل الاوامر لجنوده بالتقهقر يجب أن يبدأ بها بعد الظهر حتى اذا ما بدؤا يتقهقرون أقبل الليل وأخفى الظلام الحالك تقهقرهم ، وعلى ذلك صمم السير هوراس دوريين على أنه من الواجب إصدار هاته الاوامر ما دام الألمان قد

أفلحوا فى اختراق بعض نقط دفاع الانجليز القوي وما دام يعتقد أنه من الواجب انتهاز كل فرصة لانقاذ رجاله من الخطر المحدق بهم بمحاولة العدو تطويقهم

ولم يكن هذا التصميم أقل شجاعة من تلك الاوامر التى أصدرها فى الليلة الماضية للوقوف والقتال ، وكانت الاوامر التى صدرت فى مونتز للتقهقر قد أعدت قبل فجر الرابع والعشرين من أغسطس ولكنها وصلت الى الجنود قبل أن يشتبكوا فى القتال فى ذلك اليوم ، وعلى ذلك كان الجيش بأجمعه يعلم ما سوف يفعل ، وكيف يقوم بهذا العمل ، الا أن التقهقر في ضوء النهار الساطع والمعركة فى أشدها وقد حمى وطيس القتال على طول الواجهة تجاه عدو يحاول أن يدور بجموعه الكثيفة حول جناح المدافعين وهم يقذفهم بنيران كثيفة من مدافعه ، فكرة ولا ريب كان الجنود يعتقدون قبل الحرب أنها نكبة لا يمكن تلافيها . وكادت عملية الدوران أن تتم بنجاح ولكنها فشلت لان ميسرة الفيلق الرابع الالماني وهى تعتقد أن الأنجليز ، لن يستطيعوا تحمل نيران مدفعيتها من الأمام والاجناب ، بل وكذلك لما كانت متيقنة من قرب القوات الاصلية للفيلق الثالث الذى وصل اذ ذاك الى لوكانو على أتم استعداد للانقضاض على جناح الانجليز ، هاجمت الفرقة الخامسة الانجليزية . ولا تنس أن الأخيرة قد أعياها طول الجهاد ، قبل أن تكون أوامر التقهقر . وقد وصلت في تجوالها الى جميع المنتشرين على طول خط القتال . وقد سبب هذا الى حد بعيد أن اندفع البريطانيون سراعا الى تقهقر فجائي لم يكن في استطاعة

الالمان أن يمنعوه أو يحولوا دونه وعلى ذلك تقبلوه مرغمين

ولم ينجح الفيلق الرابع الألماني فى محاولته وقد يكون ذلك لتباطئه في ارسال أنباء التقهقر الى بقية القوات الألمانية المنتشرة على طول خط القتال لأن هذه لم تبدأ الهجوم ولم تحاول الضغط على البريطانيين . وكانت مدفعية الانجليز قد أبدت مهارة فى تغطية تقهقر المشاة الذين من المدهش أنهم تكبدوا خسائر قليلة بعد ان أخليت الخنادق ، غير ان مأساة أخري لم يكن من المحتمل وقوعها حدثت فى ذلك اليوم . فلقد ذكرت أن الجنود بدأوا يتقهقرون قبل أن تصل الاوامر بذلك الى كل القوات البريطانية المشتبكة فى القتال ، ونتج عن ذلك أن تركت بعض فصائل من المشاة في خنادقها دون أن تعلم بأن القوات البريطانية قد سحبت الى الوراء ، وقد وقع غالبية هذه الجنود فى أسر الألمان وقضوا أعواما طويلة فى سجون البروسيين ، الا أن الذي أرضى ضمائرهم وهدأ من ثائرة نفوسهم الى حد ما انهم قد خدعوا العدو وحالوا دونه ومراقبة ما يحدث على طول خط القتال وبذلك أعاقوه عن مطاردة المتقهقرين ومتابعتهم : .

« والحقيقة أن الميجر سير . ف . موريس مؤلف هذا الكتاب بالانجليزية لم يذكر شيئا أكثر من هذا عن هذه الموقعة ولم يوضح الى حد بعيد شيئا عن الاوامر التى أصدرها السير هوراس سمث درريين بشأن هذا التقهقر بل راح فى كلمات متأثرة يقول : (الا أن هاته البلوكات والفصائل من المشاة تركت بمفردها تجاهد ضد جموع كثيفة من

البروسيين ثم ما لبثت أن وقعت غالبيتها بعد أن أعياها طول الجهاد في أسر الالمان) غير أن المعقول الواضح أن القوات المتقهقرة الفارة من وجه العدو سيما اذ تركت ميدان القتال والمعركة قائمة وقد حمى وطيسها لا بد أن تترك وراءها قوات من الجنود تكون حرس المؤخرة ،والغالب أن تكون هاته القوات من المشاة والفرسان تصحبها طائفة من مدفعية الميدان ، وذلك لايقاف العدو المهاجم والحيلولة دون متابعة مطاردته للمتقهقرين ، والواقع أن القواد حين يتركون هاته القوات والفصائل وراءهم انما يعمدون الى تضحية البعض لانقاذ الآخرين ،أو على وجه آخر تقديم أقل عدد ممكن ثمنا لانقاذ الجيش بأكمله من الخطر المحدق به وعلى ذلك فانا نرجح أن السير هوراس سمث دوريين انما ترك هاته القوات وراءه على مذبح الحرب قربانا فى سبيل انقاذ قواته التى يهددها الألمان بالفناء »

* * *

وليس أدل على حماقة القوات الألمانية التى كانت هناك اذ ذاك من استمرار اطلاق نيران مدفعيتهم على خنادق الانجليز شرق كودرى فى الوقت الذى كانت القوات الانجليزية فيه بعد تجمعها تعتبر الهضبة قرب البتركوبت جنوب ميدان القتال بستة أميال .

وقد نستطيع أن نوضح هنا مدى تقدم الألمان على طول ميدان القتال، ففى السادس والعشرين من أغسطس كانت مقدمة الفيلق الرابع الألماني عند كودري وتروازفل ووصل الفيلق الرابع الاحتياطي الى

وايكنس ومقدمة الفيلق الثالث جنوبي لو كانو بخمسة أميال وكان الحرس الخلفى للقوات الانجليزية المتقهقرة على بعد أميال كثيرة يندفع نحو الجنوب .

ودفع السير هوراس سمث دوريين بجزء من قواته فى طريق سانت كوانتين وآخر في السبل التى تمر غرب المدينة الى السوم مباشرة وعلى ذلك استطاع أن يصل بقواته سالمة الى النهر في ساعة مبكرة من اليوم الثامن والعشرين

وقد غطت فرسان الانجليز تقهقر المشاة بمهارة لا سبيل الى انكارها غير أن الالمان أفلحوا أحيانا فى الاشتباك مع المشاة المتقهقرين مع أن هؤلاء استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم دون كبير عناء ، غير أننا لا نستطيع الا أن نقول أن ذلك كان مجهودا مضنيا للقوات التى اشتبكت في القتال طوال اليوم تحت غلالة كثيفة من نيران مدفعية الالمان . وسارت قوات الانجليز أثناء النهار دون أن تسكن الى الراحة الا فى فترات قصيرة كانت تسمح للجنود بالنوم غير أنهم قطعوا ما يربو على أربعين ميلا فى ثمان وثلاثين ساعة قضوا غالبيتها دون أى طعام

ولقد ساقت المقادير ثانية الفرصة لڤون كلك ليضرب الانجليز ضربة قاضية ، وللمرة الثانية كذلك فشل ڤون كلك فى انتهاز الفرصة واغتنامها عندما سنحت ، فقد كان ڤون كلك يعتقد أنه لا سبيل الى نصر حاسم الا بحركة تطويق واسعة وعلى ذلك تابع سيره بعد المعركة وبعد تقهقر البريطانيين متقدماً نحو الجنوب الغربى بينا كان الانجليز

يتقهقرون باستمرار صوب الجنوب . وقد عاون الفيلق الثانى هذا الخطل كما عاونته أيضا مهارة مشاة الانجليز فى اطلاق نيران بنادقهم، وكما مهدله هدوء ورزانة السير هوراس سمث دوريين فى التخلص من تلك النكبة التى كادت تخط له فى صفحة القدر نهاية مؤلمة

ولو كان ڤون كلك قائدا مدربا لأعد العدة منذ اللحظة التى اكتشف فيها أنه يقاتل الانجليز بجموع تفوقهم عددا وعددا لا للانتصار فى الموقعة فحسب ، وانما لمطاردتهم وابدال تقهقرهم الى فشل لامناص منه ولهذا كان من الواجب أن تكون لديه قوات كبيرة من الفرسان تلبث بلا عمل فى راحة تامة ، وقد اعتنى باطعامها طوال الوقت الذى تعمل فيه المدفعية والمشاة على اخراج الانجليز من خنادقهم حتى تكون على أتم استعداد لمطاردة الانجليز بنشاط وعزم . والحقيقة أنه لو هاجمت فرقة من فرسان الالمان الفرقة الخامسة الانجليزية فى مساء السادس والعشرين وحتى فى صبيحة السابع والعشرين ، لكان فوز الالمان حاسما ومحققا ، ولا ريب أنه لم يك هناك خير من هاته الفرصة لتقوم جماعات الفرسان بالعمل المنوط بها اداؤه . ولكن الامر المدهش أن فرسان ڤون دير مارويتز لم نرقب آثارها اذ ذاك فى ميدان القتال

وفى الصباح اكتشف الالمان جناح الانجليز وكادوا يلتصقون بقوات الفرقة الرابعة الانجليزية جنوبى غربى كودري غير أنهم فى المساء عندما عبروا الطريق أمام الفيلق الرابع الاحتياطي تحركوا نحو كامبرى أو على وجه آخر تحركوا بعيدا عن خط تقهقر الانجليز ، ثم سكنوا طوال

الليل على بعد أميال قليلة جنوب غربى المدينة ، ولابد أن يكون هـذا الخطأ فى توجيه الجنود قـد نتج عن اعتقاد ڤون كلك بأن قاعدة الانجليز البحرية كانت فى كاليـه أو بولون وعلى ذلك كان عند حـد الظن بان الانجليز سوف يندفعون فى تقهقرهم نحو الغرب

وكانت موقعة لوكانو هى آخر اشتباك نستطيع أن نقول بان له أهميته الـكبرى فى مجرى الحوادث التى وقعت خلال التقهقر من مونز . فلقد فشل الالمان فى انتهاز الفرصة التى سنحت لهم كما فشلوا فى الانتفاع من تلك النتائج التى أعقبتها . وكما يرى أن هذا الخطأ في التقـدير وهاته المزاعم التى ظنها ڤون كلك قد أدت كلها الى فشل خطة الألمان غير أننا قبل أن نتحدث عن أثر تلك النتائج وما تبعها من الحوادث نرى أنه من الواجب أن نعود ثانية الى حديث تلك المعركة فنزيدها وضوحا وجلاء

ولقـد يجدر بنا هنا أن نبدأ بالجناح الايسر فلقد كانت القوة الفرنسية الـتى قلنا أنها كانت تحتل كامبرى في اليوم الثالث والعشرين مكونة من جزء من الفرقة الرابعة والثمانين التريتوريال ، وكانت هـذه القوة قد هاجمها الفيلق الثانى الالماني فى موقعة لوكاتو فلم تلبث أن ارتدت الى أعقابها الى بابوم حيث اتصلت بالفرقتين الحادية والثانيـة والسـتين الاحتياطيتين اللتين أرسلتا من حاميـة باريس لمعاونة الجـنرال داماد ، وكذلك التقت بفرسان الجنرال سورديه الا أن داماد تقهقر اذ ذاك الى بيرون ، وأخيرا استطاعت فرسان الفرنسيين أن تعبر السبل التى كانت مزدحمة بالقوات المتقهقرة من الجيشين الانجليزى والفرنسى الخامس

ووصلت في اليوم السادس والعشرين جنوب كامبرى حيث غطت تقهقر الانجليز ابان الليل ، وفي اليوم السابع والعشرين نجح سورديه في تعطيل تقدم ڤون دير مارويتز . الا أنه فى اليوم الثامن والعشرين هوجمت فرسانه وكذلك فرقتا الاحتياطي اللتان كانتا الى جانبه بجموع كثيفة من الالمان قرب بيرون فاضطر الفرنسيون الى التقهقر واتجهت فرقتا الاحتياطى نحو آميين

غير أن ترتيبات أخرى مهمة كانت قد أعدت من الجنوب فلقد وصل الجنرال مانورى الى مونتدييه يتبعه من ميدان الالزاس الفيلق السابع الذى نقل جزء منه بالقطار ، وأمر جوفر الجنرال مانورى بقيادة جيش فرنسى سادس يكون من فيلقه السابع ، ومن قوات أخري تصله شمالا من الالزاس ، وجماعات من فرسان سورديه التى أضعفها إعياء جيادها ، ومن فرقتى الاحتياطى اللتين كانتا قد أرسلتا لمعاونة الجنرال داماد. والحقيقة أن الفرقة الرابعة والثمانين التريتوريال كانت بعيدة عن ميدان القتال . وعلى ذلك كانت القوة التى أعدت لتلعب دورا مهما فى المعارك الطاحنة تعمل لتواجه حركة الالتفاف التى يحاولها ڤون كلك ولتغطى ميسرة البريطانيين المهددة ، والواقع أن ذلك انما كان لاحلال هذه القوات مكان الجيش الرابع الذى كان جوفر قد أعده كاحتياطي فى المؤخرة الا أن اشتباكه فى معارك الاردن كان قد أثقل كاهله ، وكما سيرى فان هذا الجيش السادس لبث يتزايد عدده طوال الايام القليلة التى تبعت تكوينه ، وأعد كذلك جيش تاسع تحت أمرة الجنرال فوش من مجموع قوات

الفرنسيين المركزية وعلى ذلك بدأت تقديرات جوفر لانتهاز الفرصة التى كانت تبدو واضحة قبل ذلك بوقت ليس بالقليل تأخذ شكلا جديا .

وتقهقر الفيلق الاول الذي يقوده السير دوجلاس هيج فى السادس والعشرين من أغسطس الى جنوبى لاندروسى حيث اشتبك مع الفيلق الثالث من جيش ڤون كلك . الا أن الجيش الالمانى الاول للاسباب التى ذكرناها آنفا أمر بأن يستمر فى تحركه نحو الجنوب الغربي وعلى ذلك ففى السابع والعشرين من أغسطس بينما كان الفيلق الانجليزي الثانى يتقهقر نحو لوكانو تنحت ميسرة ڤون كلك عن مطاردة السير دوجلاس وتقدمت فى اتجاه سانت كوينتين تاركة الفيلق الانجليزى الاول تحت رحمة فرقة الحرس السواري والفيلقين العاشر والعاشر الاحتياطي من جيش ڤون بلو ، واشتبكت هذه القوات بالحرس الخلفى للفرقة الاولى البريطانية وأفلحت فى فصل أورطة من مشاة مونسترفوز وأحيطت بعد قتال عنيف ملىء بشجاعة يائسة بقوات كبيرة من العدو قرب ايترحيث يعبر الطريق بين لاندروسى وجواييز نهيرفى السامبر وفقدت فى ذلك القتال ثلاثه أرباع رجالها الا أنه أخيرا انتشلها بلوك من الفرسان وأنقذها من الفناء الذي كان يتهددها ، وقد عاون هذا الدفاع المجيد الذى قامت به تلك الأورطة الباسلة بقية القوات البريطانية على الاستمرار فى تقهقرها دون أي عناء .

والحقيقة أن محاولات الفرسان الألمان — سيما أولئك الذين يصحبون الجيش الثانى — لمطاردة الانجليز المتقهقرين باءت بالفشل ،

ولا سبيل الى انكار أثر فرسان البريطانيين الذين أبدوا فى ذلك اليوم أنهم خير من سواهم سواء أكانوا يمتطون جيادهم أو يحاربون على الاقدام. فقد استطاع المشاة الذين أضناهم القتال وأنهك قواهم طول الجهاد أن يتقهقروا دون أن تثقل كاهلهم مناوشات الالمان و مطاردتهم

وفى تلك الليلة كان الفيلق الأول بين غابة جويين والاوز جنوبى لاثير. وقضى الفيلق الثاني شمالى الاوز قرب لوبون وقد باتت تحرس كل منهما جماعة من الفرسان قد أثقلها وأضناها القتال المستمر فى دفاعها من أجل حرية العالم.

الفصل السابع

ڤون كلك يغير الاتجاه

وليس من شك في أن الجيش البريطاني مدين بنجاته من متابعة الالمان له طوال تقهقره لاسباب عدة متباينة قد يكون أهمها فشل ڤون كلك في تقدير نتائج المعركة أساساً، وعدم مقدرة فون مولتكة على توجيه جيوشه ليعاون كل منهما الآخر في عمله. ولقد يبدو من التقارير الرسمية الالمانية التى صدرت اذ ذاك أن الجيش البريطانى قد هزم تماما حتى وانه يتقهقر فرادى وجماعات تسوده الفوضى فلا أوامر ولا نظام.

ولقد بدا الآن واضحا للناس أن التقارير الرسمية انما هى أبدا مزخرفة مجلوة وبدا لهم كذلك أن هاته التقارير ليس من الواجب أن توضح الآراء الحقيقية التى يدين بها الذين يصدرونها، غير أنه اذا كانت هذه التقارير تتمشى مع حقيقة ما يراه هؤلاء فمن العدل أن نعترف أنها انما

تقص ولا ريب حوادث واقعيـة الا أن التقرير الرسمي الذي أصـدرته المانيا فى السابع والعشرين من أغسطس ، لم يكن كذلك فقد ذكر :

« بعد أن أتم الجيش الالماني تجمعه بتسعة أيام بدأ يتقدم بنجاح تام فى الاراضى الفرنسية من كامبري والفوج الجنوبى . ولقد هزم العدو على طول خط القتال وما زال فى طريقه الى التقهقر أمام الجموع التى تتعقبه من جيوشنا . وليس من المستطاع نظراً لامتـداد خط القتال لمسافات طويلة ومروره في غابات كثيفة وأراض جبلية وعرة ان نعطي تقـديرا صحيحا — لا على وجه التقريب — لقتلى العدو وجرحاه ، كذا الاعلام التى خلفها العدو وراءه بعد أن ركن الى الفرار .

ولقـد رد جيش ڤون كلك الجيش الانجليزي الى الوراء قرب موبيج ثم هاجمه ثانيـة في السابع والعشرين من أغسطس جنوب غربى المدينة .

ولقد هزم كذلك جيشا ڤون بلووڤون هازين حوالى الثمانية فيالق من البلجيكيين والفرنسيين بين السامبر ونامور والميز فى معارك دامت سبعة أيام وسقطت نامور كذلك بعد أن استمرت مدفعيتنا ثمان وأربعون ساعة تصليها نارا حامية .

وما زالت قواتنا من المشاة والفرسان والمدفعية تطارد العدو غرب موبيج فضلا عن مهاجمتنا المدينة أيضا »

ويلاحظ أن هـذا التقرير الرسمى بالغ في تقـدير قـوة جيش لانريزاك الذي قيل عنـه أنه مكون من ثمانية فيالق من البلجيكيين

والفرنسيين وقد كان حقا مكونا من فرقة واحدة بلجيكية فى نامور ثم الجيش الفرنسى الخامس في أربعة فيالق ضم اليها فرق أخرى من الاحتياطي وقد يمكننا أن نتغاضى عن هاته المبالغة ولكننا لا ندري لماذا قيل أن موقعة لوكانو حدثت فى اليوم السابع والعشرين . . . ولقد ذكر أيضا عن هذه الموقعة بيانات أخري تبعت هذه مباشرة فقد ورد فى تقرير ثان « لقد هزم الجيش الانجليزي الذي ضمت اليه ثلاث فرق من الفرنسيين شمال سانت كوينتين ، وهو يندفع الآن متقهقراً نحوها ، ولقد أسرنا آلافا من العدو وأخذنا منه سبع بطاريات من بطاريات الميدان وبطارية من المدفعية الثقيلة وفى جنوب مريري ما زالت جنودنا تقاتل باستمرار وهى متقدمة فى طريقها وقد عبرت الميز بمواجهة فسيحة . ودفع جناحنا الايسر بعد قتال عنيف استمر تسعة أيام فى جبال وعرة مشاة فرنسا فى شرق بينال أما فرساننا فيواصلون التقدم في نجاح »

ولقد أعقب هذا التقرير آخرين شبه رسميين من مركز القيادة الالمانيه صدر أولهما في اليوم التاسع والعشرين من أغسطس وفيه يقول كاتبه (تابعت فرساننا مطاردة الانجليز فى تقهقرهم نحو سانت كونتين واضطرتهم الى الوقوف وبذلك مكنت مشاتنا الوصول ثانية الى نصر حاسم ، فهاجمنا الانجليز دفعة أخرى وكانت هزيمتهم هذه المرة منكرة وهم الآن فى عزلة تامة بعيدين عن خطوط مواصلاتهم لا يستطيعون النجاة فارين من الموانى التى رسوا فيها)

وكان الثانى بتاريخ الحادى والثلاثين من أغسطس ذكر فيه أن

الانجليز يتقهقرون صوب باريس في فوضى دون أى نظام . وتقدر خسائرهم بنحو عشرين ألف رجل

ولابد أن يكون هذا التقرير الذى أرسل الى مركز القيادة العامة في كوبلنز قد جاء من ڤون كلك ويدل ذلك على أنه كان يعتقد فى انتصاره على الانجليز كما يوضح تيقنه بأنه قد كبد جيش السير جون فرنش خسائر فادحة بل ولا شك فى أن التقارير التى وصلته من قواته في خط القتال عند لوكانو بعد أن تراجع عنها الأنجليز هى التى دفعته الى الاعتقاد بفرارهم فرادى وجماعات لايلوون على شئ .

والحقيقة أنه لما كان السير هوراس دوريين حتى ساعة متأخرة من اليوم الخامس والعشرين معتزما متابعة تقهقره . لم يكن هناك ثمت من وقت لارسال المؤن الكافية مع القوات خلال سيرها بل سحبت المؤن الى القرى التى على طول ميدان القتال . وكانت نيران مدفعية العدو قد التهمت جانبا كبيرا منه ، ونالت المدفعية كذلك جانبامن سوء الحد فى ذلك اليوم فتكبدت كثيرا من الخسائر وبذلك اضطرت الى ترك المدافع المعطلة وراءها عندما انسحبت القوات الانجليزية الى الوراء. هذا عدا أولئك المقاتلين الذين أنهك القتال قواهم فضلوا الطريق إبان تقهقرهم من لوكانو فوقعوا فى أسر الاعداء ، غير أن هذا ليس كل شئ ففى الايام الأولى للتقهقر بينما كان الانجليز يسيرون ليلا ونهارا دون أن يركنوا الى وقوف منتظم لم يعد من الممكن مد الجنود بالطعام ـ بعد أن أرسلت المؤن بسرعة الى الوراء ـ فى أوقاته العادية ، وعلى ذلك رأى

السير وليم روبرسن مدير التعيينات أن يترك على جانب الطريق طوال تقهقر الانجليز كميات من اللحوم والجبن والخبز الجاف لتستطيع القوات تناول طعامها طوال تقهقرها كلما مرت بهاته المخلفات ، ولتوزيع المؤونة بهاته الطريقة استعملت السيارات الضخمة التابعة للقوات العسكرية فى ذلك وكثيرا ما اشتبكت الجنود التى تحرس هاته السيارات بفرسان الألمان. وقطع الطريق مرة على قوة منها وكاد الفرسان يحتاطونها فاندفع الضابط الذي يقود أولاها باقصى سرعة ممكنة وسط جنود العدو فاخلى لنفسه ولمن يتبعه الطريق .

وقد ترك الكثير من هذه الاطعمة فى مكانه وذلك اما لعدم العثور عليه فى الظلام الحالك أو لضيق الوقت الذى يجب فيه نقلها لتوزيعها على أفراد القوات المندفعة فى طريقها نحو الجنوب . ولاريب أن هذه الأطعمة مع مايمكن اضافته اليها من الأمتعة الثقيلة والمعاطف التى تركها وراءهم المنهوكو القوى من الواجب أن تعطى للعدو صورة من التقهقر لا سبيل الى الشك فى أنها مليئة بالفوضى والعبث بالنظام ، ولم يحاول ڤون كلك أن يتحقق من ذلك وانما ساق هاته التقارير على أنها وصف حقيقى لحال الانجليز اذ ذك .

وكانت الانباء التى انتشرت بين مشاة الالمان بانهم قد نجحوا فى حركة الألتفاف التى قاموا بها ، فاندفعت عقيرتهم بالهتاف لذلك النصر المزعوم ودفعت بهم الى المبالغة فى نتائج هذه الهزيمة المنكرة وتلك التى يزعمون بأنها قد دبت فى جيش خصومهم .

وكان الالمان قد دربوا على اعتقاد بأنهم سوف ينالون نصرا سريعا حاسما على الفرنسيين ، وأيقنوا بأن تدخل البلچيك وبريطانيا محال أن يؤثر فى الفوز الذى سوف تناله جيوشهم ، ولقد كنت فى المانيا أيام حادثة أجادير عند ما باتت الحرب مع فرنسا قريبة ملموسة ، فكان الضباط الالمان اذ ذاك أبدا يفخرون بان الحرب ستكون استعراضا حربيا لا أكثر ولا أقل ، ثم كانت الحرب الكبري التى أعدوا لها العدة من أعوام طويلة ، وكما يظهر كانت الانتصارات الاولى هى التى دفعت بهم الى الاعتقاد بان الاستعراض العسكرى قد جاء وقته أيضا .

ولقد يبدو الآن بعد هاته الاربعة أعوام ذات التجارب القاسية التى علمت العالم أجمع معنى الحرب الحديثة ، أن الرجال الذين أوقفوا حياتهم لدراستها لم يكن فى رغبتهم الوصول بالعالم الى هذه النكبة التى حلت به ، وإن لم يكن هناك أى دليل محسوس يؤيد ذلك .

ولقد كان السلك العسكرى فى المانيا قد رفع الضباط الى مراكز اوتوقراطية ، ولكنه فشل فى امدادهم بالسبل التى كان يجب أن يدرسوا منها العرف العام ليلعب كل منهم دوره فى الحياة العامة .

وكان التقدم بطيئا والعمل مضطربا وعقيما دون أن ترضيهم هذه الحوادث المتعاقبة .

ولم يحاول عدد كبير من الضباط الالمان أن يخفف من غلوائه فى الحديث عن العمل الذي كان الضباط جميعهم يعتقدون أنه نصر للالمان . بل وفي لحظات المبالغة في الحديث كانوا يتحدثون عن تلك الغرامة التى

سوف تأخذها المانيا من فرنسا الغنية ، ولذا لم يكن من المدهش أن تظهر حوادث أغسطس عام ١٩١٣ لحقائق جلية تكشف عن حلم الالمان الذهبي الذى يتطلبون تحقيقه ، وأسكرتهم هـذه الاحلام فتضاربت تقديراتهم العسكرية لتحركات العـدو . ولقد نستطيع أن ننشر هنا صفحات قليلة كتبت عن تلك المدة التى نتحدث عنها وجدت فى مفكرتى ضابطين فى جيش ڤون كلك . جاء فى الاولى .

٢٣ أغسطس ـ وصلت أنباء كثيرة باننا قـد ربحنا نصرا كبيرا في منز . .

٢٤ أغسطس ـ سمعنا بان فرسان الانجليز قدفقدوا الكثيرين من رجالهم وأن ست فرق انجليزية قد فنيت تماما إبان تقهقرها من ليكانو

٢٥ أغسطس ـ ورد تلغراف من الامبراطور يعبر فيه عن سروره لهذه المسافة التى قيل أن الفيلق الثانى قـد قطعها . فلقد سرنا حوالى ثمان وسبعين ميلا فى الثلاثة أيام الاخيرة . العدو يتقهقر بسرعة ولذا لم نصل اليه بعـد ، ولقد وصلتنا أنباء أخري كذلك عن نصر آخر عظيم ، ويقال إننا قد أسرنا عشرين ألف مقاتل ومائة وخمسين مدفعا .

وفى اليوم الثامن والعشرين كتب في المفكرة الثانية ما يأتي :

« في هذه الليلة وصلتنا أنباء عن انتصارات ربحها جيش ڤون بلو. إن نفوسنا مليئة بالسرور وقد عزفت بالامس الموسيقى تحت ضوء القمر وفى لهيب نيران المعسكر ، وقد ردد آلاف الجنود النشيد مع الموسيقى وكان السرور عاما . وفى الصباح الثانى عنـدما تابعنا السير كنا نأمل أن

نعيد ذكرى (سيدان) عند باريس »

والحقيقة أن الفيلق الأول الذي يقوده السير دوجلاس هيج لم يشتبك في قتال جدى ، فقد أضنى الجنود توالى السير ليلا نهارا وأدهشهم هذا التقهقر المستمر الذى لم يكن فى استطاعتهم أن يعرفوا له سببا ، الا أن وقفة قصيرة أو الى أبعد من ذلك بضع لحظات يخلدون فيها الى النوم والراحة كانت هى كل ما يحتاجونه ليكونوا على أتم استعداد للمعركة، كما كانوا فى اليوم الذى تقدموا طواله نحو مونز . وكانت الفرسان الى جانب دفاعها عن نفسها تدافع عن المشاة كلما اشتبك العدو بهم ولذا أعيا الجنود كما أعيا جيادهم طول القتال ، إلا أن روحهم المعنوية ما زالت كما هى قوية لم يصل اليها ضعف .

وكانت الفرقتان الخامسة والثالثة من الفيلق الثانى قد تكبدتا خسائر فادحة في قتالهما فى معركتين كبيرتين ضد جموع كثيفة ، كما اشتبكتا فى مناوشات عدة خلال تقهقرهما ومكثتا ساعات طويلة تحت غلالة كثيفة من نيران المدفعية ، وفقدتا كذلك الكثير من الذخائر والمؤن . هذا عدا أنهما كانتا لا تصلحان لخوض غمار أى قتال عنيف فى الايام التى تلت موقعة ليكاتو مباشرة ، الا أنه ليس ثمت من شك في أنهما تقهقرتا من مونزو ليكاتو بعيدا عن مواقعهما اطاعة لأوامر القيادة العليا الالمانية لافراراً من وجه العدو الذى كبدتاه خسائر فادحة تفوق تلك التى فقدتاها ، وكانتا تعلمان أن هذا التقهقر مهما كان سببه لن يكون لعدم فلاحهما فى الدفاع عن المواقع التى كانتا تحتلانها ، ولذا كانت روح

الجنود المعنوية تباين تلك التى تسود جنود الجيش الفار . فكانتا فقط فى حاجة الى بعض الراحة والنوم ثم الاستعاضة عن تلك المهمات والذخائر التى فقدتاها لتكونا على أتم استعداد للقتال ، بينا كان الفيلق الثالث الذى يقوده الجنرال بالتنى ـ والذى كون من لواء المشاة التاسع عشر والفرقة الرابعة ـ فى أشد الحاجة الى قليل من الراحة ليستطيع أن يعاود القتال ثانية ، ولا ريب أن ذلك السير المتواصل إبان الليل وأثناء النهار مع تلك الوقفات القصيرة التى لم تكن لتمكن الجنود من اعداد طعام ساخن يتناولونه ، أو يغتسلون ، أوحتى يخلعون أحذيتهم ليقلموا أظافرهم ويربحون أقدامهم الكليلة ، كانت تترك فيهم أثرا فوق الاثر الذى يتركه القتال المتواصل . وكان الجنود في كل دفعة قصيرة بل وحتى فى كل انقطاع عن السير مهما صغر أمده يسقطون في مكانهم وهم يتأوهون لا يقوون على مواصلة السير ، فكان على الضباط والصف ضباط الذين أنهكهم التعب أن يعاونوا هؤلاء على متابعة السير عندما يعاودون تقهقرهم ، وكانت شمس أغسطس تلهب رؤوسهم ، وتحرق طرقات فرنسا المتربة أقدامهم الدامية الكليلة. فكان ذلك يترك أثرا فى نفوسهم فوق الاثر الذى خلفته تلك الليالى الطويلة التى كانوا يقضونها تسودهم مشاعر غريبة عن اخطار مجهولة . كانوا يعلمون فقط أنهم يتقهقرون فيتقهقرون أبدا كأن الخطر كان ولا يزال يتعقبهم ويلاحقهم.

غير أن عملية التدمير التى حدثت فى تلك الايام وإن كانت ثقيلة الوقع كما تبدو للجنود الذين يقاتلون لاول مرة تحت ستار كثيف من

المفرقعات ، الا أنها لا يمكن أن تقارن بتلك التى أعدت فيما بعد لاهلاك الجنود الذين يحاربون فى الخنادق، فلن تكون كالقنابل اليدوية أو كالغاز السام الذى أتت به بربرية الالمان ، وعلى ذلك كان الاعياء الجسدى الذى سببته تلك المعارك الاولى أقل أثرا من الاجهاد العصبى الذى خلفه النضال الطويل المستمر بعد أن أعدت خطوط القتال من ساحل القنال حتى الحدود السويسرية ، وكان الانتعاش من الاعياء الجسدى ولا ريب أسرع من الانتعاش من الاعياء العصبي المضنى ، بل ولا سبيل الى انكار التأثير الذى يتركه فى نفس الجندى طعام ساخن وقضاء ليلة طويلة في راحة وهدوء . ولحظات يغتسل فيها فيزيل عن جسده الاوحال والاتربة التى علقت به من الميدان، والحقيقة أن هذه الاشياء الثلاثة كانت هى كل ما يفتقر اليه الانجليز في أسبوع تقهقرهم الاول ليتمكنوا من معاودة القتال .

وكان من الواجب أن تكون حال الجيش البريطاني عقب معركة ليكاتو مباشرة أكثر ايلاما للنفس لو أن الالمان تعقبوا الفيلق الثاني واضطروه لمقاتلة قوات تفوقه عددا . بل ومن الصعب كذلك أن ترى كيف كان يمكنه أن ينجو من النهاية المؤلمة التى كان الالمان يحاولون الحاقها به ، ولا ريب أن موقف السير دوجلاس هيج اذ ذاك يكون من الخطر بمكان عظيم ، لأنه من المؤكد أن يستعيد الجيش الانجليزى سريعا قوة احتماله للقتال اذا لم يتابع الألمان مطاردتهم لقواته المتقهقرة ، أى اذا منحه الألمان الفرصة الوحيدة التى يتطلبها .

ومنذ ليلة السادس والعشرين من أغسطس وجه تقهقر قوات السير

جون فرنش صوب الجنوب بين سواسون وكومبين ، وعبر الجيش باكمله النهر عصر يوم الحادى والثلاثين من أغسطس ، ومن تلك اللحظة أمسى من الممكن تقليل سرعة السير ، بل والى أبعد من ذلك التوقف طول الليل ليحظى منهوكو القوى ببعض الراحة واعداد مهمات بدل المفقودة من الفيلق الثانى ، وعلى ذلك انتعش الجيش باكمله من هذا السباق الذي اشترك فيه .

ولقد قدر الألمان خسائر الانجليز حتى معركة ليكاتو بعشرين ألف مقاتل ، الا أنها حقيقة لا تصل الى هذا العدد ان كانت تربو على نصفه لان خسائر موقعة ليكاتو كانت سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وتسعون مقاتل وفقد الانجليز أيضا ستة وثلاثين مدفعا ، وبهذا يكون مجموع خسائر الانجليز منذ أن أطلقت عليهم أول طلقة أربعة عشر ألف وأربعمائة وتسعة مقاتل الا أن الامدادات التى وصلت الى الميدان كانت تعوض ولا ريب من هذه الخسائر .

واذن ماذا يكون ڤون كلك قد فعل أكثر من أنه سمح للجيش الانجليزي الصغير من أن يفر لينجو ؟ وعلى ما يظهر أن فكرته الوحيدة كانت أن يسير فى اتجاه الجنوب الغربى حتى يستطيع الدوران حول جناح الحلفاء ، وعلى ذلك سار غاضا النظر عن وجهة الانجليز فى تقهقرهم متناسيا تلك الفرصة التى سنحت له ، على أننا يجب أن لا يفوتنا أن نذكر أن قوات فرنسية كانت فى ميسرة البريطانيين ، والى هؤلاء وجه ڤون كلك قواته فى السابع والعشرين من أغسطس ، والا ننسى كذلك

أن نذكر أن ڤون كلك كان فى اليوم السادس والعشرين يقاتل على طول الميدان من ليكاتو الى كامبرى ، ومن الاخيرة دفع الى الوراء جزءا من الفرقة الرابعة والثمانين التى يقودها داماد ، وبعد ذلك بيومين ـ فى الثامن والعشرين ـ أى في اليوم الذي وصل فيه الفيلق الثانى الانجليزى الى الاوز قرب ليون كان ڤون كلك يهاجم بميمنته الفرنسيين عند بيرون وشمالها بينما كانت ميسرته فى غرب سانت كوينتين مباشرة . وعلى ذلك تكون ميسرة ڤون كلك المكونة من الفيلق التاسع ـ الذي كان طوال الموقعة التى حدثت شمال ليكاتو يراقب قلاع موبيج قد سلكت نفس الطريق الذى تبعه السير هوراس سمث دوريين في تقهقره ، ولم يكن الالمان الذين حاربوا فى ليكاتو هم الذين يطاردون الانجليز ، لان الاولين كانو يسيرون فى الاتجاه الذى ساقهم اليه ڤون كلك بعيدا عن خط تقهقر الآخرين ، فقد كانت الفيالق الثلاثة ـ الرابع والثالث والرابع الاحتياطى ـ التى حاربت فى ليكاتو فى مكانها لم تتحرك قبل الساعة الخامسة من صباح السابع والعشرين ، وفى ذلك الوقت كان جزء كبير من قوة السير سمث دوريين قد وصل شمال وشمالى غرب سانت كوينتين جنوبى ميدان القتال بثمانية عشر ميلا ، وفي السابع والعشرين انتشل ڤون مولتكه ڤون كلك من أمرة ڤون بلو ، وعاد قائد الجيش الاول ثانية يتلقى أوامره من مركز القيادة العليا مباشرة ، وترك ڤون كلك عبء مطاردة الانجليز لڤون بلو يستعمل فيها القوات التى يمكنه ادخارها من القوات التى تتعقب لانريزاك الا أن ڤون بلو فى التاسع والعشرين كان لديه ما يشغله ، ففى ذلك اليوم دار

الجيش الفرنسى الخامس على عقبيه وتقدم بين فرفانس وريمونت وهاجم فيلق الحرس والفيلق العاشر من الجيش الثانى قرب جيز وألحق بهما خسائر فادحة ، وجاءت هاته المحاولة المباركة فى الوقت المناسب ،فقد حيل بين ڤون بلو ومتابعة المطاردة التى كان ڤون كلك قد أهملها غير أنها لسوء الحد لم تكن قوية لتحول دون تقدم جناح الالمان الايسر ، وفى الحقيقة أن الفيلق الثامن عشر فى جيش لانريزاك والذي كان فى ميمنة القوات البريطانيـة مباشرة لم يلبث الألمان أن قابلوه بهجوم مضاد واضطروه الى النكوص على عقبيه .

وكان من الضرورى أن يبتعد الانجليز عن يد العدو الذي يلاحقهم ايستطيع الجنود أن ينالوا بعض الراحـة ويستعيضوا ما فقدوه من المهمات اللازمة ، وكان مانورى لا يزال على غـير استعداد للقتال لأن أكثر من نصف قواته التى كان ينتظرها قد سحبت ثانية الى الوراء ، ولم يصل كذلك الى الميدان من النصف الباقى الا جزء صغير ، وعلى ذلك كان من الواجب أن يعاود الانجليز تقهقرهم ثانية .

وبعد أن استولى ڤون كلك فى الثامن والعشرين على بيرون بدأ يتقدم فى اتجاه امينز ناشراً ميمنته بعيـدا حتى شمال البرت مادا ميسرته الى جوار هام . وفى ذلك اليوم هوجمت فرقتا احتياطيا داماد وذلك الجيش الذي أعد من جيش مانورى على السوم بفيالق ثلاثة الثانى والرابع والرابع الاحتياطى ـ وفرقتـين من الفرسان ، واستولى ڤون كلك على المعابر الموجودة فوق النهر .

وفى التاسع والعشرين دفع داماد الى الوراء فى اتجاه امينز وبعد فترة صغيرة قضاها فى ضم قواته عند النهر ، وأرغم مانورى في مساء الثلاثين من أغسطس على أن يعبر النهر هو الآخر ، ثم توقف شمال ذلك النهر وقد وجه قواته نحو الجنوب ولكنه لم يلبث ان أيقن بأن لاأمل له في محاولة اتمام تجمع جيشه فى مواجهة عدو يفوقه عددا ، وعلى ذلك عمد الى التقهقر وهو يكاد يلتصق بميمنة ڤون كلك جنوبا الى سانت جست وعندئذ توجه نحو كرى في اتجاه خطوط الدفاع الشمالية المقامة حول باريز .

وقد يكون من الواجب أن نذكر أن جيشه قد كتب فى حيز الوجود أول اسطورة من عمله عند السوم فى السابع والعشرين من أغسطس حيث دفع ڤون كلك بعيدا عن الجيش الانجليزى المتقهقر ، غير أنه لم يلبث أن مد بقوات أخرى ابان تقهقره وطوال المعارك العنيفة فى الاورك ، ولم تكن تلك ـ كما ظن غالبا ـ مرسلة من باريس ، وعلى ذلك بات على أتم استعداد لمقاتلة جناح ڤون كلك ومؤخرته .

وجاء الثلاثون من أغسطس وقد وصل ڤون كلك الى أبعد نقطة عند الغرب فى حركة الالتفاف التى يحاولها ، وبعد ظهر ذلك اليوم بلغ ڤون كلك أن لانريزاك يواصل تقهقره أمام ڤون بلو . وفى المساء طلب الاخير اليه أن يدور ثانية للداخل ليستطيع الانتفاع من ذلك النصر الذى جناه فى جيز ، وكان ڤون كلك أيضا يرغب أن يفعل ذلك . وهنا يحدثنا ڤون كلك عن موقفه بعد ظهر الثامن والعشرين فيقول :

إن الجناح الايسر للقوات الفرنسية الاصلية يتقهقر صوب الجنوب

والجنوب الغربى أمام الجيشين الثاني والثالث الالمانيين ويرى أن ايجاد جناح هاته القوات من الاهمية بمكان عظيم، كذلك معرفة ما اذا كان يتابع تقهقره أم خلد الى مكانه ، ثم ارغامه بعد ذلك على التنحي عن طريق باريس والالتفاف حوله ، ويبدو محاولة ابعاد الجيش الانجليزى عن الشاطئ أقل أهمية من هذه الخطة الجديدة فى الوقت الحاضر » .

وفى اليوم الثامن والعشرين أمر ڤون مولتكه قائد الجيش الاول بان يسير غربا الى الاوز - أى الى غرب باريس - وكان قد وجهه كذلك لوقاية الجناح الايمن للجيوش الالمانية ، وليمنع أى تجمع لقوات العدو على ذلك الجناح . غير أنه كان قد فعل ذلك ليستطيع الجيش الاول معاونة الجيش الثانى في قتاله، فقد اعتقد أن الدوران من الجنوب الغربي نحو الشرق قد بات ضروريا وواجبا ، وصمم ڤون كلك وڤون بلو على أن يقوما فقط بتنفيذ الجزء الاخير من أوامر ڤون مولتكه متناسيين الجزء الاول منها .

وفى الثانى من سبتمبر كانت ذكرى يوم سيدان تقترب ، وبدأت الاحلام تصور للقواد الألمان سيدان أخرى ، ولتحقيقها تناسى ڤون كلك تلك الفوائد التى يجنيها من افناء الجيش البريطانى اذا تابع ملاحقته واندفع الى تشتيت قوات مانورى قبل أن يتهيأ لها الوقت الكافي لتجمعها، على أن يحتل بعد ذلك باريس التى كانت ملقاة تحت رحمته .

وكان هذا ما يمكن أن ينتج وما يظن أن يتبع المعرفة المزعومة بنظرية ثابتة ، إذ كانت القيادة العليا الالمانية تعتقد أن الفكرة الاولى للحرب انما هى تدمير قوات العدو الاصلية فى الميدان مع ما يمكن أن يضم

اليه أيضا ، فتتساقط القلاع كما يتساقط البلح رطبا جنيا اذا هز جذع النخلة ، وتحتل العواصم وفق رغبتهم وبذلك يمكن نوال النصر الحاسم.

وكان الالمان قد خرجوا من دراسة الحروب القديمة على أنه اذا أهمل هذا الغرض الاولى أي اذا استطاعت القلاع والعواصم أن تلفت نظرهم سبب هذا خروجهم عن غرضهم الاساسى والحيلولة دون متابعتهم لسبيل معتقدهم الذى يدينون به .

والحقيقة أن الموقف في الميدان الغربى لايعدو كما يراه الألمان عن أن الجيش الانجليزى يفر فى فوضى وبدون نظام، وقاعدتهم فى اينين تحت رحمة ڤون كلك يستطيع أن يحتلها لاول وهلة وبدون عناء ، بينما تستطيع فرسان الألمان قطع خط مواصلاته مع موانى القنال ، فاذا ماتم ذلك بات من المحال أن تصل الامدادات أو المؤن والذخائر للسير جون فرنش ، وأن الجيش الفرنسى الخامس فى ميسرة القوات الفرنسية قد اشتبك مع قوات ڤون بلو فى قتال عنيف . فاذا أمكن وصول جموع ڤون كلك الكثيفة الى جناح الفرنسيين أمكن اجتياز خط القتال بسرعة فيدخل الألمان باريس . وعلى ذلك قرر ڤون كلك أن يبعث بفصيلة من جنده لاحتلال أميين وعزم على ترك بضع قوات لمراقبة القوات البريطانية والفرنسية التى في ميسرته ، ثم بدأ بعد ذلك يغير اتجاهه ليأتى بها الى جناح لانريزاك .

والحقيقة أن الألمان كانوا يواجهون ثلاثة مزاعم اهملوا بازائها ثلاث حقائق ، وأولها زعمهم بان الجيش البريطانى قد هزم هزيمة منكرة

لا يستطيع معها أن يشترك فى أي قتال ، وثانيها زعمهم بان ليس لباريس أية قيمة حربية وانما هى فقط روح الفرنسيين المعنوية ، أما ثالثها فهو ظنهم بانه ليس من الخطر اهمال قوات مانورى وإغضاء الطرف عنها

أما عن الأمر الأول فمن الواضح أن ڤون كلك قد أخطأ فيما دفع نه الى القيادة العليا الألمانيـة فنتج عن ذلك أن أرسـل ڤون مولتكه في اليوم الحادى والثلاثين من أغسطس رسالة برقية يوافق فيها على تغيير اتجاه الجيش الأول الى الجنوب الشرقى ، ذلك الأمر الذى كان من المحال أن يفعله لو علم بتلك القوات التى تركها آمنة على جانبه . والحقيقة أن مسئولية فشل أمر مطاردة الانجليز وما نتج عن هذا من التغيير الخطير فى اتجاه الجيش انما تقع على عاتق ڤون كلك ، بل ولاريب أن مسألة الاندفاع فى اتجاه الجنوب الغربى فى الوقت الذي يتقهقر العدو فيه صوب الجنوب أمر غريب ذكره في أقصوصة من التاريخ الحربى ، وما كانت الحرب لتغفر لقائد خطأه ، وما كانت لتمنح فرصة مرت دون أن تنتهز عند سنوحها لأول مرة ، هذا عدا أن الفرص الكثيرة التى تسنح إبان تقهقر عدو يفر من ميدان القتال محال أن تعود ثانية ، ومن المحال أن يكون سواها خيرا منها اذا أحسن انتهازها ، بينا تتبعها اذا أهملت نتائج سيئة لاسبيل الى درئها ، فقد فشل نابليون فى مطاردة بلوخر عند ما هزمه في (لينى) وسبب هذا الفشل لنابليون هزيمة منكرة فى واترلو ، وفشل ڤون كلك فى مطاردة السير سمث دوريين فدفع ثمن ذلك غاليا إبان التقهقر الى السين ، ويحتمل أن يكون الألمان قـد اعتقدوا أنهم

باحتلالهم لأميين يكونوا قد قطعوا الطريق بين الانجليز وبين قاعدتهم البحرية ، وخرجوا من هـذا إلى أن الجيش البريطاني سوف يمر به وقت طويل قبل أن تصله الامدادات والذخائر والمؤن من انجلترا ، بل أيدت حوادث كثيرة قام بها ڤون كلك أنهم كانو ايؤمنون به ، واذن لابد أن يكونوا قد تناسوا أن قوة الانجليز البحرية تمكنهم من أن يقيموا قواعد بحرية جديدة على طول ساحل فرنسا الاطلانطيق ، ثم ينشئون بعد ذلك خطا جديدا للمواصلات بعيدا عن حملات الفرسان الالمان .

أما عن الامر الثانى ـ قيمة باريس الحربية ـ فمن الواضح أن احتلال باريس لم يكن هو الذى ينهي الحرب في الميدان الغربى ، لان ذلك انما كان ينتج فقط عن الهزائم المتوالية التى يلاقيها جيش الحلفاء . والحقيقة أن الحكومة الفرنسية كانت على اتم استعداد لاية تضحيات جديدة ، بل وكانت قد اعدت كل شئ لنقل دار الحكومة الى بوردو على أن تهجر العاصمة تاركة اياها للعدو حين يحدق بها الخطر ، غير أن باريس الى جانب كونها عاصمة فرنسا كانت مركز الخطوط الحديدية فى أراضى الجمهورية ، وكانت عدا ذلك أهم قاعدة حربية للذخائر والمؤن وتدريب الجند الجدد ، وكانت المدينة الكبيرة معدة لتجمع قوة تستطيع الدفاع ضد أية حركة شبيهة بتلك التى أمر ڤون كلك بالقيام بها .

وأسرع (داماد) فأنشأ خطا آخر للدفاع عندما بدا بوضوح أن الخط لن يقو على مواجهة قوات تفوقه عددا

وكذلك لم يكن في استطاعة مانورى الذى التقى بالالمان وقد وصل

الى الميـدان جزء صغير من قواته أن يقوم بمعارضة ذات أثر ضد قوات ڤون كلك عند السوم ، غير أنه من المظنون أن مانوري لن يتمكن من مضاعفة قواته وتنظيمها اذا ترك بمفرده مطلق الحرية في استعمال السكك الحـديدية المتصلة بباريس لأن العدو كما هو معقول وواضح لا بد أن يندفع اليـه دون أن يترك له الوقت أو الفرصة ليقوى .

الا أن ڤون كلك بدلا من أن يفعل ذلك أعاد ثانية فى اليوم الحادي والثلاثين من أغسطس تلك العمليات التى حاولها قبـل ذلك باربعة أيام . ثم اندفع فى تقدمه نحو الجنوب الغربي بينا سار الانجليز في تقدمهم من ليكاتو نحو الجنوب ثم اثنى ثانية بعد أن اخترق قوات مانوري المتقدمة فى اليومين التاسع والعشرين والثلاثين من أغسطس الى الجنوب الشرقى بينا كان الفرنسيون كالانجليز يسيرون نحو الجنوب ، ولو كان في استطاعة ڤون كلك في اليوم الحادى والثـلاثين أن يترك بضع قوات لمراقبة جيش مانورى والجيش الفرنسى الخامس . بل ولو بعث فى اليوم السابع والعشرين بقوات كافيـة تعوق الاخير عن التدخل ابان مقاتلته للبريطانيـين بجموعه كلها لاستطاع اذ ذاك بلوغ أحـد أمرين ، اما أن يهزم الانجليز هزيمة منكرة ، واما أن يندفع بهم نحو الجنوب بعيدا عن باريس ، ولو فعـل ذلك لأمكنه أن يحول دون الفرنسيين واستعمالهم للسكك الحـديدية المارة بباريس ، ولقطع الطريق على مانورى والقوات الفرنسية الموجودة شمال المارن . ولاستطاع أن يأخـذ من المدينة كل المؤن والذخائر التى كان فى حاجة قصوي اليها .

الا أن كل هاته الفوائد الحقيقية ذهبت ضحية فى سبيل خطة كبيرة مليئة بالمطامع برهنت الحوادث على أنها لن تتحقق ، والواقع أنه بمتابعة السير فى اتجاه الجنوب الغربى بعد معركة ليكاتو استطاع ڤون كلك أن يمنع مانورى من تجمع قواته الى ما وراء السوم ، الا أن هاته النتيجة كان من السهل الوصول اليها لو استمر فى متابعة القوات البريطانية ، لان مانورى لم يكن يستطيع البقاء جوار آميين إبان تقدم ڤون كلك الى يمينه مباشرة مهددا اياه بقطع خط مواصلاته بباريس ، بل وابقائه وحيدا فى عزلة تامة بعيدا عن بقية قوات الحلفاء .

ودارت فى المانيا قبيل الحرب مناقشات طويلة بين الحزب العسكرى الذى كان متيقنا من قوة المانيا الحربية واستطاعتها القيام بالتنفيذ السريع الموثوق بنجاحه لذلك البرنامج الفضفاض لتلك الحملات ، وبين المعتدلين الذين كانوا يتنبأون بتلك المشاعر التى تثيرها سياسة النار والحديد ، وكان الاستجواب القاسى الذي طرحه بتمان هولويج عند ما بلغه تدخل البريطانيين دليلا على قلق الحزب الاخير ، الا أنه من السهل أن يعتقد بأن الانتصارات الاولية التى احرزتها جيوش المانيا قد بددت من كل شك ، وكان المرء يستطيع أن يسمع ولى العهد وأصدقاءه وهم يقولون « هذا ما حدثناكم به إن الجيش الالماني لا يمكن أن يحال بينه وبين الفوز ، إن أعداءنا شعوب رقيقة مدللة ، لن نكون قساة الى حد بعيد لنتقدم من أجل الله والامبراطور الى نصرة المانيا »

وعلى وجه آخر ليس بخاف فان اعتداد البروسيين بانفسهم وثقتهم

بها سبب فشل تلك الخطة التى أحكم تدبيرها .

ولقد قيل بأن الامبراطور كان تواقا الى نصر حاسم بدخول باريس وقد عارض بشدة في أمر تغيير اتجاه سير جيش ڤون كلك . الا أن الدليل على ذلك ليس واضحا جليا ، ولست استطيع كذلك أن اعتقد أنه من المحتمل والممكن أن يكون الامبراطور من الجانب الذى كان يرى وجوب ارجاء الهجوم على العاصمة الفرنسية ريثما تعد العدة ليوم آخر كيوم سيدان ، ولا بد أن تكون هاته الانتصارات الكثيرة التى أحسن قواده ترتيبها وفجأوه بها قد تركت أثرا جميلا فى نفسه ، ولا بد أن يكون قد بدأ يرى مشاهد وهمية عن أسرى بمئات الآلاف ، ومدافع تقع فى يد جنوده بالآلاف أيضا ، وأعلام يخلفها الفارون وراءهم بالمئات ؛ كل هذا الى حد ما وعلى وجه الاختصار ـ فى نصر لا بد أن يطمس من اذهان الناس ذكرى وليم العجوز ، ومولتكة الكبير ، حتى تلك العظمة وذلك الفخار اللذين يبعثهما المرور تحت قوس النصر لحادثة صغيرة محال أن تقارن بتلك الحوادث المدهشة التى تنتج من حملة لم يعد أمدها الثلاثين يوما

ولم يكن ڤون كلك بمفرده هو الذى فشل فى تفهم الفرق بين جيش يتقهقر للخلاص من شباك توضع فى طريقه لاصطياده ، وآخر يتقهقر مدحورا فى موقعة حارب فيها حتى النهاية .

والحقيقة أن الجيوش الفرنسية كانت قد انثنت تحت وقع ضربات العدو في الاشتباكات الاولى ، الا أنها لم تكن قد انتهت بل وكان الكثير منها لم يشتبك بعد فى القتال ، والحقيقة أن تقدم ڤون كلك لا هزيمة

الفرنسيين كما ظن أولا هو الذى أرغم جوفر على سحب خط قتاله الى الوراء. فلقد فوجئ وكان عليه أن يدفع غاليا ثمن تركه لعدوه الفرصة للتفكير بل وثمن تغييره مرغما لخطته سريعا . إلا أنه لاسبيل الى انكار الفخر الأبدى الذي يحق له أن يباهى به ، لأن جوفر وسط تضارب خطته الأولى وتلك المسئولية الملقاة على عاتقه ـ تلك المسئولية التى يثقل حملها على الرجل العادى ـ لم يتردد فى أى أمر اعتزمه وأقره ، ولم يتراجع عن الهجوم في أية فرصة تسنح له ، بل وطوال تلك الحوادث المليئة بالصعوبات والمشاق الغير العادية كان يعد الجند فى وقت الحاجة وفى المكان المناسب ليتمكن من انتهاز الفرصة عند سنوحها ، وإذا كان جوفر قد أدرك سبب فشله المبكر فان القواد الالمان لم يفهموا سبب النجاح المبكر الذى نالوه ، والحقيقة أن القواد الالمان وأولئك الذين سبقوهم من عصور طويلة قد عملوا على تنمية قوتهم العسكرية ، حتى أصبح الجيش الالمانى في مقدمة جيوش أوربا فى النظام والترتيب والتسليح ، وخرجوا من ذلك باعتقادهم أنه لا بد أن يضاف الى أفضليتهم على سواهم شجاعتهم ومقدرة قوادهم العسكريين وحنكتهم ، ثم مر أربعون عاما على هذا المجهود الجرئ قضتها ألمانيا فى سلم مستمر ، ثم جاء الوقت لتجربة الجيش فى الحرب فاذا بالعدو يتقهقر في كل مكان أمام ضرباته القوية .

ولقد ذكر فى التقرير الرسمي الصادر بتاريخ السابع والعشرين من أغسطس « لقد هزم العدو على طول خط القتال » وقد يكون ذلك التصريح لاسبيل الى نقده لو كان موجها للشعب إلا أنه ليس من الواجب

أن يتخذ كتقرير للموقف الذى تتكئ على ساعده الخطط الحربية ، إلا أن الامبراطور كما يبدو من التلغراف الحماسي الذى أرسله لعائلته ولرعاياه ولحلفائه ـ بل وكما يظهر من أعمال مستشاريه الحربيين ـ كان يعتقد أن السيف اللامع لايمكن مقاومته ، وأن الحرب في الميدان الغربى قد ربحت تماما ، وأن أية محاولة أخرى قد يمكن أن تكون سبيلا لهذا النصر .

وبعد أن أصدر الامبراطور أوامره الى ڤون كلك ـ وهو على ثقة تامة من أن كل شئ فى الشمال يسير وفق الخطة المعدة له ـ ذهب ليرى أن ميسرته التى تعد العدة للهجوم على نانسى ليست أقل أثرا من ميمنته المنتصرة .

ولقد ذهب الفرنسيون فى كتاباتهم عن هذا الأمد من الحرب العالمية الى أن فكرة إغفال أمر السير الى باريس والاتجاه نحو جناح الجيش الفرنسى الخامس لم تكن قد بحثت حتى الى ما بعد هذا بكثير ، إلا انهم أجمعوا على أن الالمان قد فكروا فى ذلك في اليوم الرابع من سبتمبر ، غير أن الواضح الجلى أن جيش ڤون كلك فى اليوم الثلاثين من أغسطس كان قد اشتبك بقوات مانورى عند السوم ، وانه في الحادى والثلاثين كان يدور نحو الجنوب ، ومن ذلك الوقت بدأت قوات مشاته تتجه نحو الجنوب الشرقى باقصى سرعة يستطيع المجهود البشرى احتمالها بينما كانت فرسانه وميسرته تعبر الاوز جنوب وشرق نويرن متجهة نحو الغابة (١) .

---

(١) كان سير ڤون كلك كما هو واضح جلى جبريا Forced Mareh منذ أن

وقد يوضح هذا أن تغيير عقيدة التحرك في اتجاه الجنوب الغربى والتى كانت تتبع باستمرار منذ ان ترك الالمان بروكسل فى اليوم العشرين من اغسطس - الى اتجاه الجنوب الشرقى ، إنما كانت وفق أوامر ڤون كلك الصادرة فى اليوم الثلاثين ، والحقيقة أن ڤون مولتكه قد تناسى رغبته فى السير مباشرة نحو باريس - عنـد مارأى ڤون بلووڤون كلك يخالفانه فيما يذهب اليه ، وبدأت مشاة ڤون كلك منذ الحادى والثلاثين من أغسطس تتجه - لاالى باريس - وإنما الى جناح الجيش الفرنسى الخامس حتى كانت تلك اللحظة التى اضطرهم فيها چوفر للوقوف

وقد أمر ڤون كلك فيلقه الرابع أن يسـير بجانب سان جوست لتغطى ميمنة مؤخرته طوال السير ، ولتمنع قوات مانوري من متابعتها إذ كانت القوات الفرنسية قد بارحت المـكان فى اليوم الحادى والثلاثين وتراجعت نحو كريل ، والتقت فرسان ڤون ديرمارويتز في مساء الحادى والثلاثين من أغسطس - وهى تحرس الجناح الخارجى لخط سير مشاة ڤون كلك - بالجيش الانجليزى إبان سيرها نحو الجنوب الشرقى فى غابة كومبين بينما كانت قوة ڤون كلك — التى أصبحت بعد ارسال الفيلق الرابع الاحتياطي في عمل منفصل — مكونة من الفيلق التاسع والثالث

ترك كولون وذلك لأنه فى أقصى الجناح المطوق ومن الضرورى أن يكون دائما فى خط واحد مع بقية الجيوش الالمانية وفق جدول الطوابير الذى اعده ڤون مولتكه لقواته فى الميدان الغربى

والرابع والثانى من ميسرة الجيش الى ميمنته على الترتيب — تسير فى خط طويل يبتدئ فى شمال سواسون بأميال قليلة عند الطريق العام بين أميين وكومبين على بعد اثنى عشر ميلا من غربها

وعبر الجيش البريطانى النهر فى الحادى والثلاثين من أغسطس ولبث هناك طوال الليل وقد اتجهت ميمنته يقودها السير دوجلاس هيج الى جنوب غرب سواسون ، وسكن السير هوراس سمث دورين فى مركز القوات البريطانية بين ڤيليه كوتيريكت وجربى ، واتجهت ميسرته تحت امرة الجنرال بلتنى نحو غرب جربى جنوب غابة كومبين ، ووزع جزء من الفرسان فى الفواصل بين الفيالق الثلاثه وترك الباقى في الجناح الايسر .

ثم جاء اليوم الاول من سبتمبر فجاءت فى غرته حادثة غريبة ، كان الضغط الاكبر الذى تشعر القوات البريطانية بثقله إنما تتأثر به من اليمين تحت ضغط ڤون بلو ، إلا أنه بعد أن غير ڤون كلك اتجاه قواته وبدأت فرسانه تلاصق البريطانيين بدأ الالمان يضغطون عليهم من ناحية جديدة هى ميسرة جيشهم الاماميه ، ويظهر أن فرقة الفرسان الرابعة الالمانية كانت قد اخترقت غابة كومبين فى وقت متأخر بعد ظهر الحادي والثلاثين من أغسطس ، واستطاع الالمان بذلك أن يختفوا بين الاشجار المشتبكة طوال مرورهم فلم تتمكن سفن الانجليز الهوائية من رؤيتهم ، ولابد أن تكون القوات الالمانية قد وقفت فترة عند قرية نيرى آملة في مفاجأة الفرقة الرابعة الانجليزية في بكورة الصباح التالى . إلا أن لواء الفرسان الاول من الجيش البريطانى وصل الى نيرى قبل انسدال الظلام مباشرة

وعسكر بين مواقع الالمان وبين الاماكن التى تحتلها الفرقة الرابعة البريطانية ولم تكن أية أنباء قد وصلت الالمان عنه ، . . . ثم جاء الصباح ومع أشعته الفضية الاولى بدت المفاجأة المتبادلة واضحة جلية للخصمين .

وكان الانجليز اذ ذاك يسقون جيادهم وفجأة بدأت بطاريتان من مدفعية الالمان تلقيان نيرانا حامية عليهم . والواقع أنه لم يكن فى استطاعة فرسان الانجليز أن يعدوا أكثر من ثلاثة مدافع من البطارية «ل» (١) ولم يلبث الالمان أن أخمدوا نيران اثنين منها ، إلا أن الثالث استمر يقاتل حتى النهاية . وتبدد الذهول الذى اعترى جنود الفيلق الاول ثم بدأت فرسان الفرقة الرابعة ومشاة اللواء التاسع عشر من جيش الجنرال بلتنى — الذين قضوا الليل كله على مقربة من المكان — يشتبكون فى القتال تدريجيا ولما كان الالمان كما قدمنا يجهلون كل شئ عن هاته القوات لم يلبثوا أن تقهقروا تاركين وراءهم بعض الاسرى وثمانية مدافع من مدفعية الجياد

وفى الوقت الذى نجح فيه الانجليز فى هاته الحملة ردت الفرقة الرابعة الانجليزية فرسان الالمان عند فبريرى واستطاعت الفرقة الخامسة أيضا ان تمنع العدو من اختراق تلك التى يقال عنها مواجهة البريطانيين المثلومة غير أنه فى اليوم نفسه فى غابة ڤيليه كوتريكت وفى شمال المدينة اشتبك

(١) يجب أن يلاحظ هنا أن البطارية وان كانت فى زمن السلم مكونة من أربعة مدافع فهى فى زمن الحرب بعد التعبئة تكون من ستة مدافع يصحبها سبعة من الضباط ومائتين وثلاثة عشر جنديا معهم مائة وثمانية جوادا للركوب ومائة وثمانية عشر جوادا لجر العجلات .

اللواء الرابع والسادس من فرقة هيج الثانية ابان سيره بفيلقه الاول فى طريقه وسط الغابة فى اتجاه الجنوب الغربى لسد تلك الثغرة التى كانت بينه وبين قوات السير هوراس دوريين فى الخامس والعشرين من أغسطس بالفرقة التاسعة من فرسان ڤون دير مارويتز يعاونها جزء من الفيلق الثالث من جيش ڤون كلك الذى كان يسير نحو الجنوب الشرقى فى طريقه الى ڤيليه كوتريكت ـ وكان القتال عنيفا ارتد الالمان بعده الى الوراء واستطاع الانجليز أن يتابعوا سيرهم . إلا أن الحرس الايرلندى تكبد خسائر فادحة فى أول معركة خاض غمارها فى الحرب الكبرى .

وفى نهاية هذا السير باتت مرة أخرى قوات السير چون فرنش مجتمعة فى مكان واحد . فقوات السير دوجلاس هيج بين لافيرت ميلون وبتز ، وقوات السير سمث دوريين بين بتز ونانتل ، والى غرب هذى كانت قوات الچنرال بلتنى تصحبها جماعات الفرسان . . . وفي موزاة هذه المواجهة وعلى مسافة ستة أميال منها وقفت قوات ڤون كلك فى خط يتجه نحو الشرق من ڤيليه كوتريكت الى كيربى آن فلوا . وعلى ذلك عادا خصما مونز وليكاتو فالتقيا ثانيا وجها لوجه . .

وكان جيش الچنرال مانورى فى ذلك الوقت قد تقهقر من الاوز قرب كريل الى جنوب سنلى فقلل هذا التراجع من سعة الثغرة التى كانت بين الانجليز والفرنسيين فى جناح الحلفاء الايسر .

وفى اليوم الثانى من سبتمبر قام ڤون كلك بحركة جديدة أكثر

غرابة من كل تلك التى نتجت في الايام السابقة من تعرج خط سيره ؛ فقد ظن ڤون كلك انه اضطر الانجليز الى الوقوف ليقاتلوا ولذا أمر فيلق المشاة الثانى وفرسان ڤون ديرمارويتز بالدوران حول ميسرة الانجليز ولذا مرت فرسان ڤون ديرمارويتز وسط الثغرة التى كانت بين ميسرة البريطانيين وبين ميمنة جيش مانوري واحتلت شانتلى ودفع ڤون ديرمارويتز بكشافته الى خطوط الدفاع الخارجية حول باريس ونجحت سيارات الالمان المسلحة وجماعات الفرسان فى عملها عند مؤخرة كل من الجيشين الانجليزي والفرنسى السادس . والواقع أن الفيلق الثانى الالمانى لم يكن يقصد البريطانيين، وانما كان يندفع نحو مانورى عند سنلى غير أن فرسان الالمان لم تلبث أن تراجعت بسرعة لتتجنب الشباك الملقاة فى طريقها .

وفي الثاني من أغسطس وجد بعض فرسان البريطانيين . ابان سيرهم أربعه مدافع للعدو متروكة فى غابة ايرموڤيل كما وجدت مشاتهم أثناء سيرها نحو الجنوب الكثير من الاسلحة والسيارات والعربات تركها العدو وراءه . . .

وعند ما افترق البريطانيون والالمان بعد موقعة ليكاتوا ترك رجال ڤون كلك ميدان القتال وقد أضناهم طول الجهاد وأعياهم استمرار مكافحة البريطانيين لهم ، بل والى حد بعيد عاود الالمان مطاردة الانجليز وهم شبه فصائل مبعثرة غير منظمة ، والواقع أنه من الخطر الاعتقاد بان الفرقتين الثالثة والخامسة وقد أفاقتا من التجربة القاسية التى اجتازتاها وتكبدتا فيها خسائر فادحة وفقدتا فيها الكثير من الضباط والصف ضباط وعددا

وفيرا من مدافع الميدان ومدافع الماكينة وكمية كبيرة من الذخائر والمهمات . الا أن الجيش الأول الألمانى عند ما التقى بالبريطانيين للمرة الثالثة وجدهم على أتم استعداد لمقابلة كل هجوم بمثله فسبب هذا ولا ريب تغييرا مهما في فكرة الالمان وخطتهم ، والحقيقة أن الالمان ابان موقعة ليكاتو كانوا على اتصال تام بالقوات الانجليزية يعلمون كل شئ عن تحركاتها، الا أنهم فى هاته المرة الثالثة لم يجدوا الانجليز مبعثرين كما كانوا ينتظرون من جيش يسير ليل نهار للفرار من قبضتهم . بل وجدوهم كجيش يتحرك وفق رغبته دون أن تطارده جماعات تربو عليه عدداً

وبعد أن فقد الالمان تلك الخيوط التى كانت من قبل فى يدهم بدا بوضوح أنهم كانوا أولا على جهل تام بوجهة الانجليز وتحركاتهم ، والى هذه الحقيقة يجب أن ينسب هذا التضارب الغريب، بل وكل هذه الاندفاعات المتوالية ـ من سير في الاتجاه المضاد للغرض المقصود ثم توالى تغيير الاتجاه ـ التى حدثت فى هذه الفينة من الشهر ، ولكن هذى لم تكن النتيجة الوحيدة للأوامر التى صدرت للجيش الأول بالاتجاه نحو الجنوب الغربى بعيدا عن الجيش الذى كان يحاربه فهزمه، ثم تدفع به ثانية نحو الجنوب الشرقى لملاقاة هذا العدو نفسه ، الا أن ذلك حقا اضطر جنودثون كلك الى أن يسيروا لملاقاة الانجليز على ضلعى مثلث اندفع الاخيرون على قاعدته نحو الجنوب فحملهم ذلك مشاقا ومتاعب من الصعب احتمالها تحت اشعة شمس أيام أغسطس المحرقة .

وقد تكون هنا صورة وصفية مسلية عن حال جيش فون كلك طوال هاته الأيام يمكن أخذها عن مذكرات ضابط المانى أسره الفرنسيون ونقلوا تقاريره عن الحوادث التى كان تشغل بال الكثيرين إذ ذاك ثم طبعوه . وهو هنا يقول بتاريخ الثانى من سبتمبر « لقد أعيا السير الشاق جنودنا فرت بهم هاته الايام الاربعة (١) وهم يقطعون أربع وعشرين ميلا في كل يوم، الأراضى وعرة ، والطرق فى حال رديئة تحدها أشجار متراصة قد سقط الكثير منها فى عرض الطرقات . وهى عدا ذلك مليئة بحفر القنابل . والحقيقة أن رجالنا يسيرون دوما الى الامام (٢) وقد غطت وجوههم الأتربة ومزقت ثيابهم الى خرق متماسكة فبدوا كالدمي المحاطة بالخرق البالية لترد الطيور عن الاشجار المثمرة . ولكنهم يسيرون وقد اغمضوا أعينهم يرددون الأناشيد والواقع أن هاته الانتصارات الأولى الى جانب تأكدهم من دخول باريس كانت هى التى تشجعهم على متابعة السير وتدفعهم الى تلك الأمنية التى يتوقون الى نوالها ، ولولا هذا لسقطوا اعياء ولرقدوا حيث يسقطون لينام وا بأى حال ولبعض الوقت، الا أن هذا الشغف لذلك النصر هو الذى يدفعهم الى السير، ثم بدأوا يحتسون المسكرات لتكون أجسادهم مخمورة كارواحهم . وهاته الخمر ولا ريب هى التى تمكنهم من

(١) منذ حول فون كلك اتجاه جيشه فى الثلاثين من أغسطس وكان غرضه من هذا السير السريع الانقضاض على الجيش الفرنسى الخامس وهو يعبر المارن

(٢) فى هذا الحديث أكبر مثل لقوة روح الالمانيين المعنوية « Morol »

متابعة السير، واليوم بعد مناقشات طويلة كان الجنرال فى ثورة فكرية عميقة، فقد أراد أن يضع حدا لهذا الاختمار العام ، الا أننا عملنا على أن نحول دون اصدار أوامر قاسية، فقد تؤدى القسوة الشديدة للجنود الى عدم الاذعان لمتابعة السير . ولكننا سوف ننهى كل ذلك في باريس، فسنحرم بيع المسكرات، غير أننا لن نصدر هاته الأوامر قبل أن يسترد الجنود قواهم وينالوا بعض الراحة »

ولقد أستطيع هنا أن أقول بازاء هذه الصورة الخالية من المغالاه عن حال النظام فى الجيش الالمانى أن منهوكى القوى والمفقودين من الفيلق الثانى الانجليزى إبان تقهقره من ليكاتوا كانوا دون أى شك أكثر من أولئك الذين فقدهم ڤون كلك من جيشه أو سقطوا أعياء لا يستطيعون مواصلة السير فلم يكن للبريطانيين أية أمنية تشجعهم للفوز كما كان للالمان غير أنه مع ذلك لم يرجند يا مخمورا بينهم ، ولما كانت المقاطعات التى تنتج الخمور فى فرنسا قد احتلتها جنود العدو وكان من المتيسر الحصول على المسكرات فى كل مكان انتشرت الخمور بين الجنود الالمان حتى أن أولئك الضباط الذين وقعوا في أسر الانجليز إبان تقهقر الالمان الى السين كانوا مخمورين الى درجة لا يستطيعون معها السير .

وقد خط هذا الضابط الذى تحدثنا عنه فى مذكراته بتاريخ الثالث من سبتمبر يقول :

« إننا نترك الآن باريس الى ميمنتنا وستتجمع قواتنا فى مواجهة الجيشين الفرنسى والانجليزى اللذين يحاولان عبثا أن يضما فصائلهما

المبعثرة على طول المارن . ويجهل الجنود أننا قد تركنا جانبا ـ الى وقت ما ـ أمر سيرنا الى باريس ، فهم يفكرون كثيراً فى أنهم سوف يجدون أنفسهم غدا أوفي اليوم الذى يعقبه على أبواب باريس ، إذ ذاك سوف يفقدون مرة واحدة كل هاته القوة الخارقة للعادة التى تدفعهم الى السير »

ولم يكن ڤون كلك يحدث أتباعه بالكثير من خططه ومقاصده أكثر مما كانت تستلزم أعمالهم اليومية الاطلاع عليه ليقوموا به بمهارة ولذ أليس من الغريب أن لا يكتشف ضابط في الجيش الاول الالمانى من اتجاه السير حتى اليوم الثالث من سبتمبر أن باريس ليست الغرض الذى يقصدونه ، وكانت تحركات الجيش الأول فى اليوم الثالث من سبتمبر والتى لابد أن يكون قد أمر بها في مساء اليوم السابق دفعت ميمنة ڤون كلك فى نانتوال فى اتجاه مو ووجهت مركز قواته الى لا فرت ميلون وبتزوكانت ميسرته موجهة نحو المارن بين « شاتو تيري ولافيرت سوچوار بعيدا عن باريس .

ولا بد أن يكون الفيلقان التاسع والثالث ـ اللذان يكونان ميسرة ڤون كلك ـ قد استنتجا عند ما عبرا النهر فى أول سبتمبر واتجها نحو الجنوب الشرقى الى غابة ڤيليه كوتيريكت انهما ليسا فى طريقهما الى باريس إلا أنه على ما يظهر أن الفيلقين اللذين يكونان ميمنة قوات ڤون كلك الرابع والثاني ـ كانا لا يزالان يأملان ـ حتى بعد أن تركا وراءهم طريق سواسون ـ باريس فى أنهما فى طريقهما الى باريس .

والحقيقة أن ڤون كلك بعد أن فشل في أن يسوقنا الى القتال ليدور

حولنا فى اليوم الثانى من سبتمبر صمم على أن يتابع سيره الى جناح الجيش الفرنسى الخامس، ولا ريب أن هذا الفشل إنما نتج عن جهله بتحركات مانورى بل والى جانب ذلك انتشار قواته على طوال الطرق حتى لم يصبح فى استطاعتها أن تنضم لتهاجم الانجليز فى الوقت المناسب .

ويصف هنا هذا الضابط الذى نقلنا عن مذكراته تلك التقارير السابقة عن حال الجيش الالمانى كيف كان ڤون كلك في اليوم الرابع من سبتمبر ثم انتقل الى حديث كان بينه وبين ضابط من هيئة أركان حرب القيادة العليا فى الجيش الاول حيث قال له إن القائد لا يشك فى أن الالمان سوف يدفعون الجيش الفرنسي أمامهم سريعا .

« إن تقارير الكشافة الذين رأوا العدو يتقهقر مرضية جدا . ويقولون عنه بانه يندفع فى غير نظام كالقبائل الرحالة وليست لديه أية فرصة ليلحق بنا أى أذي . ولا يخشى القائد أى شئ من ناحية باريس وسنعود اليها ثانية بعد افناء بقية الجيش الانجليزى والفرنسى الخامس وسيكون للفيلق الاحتياطي الرابع شرف الدخول فى مقدمة الجند الى باريس العاصمة الفرنسية .

وفي نهاية أيام هاته المفكرة اليومية ـ ٤ سبتمبر ـ اليوم تابعت قوات ڤون كلك تقدمها نحو الجنوب الشرقى ومن المحتمل أن تكون عبرت المارن

ووزعت القوات على طول بيتيت مورين بين مونتمراى ولافيت سوچوار . وتركت الفرقة الرابعة من الاحتياطى تحرس ميسرة مؤخرته بين كونتوبى ومو غربى اورك بثمانية أميال وفرسانه تكاد تلتصق بالقوات

البريطانية عند نهر بيتيت مورين .

وكان السير چون فرنش بعد أن تقهقر قليلا الى الوراء وبيطء قد عبر المارن ثم وقف جنوبى النهر بين لافيرت سوچوارولاى . إلا أن البريطانيين بينما كانوا لايزالون في مواقفهم ، وقد رابط الجيش الفرنسى الخامس الى يمينهم لم يلبثوا أن هوجموا ودفعوا الى الوراء ، ولما كانت خطط چوفر الحربية قد بدأت تأخذ شكلا جديا آخر كان في حاجة الى ميدان فسيح وإذذاك رأي من الواجب أن تمتد قواته الى أبعد من ذلك نحو الغرب وبالنسبة لوجود الجيش التاسع الذي يقوده فوش فى ميمنته طلب قائد فرنسا الكبير من السير چون فرنش أن يتقهقر ثانية الى الوراء . وعلى ذلك فى ليلة ٤ و ٥ سبتمبر سار الانجليز ثانية الى جنوب غابة كريسى فكان ذلك خاتمة هذا التقهقر الطويل الملئ بالاخطار .

الفصل الثامن

أورك والمارن

اذن لقد حان الوقت لنرقب ما كان يحدث على بقية الجبهة الغربية طوال نجاح ڤون كلك فى تقدمه الا أنه قبل ذلك من الواجب أن يذكر أن چوفر حتى بعد الظهر الثالث والعشرين من أغسطس عند ماباتت خطة العدو معلومة لديه كان ولا يزال يأمل أن يضرب جناح الجيوش الالمانية بالاراضى البلچيكية ضربة قاضية بارساله الجيش الرابع نحو الشمال متقدما فى الاردن .

وتم اعداد هذه الخطة فى اليوم الثالث والعشرين وكان الجنرال لانجل دى كاريه الذى يقود الجيش الرابع قد مر اذ ذاك بميموا . واشتبك بالجيش الرابع الالمانى ، إلا أن دى كاريه وجد أن تلك المنطقة الجبلية ذات الغابات الكثيفة تعوقه، بل وتحول دون أن يكون فى استطاعته التأثير على الجيوش الالمانية المتقدمة ، قبل أن تكون حركة الدوران التى يقوم بها ڤون كلك قد بدأت تؤثر في جناح الحلفاء الايسر ، وكان هذا ما قدره الالمان ونجحوا الى حد بعيد فى تقديره . لان حركة الالتفاف التى دفعت ميسرة البريطانيين والفرنسيين فى السابع والعشرين من أغسطس الى جنوب سانت كونتين كانت قد أوصلت الالمان أقرب الى باريس من الجيش الفرنسي الرابع ، فاضطر جوفر الى أن يسحب خط قتاله بأكمله الى شمال ڤردون ليتكئ على القلاع التى كان الجنرال سرايل - الذى خلف الجنرال روفى فى قيادة الجيش الثالث - قد أفلح عندها في مقاومة جيش ولى العهد .

وعلى ذلك تقهقر لانجل دى كاريه أيضا ببطء في ريمس وشالون الى مواقع أخرى فوق المارن جنوب ڤيترى لوفرنسوا ، وتكاد ميمنته تتصل بميسرة سرايل التى كانت قد اندفعت الى الوراء فى آرجون الى جنوب غربى ڤردون ، وبذلك فشلت خطة جوفر للهجوم قبل أن يتم تنفيذها ، غير أن ذلك لم يفت فى عضده فلم يلبث أن بدأ يعد العدة لخطة ثالثة وأصدر أوامره التالية فى صبيحة الخامس والعشرين من أغسطس «لما لم يكن من المستطاع تنفيذ خطة الهجوم التى وضعت فيما قبل

فسيكون الغرض من عملياتنا المقبلة اعداد قوات جديدة فى جناحنا الايسر الى جانب الجيشين الرابع والخامس الفرنسيين والجيش الانجليزي لتكون لدينا قوات كافية للقيام بعملية الهجوم بينا تقاوم جيوشنا الاخرى العدو حتى ينتهى ذلك الامد الذى تتطلب فيه ذلك . . .

هذا عدا أن قوة جديدة سوف تعد جوار امينز بين السابع والعشرين من أغسطس والثانى من سبتمبر »

وكان هذا بدء اعداد الجيش السادس الذى يقوده مانورى والذى كان جوفر يأمل في أن يعاونه بقيامه بعملية الهجوم من السوم ، إلا أن ڤون كلك لم تلبث قواته أن تقدمت باسرع مايمكن فانفصل مانورى — وقد اضطر الى التقهقر نحو باريس — عن فرقتى داماد — الحادية والثانية والستين اللتين تقهقرتا غربا الى أمينز ، بينا كان مانورى يتقهقر جنوبا الى كريل ، ومنذ ذلك الوقت ترك أمر اتمام تكوين الجيش السادس الى الجنرال جالينى حاكم باريس الذى أخذ على عاتقه تنفيذ مشروع زيادة جيش مانورى باعادة تجمع فرقتى داماد واستدعائهما ثانية الى باريس ، وانشاء الفرقة الرابعة والخمسين من مجموع القوات التى سحبت من ألجيريا ، كما عمل أيضا على سرعة ارسال تلك القوات التى كان جوفر يبعث بها صوب الشمال من جناحه الايمن ، غير أن أهم هاته القوات التى أرسلت لتقوية مانورى كانت هى الفيلق الرابع الذي سحب من قوات سرايل فى ڤردون

وفى مساء الرابع من سبتمبر كان مانورى يغطي شمال شرق باريس

وقد امتدت ميمنته شمال المارن مباشرة عند لاني ووصلت ميسرته الى دامارتين، وكان مانورى اذذاك ومعه الفيلق السابع ـ الذى سحبه چوفر من قوات الالزاس والذى اشتبك بقوات فون كلك على السوم والذي كان يتقهقر فى تلك اللحظة في اتجاه باريس ـ وفرقتى الاحتياطي الخامسة والستين والسادسة والستين ولواء من قوات مراكش وبعض جنود من البحرية يكاد يلتصق بالفيلق الرابع الاحتياطى من جيش فون كلك غرب أورك .

وكانت الفرقة الرابعة والخمسين الجديدة على أتم استعداد للانضمام اليه في اليوم السادس من سبتمبر . وبدأ الفيلق الرابع يصل الى باريس فى اليوم الخامس منه ، وكانت اذذاك فرقتا داماد تتجمعان كذلك قرب العاصمة ، وعلى ذلك لم تكن قوات مانورى تربو فقط على تلك التى تواجهها من القوات الالمانية بل كانت الامداد تصلها كذلك باستمرار ؛ بينا كانت قوات فون كلك مبعثرة على طول المارن فى اتجاه الجنوب الشرقى وكانت الى جانب ذلك مشتبكة في القتال . . واذذاك بدأ بوضوح أن الوقت قد ازف ليضرب چوفر ضربته الحاسمة بالقيام بهجوم مضاد.

ولم يكن قائد فرنسا العام ليقنع فقط بتكوين الجيش الثالث لان الغرض منه ـ هذا اذا نظرنا الى مجموعة الافكار الحربية الحديثة فى فرنسا ـ لم يكن لتنفيذ خطة معينة ؛ وإنما كان چوفر ولاريب بالنسبة الى موقفه فى حاجة الى أن يبقى فى يده أكبر احتياطى ممكن ؛ وذلك اما ليستطيع

أن ينتفع من الفرص عند ماتسنح له ؛ وإما ليكون على أتم استعداد لدرء أية محاوله يفاجئه بها العدو ؛ وعلى ذلك ففى التاسع والعشرين من أغسطس عند ما بدا واضحا أن مانوري لابد أن يتقهقر من السوم ، أمر چوفر بأن يكون جيشا تاسعا تحت أمرة الجنرال فوش وسحب لذلك بعض القوات من جناحه الايمن ، كماسحب بعضها من الجيش الرابع ومن ثمت أمكنه أن يجمع لفوش جيشا في ثمان فرق من المشاة وفرقة من الفرسان . ولم يلبث فوش طويلا بدون عمل وبمجرد أن بدا لچوفر أن حركة الالمان فى اتجاه الجنوب الشرقى كانت تأتى بالثقل الاكبر لقواتهم جنوب ريمس ؛ دفع جيش فوش الجديد بين الجيشين الرابع والخامس ، ليكون فى استطاعة الجيش الخامس ـ وقد استولى على بعض الأرض فى ميسرته ـ أن يقوم بأثر واضح فى عملية الهجوم على جيش ڤون كلك ، على أن يكون خط القتال بين باريس وڤردون محروسا بعناية طوال وقت المعركة ، ثم تقدم چوفر فى مساء الرابع من سبتمبر بعد أن احتل مواقعه في خط القتال جنوبى سان جوند وقد اتجهت قواته نحو لافير شامبنواز ، وعندما باتت كل هاته الاستعدادات تامة أصدر چوفر بيانه التالى فى الرابع من سبتمبر :

« من الضرورى أن ننتفع من هذا المأزق الحرج الذى وضع الجيش الألمانى الأول نفسه فيه ، وذلك بأن نوحد ضده مجهودات جيوش الحلفاء فى أقصى الجناح الايسر ، وستتم كل هاته الاستعدادات في الغد لنبدأ الهجوم في صبيحة اليوم التالى »

وتبع هذا البيان مايجب على كل جيش أن يقوم به . فكان على

مانورى أن يقصى الالمان من الاورك ، وعلى الانجليز أن يغيروا مواجهتهم نحو الشرق على أن تكون ميسرتهم عند كولو ميبه وأن يكونوا على أتم استعداد للهجوم في اتجاه مونتمراى بينا يتقدم الجيش الخامس صوب الشمال ، والى أبعد من هذا نحو الشرق ، كان على فوش أن يقاوم ثقل ضغط العدو فى مركز خط القتال وأن يغطى هجوم الجيش الخامس.

وكانت هاته الاوامر حداً فاصلا بين المطاردة والتقهقر ، فبدلت من تقهقر الحلفاء المستمر تقدما كاد يتحول الى مطاردة عندما تقهقر الالمان فقطعوا ثانية الى الوراء جزءاً من ذلك الطريق الذى سلكوه من برلين وهم ينشدون الاغنية ويرددون «المانيا فوق الجميع»

والغريب أنها جاءت ساعة بات النصر فيها لألمانيا واضحا جليا ، ولكنها جاءت فغيرت من أقصوصة الحرب .

ومن الواجب أن نبحث هنا فى هذا الدور المهم الذى لعبته القوات البريطانية في فرنسا، فقد قيل أننا لم نعاون مانورى بما كان يظن أنه في مكنتنا من قوة ، إذ كان علينا أن نتقدم فى اتجاه الشمال الشرقى بين الجيشين الخامس والسادس ، أى كما يمكن أن يقال أن نهاجم جناح ڤون كلك جنوبى المارن فى اللحظة التى يهاجم فيها فرانشت دى ايسبنيرى مقدمته. ولم يكن من الضرورى اذن أن نسير شمالا لمعاونة مانورى على الأورك لأن جوفر لم يكن حتى مساء السادس من سبتمبر ـ وهو عليم بجميع تحركات الجيش الألمانى ـ قد طلب الينا أن نتقدم شمالا ، بل فعل ذلك فى اليوم السابع ، الا أنه قبل أن نتابع بحثنا فيما حدث أثر اصدار

هاته الاوامر من الواجب أن نتبع ما وقع فى جناح الحلفاء الأيمن الذى سحب منه چوفر جزءا كبيراً من جيشيه اللذين بعث بهما لمقاتلة ميسرة الالمان .

ذكر الالمان فى تقريرهم الذى أصدروه بتاريخ التاسع والعشرين من أغسطس أن قوات الالزاس التى أضعفها چوفر بهاته القوات التى سحبها منها قد اضطرت الى أن تتقهقر الى قلاع بلفورت وابينال ، بينا غطى دى كاستانو الى أبعد من ذلك في الشمال - بعد عدة مناوشات موضعية شمال نانسى - تقهقر القوات الفرنسية في الجناح الايمن ونجح كذلك فى التغرير بالعدو وافهامه أن قوات چوفر مازالت فى الميدان ...

وكان هذا النجاح الذى لاقاه الألمان فى نامور كنتيجة للعمل الذي قامت به مدافع الهاويتزر الثقيلة هناك ، قد دفع بالألمان الى الاعتقاد أنه من الممكن القضاء على الجيوش الفرنسية بتدمير القلاع والحصون التى أقامها الفرنسيون على الحدود الشرقية . .

وفي الرابع من سبتمبر نشر الالمان فى قرارهم الرسمي :

« إن بطاريات المدافع الثقيله التى أرسلت الينا من النمسا أدت لنا خدمات جليلة فى الاستيلاء على جيفيه ونامور ، والحقيقة أنه لاسبيل الى انكار سرعة نقل وقوة نيران تلك البطاريات فقد سقطت في يدنا حصون هيرزون وأبيل وكوندى ولا ثير دون أي قتال . وبذلك نكون قد استولينا على جميع الحصون الشمالية فى فرنسا عدا موبيج .

إن العدو يتقهقر باستمرار نحو المارن أمام الجيوش الالمانية التى

يقودها ڤون كلك ـ ڤون بلو ـ ڤون هازن ـ دوق ورتمبرج . غير أن جيشى ولى عهد بافاريا والجنرال ڤون هير نجن ما زالت أمامهما قوات كبيرة من العدو تحتل الخنادق وأراضى اللورين التابعة لفرنسا »

ويؤخذ من هذا أن الالمان حتى موقعة أورك كانوا يعتقدون أن الانجليز والفرنسيين قد هزموا تماما، وأن ميمنة الفرنسيين ما زالت في قوة كبيرة . ومن ثم قرر الأمبراطور ـ وهو متيقن ـ أن تقدم ڤون كلك وڤون بلو صوب الجنوب لا بد أن يحول هاته الهزيمة الى فوز تام ، وأن يهزم القوات الفرنسية المندفعة نحو الجنوب ليدخل نانسى .

وعلى ذلك بينما كان جوفر يعد العدة لهجوم مضاد على ڤون كلك كان دي كاستلنو شمال نانسى يقاتل البرنس روبرخت فى معركة شبيهة بتلك التى خاض الانجليز غمارها فى ايبرس ، وبينما كان دوبيل أيضا ـ إلى ابعد من ذلك عند الجنوب ـ قد اشتبك بقوات ڤون هير نجن فى قتال عنيف .

ومنذ الثالث من سبتمبر بدأت الحملات تتوالى على قوات دى كستلنو وحاول الالمان في الرابع والخامس من سبتمبر أن يقوموا بذلك الهجوم الذى ارتآه الامبراطور ولكنهم فشلوا ، وكما فعل الالمان فى ايبرس حاولوا أن يردوا جيش دى كاستلنو الى الوراء بهجمات متوالية مبعثرة على طول خط القتال ولكنها فشلت أيضا . وفي اليوم الحادى عشر من سبتمبر بدا واضحا أن لا سبيل الى استمرار القتال إذ أن الالمان فى الشمال كانوا قد بدأوا يتقهقرون ، فكان هذا الدفاع المجيد الذي إقام به جنود كستلنو

أول سهم صائب صدع خطة الالمان فى الهجوم ، غير أن ڤون كلك كان لايعلم بقوة مانورى، كما كان يجهل نبأ هزيمة ميسرة الألمان ، فاستمر فى اندفاعه صوب الجنوب ، وأقبل الخامس من سبتمبر كذلك وڤون كلك لايزال يتابع تقدمه من بتيت مورين ، الى جراند مورين، على أتم استعداد لسحق الجيش الفرنسى الخامس فى اليوم التالى ، ولكن فى مساء الخامس من سبتمبر وصلته أنباء لم يكن ينتظرها ، فقد أنبأه ضابط من هيئة الاركان حرب أرسله اليه مولتكة ليخبره بفشل الهجوم على نانسى، وأن الفرنسيين يبعثون قواتاً من ميسرتهم الى باريس ، وفى ذلك الوقت بلغه أن الفيلق الاحتياطى الرابع قد التقى ابان تقدمه الى دامارتين بقوات فرنسية تفوقه عددا ، وعلى ذلك تقهقر ثانية الى أورك وبذلك حذر ڤون كلك فجأة أن مانوري يهدد مؤخرته (١)

ووصلت الأوامر المتعلقة بهاته الحوادث التى نحن بصددها والتى تحمل معها قيام الانجليز بالهجوم بعد ظهر الخامس من سبتمبر ، الأمر الذى قوبل بالسرور العميق . والحقيقة أن الانجليز ـ اللهم الا ذلك النفر القليل الذى كان موفور الثقة بالسير . چون فرنش ـ لم يستطيعوا ادراك معنى الهجوم ، بل تلقوه كما هو الحال مع التقهقر . غير أن فردا واحدا

---

(١) ـ فى الرابع من سبتمبر بعث جالينى حاكم باريس ـ والذى كان الى جانب ذلك يشرف على تحركات الجيش السادس ـ الى مانورى يأمره بان يبقى دائما على مقربة من الالمان ، وفى الوقت نفسه قرر الفيلق الرابع الاحتياطى من جيش ڤون كلك مهاجمة قوات مانورى غير أن هذه المحاولة الجريئة سببت تقهقر الالمان .

لم يفكر ولم يحاول أن يبحث فى الاسباب الداعية اليه ، بل كانوا جميعهم يقولون لقد حدث ثمة مايدفعنا الى التقدم نحو الشمال . حتى أن أحد قواد لواءات الانجليز قال عند ما تلقى الاوامر الاولى « لماذا ؟ ان ذلك خير من « كورانا » . من الواجب أن يرحل مور الى سفنه فلن يتقدم ثانية » ولم يكن بعض المشاة البريطانيين يدرون عند ماتركوا معسكراتهم في صبيحة السادس من سبتمبر ما اذا كانوا سيسيرون صوب الاطلنطيق أم لا . إلا أنهم ماكادوا يكتشفون بانهم يتقدمون نحو الشمال حتى علت صيحات الفرح والسرور .

والحق لقد أحيت هاته الانباء تلك الروح المعنوية التى كادت تخبو فى البريطانيين ، والتى كانت هى كل ما تفتقر اليه الجنود لنسيان متاعبها ولتتم العمل الذى بدأته فى راحة وطمأنينة.

وكان الفيلق الثانى فى حاجة الى مهمات جديدة ، إلا أنه بالنسبة الى التوانى الذي نشأ عن تغيير القاعدة الحربية ، كما نشأ عن ارتباك السكك الحديدية حول باريس نظرا لازدياد الجنود القادمين اليها من الجنوب لتقوية جيش مانورى ، بدا من الصعب الاتيان بمهمات جديدة ، وكذلك كانت الفرقة الخامسة تعوزها المدافع غير أنه لا سبيل الى انكار أن چون فرنش أمكنه بالامدادات التى وصلته أن يعوض بعض الخسائر التى تكبدها .

وسار الانجليز وسط غابة كريسى تسمومهم روح تباين تلك التى كانت تسودهم وهم يتحركون نحو الجنوب قبل تلك اللحظة بثلاثين ساعة .

وكان ڤون كلك قد صمم على أن ينفذ موقفه ، فأوقف تقدمه وقوى فيلقه الرابع ليهزم مانورى ، وأمر فرسانه (١) تحت قيادة ڤون دير مارويتز بأن يعطلوا تقدم البريطانيين ، بينا سار فيلقه الثانى الذى كان قد وقف في ليلتى ٥ و ٦ عند كولومبيه جنوبا الى المارن. ثم سحب بعد ذلك بقليل فيلقه الرابع الذى كان يواجه ميمنة البريطانيين وميسرة الجيش الفرنسى الخامس وأرسله نحو الشمال لمقاتلة مانورى فترك بذلك ثغرة فسيحة كان على قواته الراكبة بمفردها أن تشغلها .

ويبدو واضحا أن ڤون كلك فى ذلك الوقت كان يفكر في أن يجمع قواته خلف فيلقه الرابع الاحتياطى ليستطيع سحق مانورى بينا تعوق فرسانه الجيش الانجليزى عن التقدم . هذا عدا أن ميسرته بتضامنها مع ميمنة ڤون بلو تستطيع إيقاف الجيش الفرنسي الخامس. إلا أن هذه الخطة قد فشلت لسوء جد الالمان ، فقد ربح فرانشت اسپرى الذى خلف لانريزاك فى قيادة الجيش الخامس القتال طوال اليوم ، وكذلك اضطر الفرسان الالمان الى التقهقر حتى جراند مورين بعد أن حالوا دون تقدم الانجليز وقتا غير قصير فى غابة كريسى ، ولكنهم اضطروا الى التقهقر عندما وجدوا أن تقدم بعض القوات الانجليزية خارج الغابة قد يقطع عليهم طريقهم الى الوراء ، ووصل البريطانيون فى تقدمهم شمالا الى جراند مورين عند المساء .

---

(١) كانت قوات ڤون دير مارويتز مكونة من فرقتين من الفرسان (الثانية والتاسعة) وبقيت الفرقة الرابعة شمال المارن مع الفيلق الرابع الاحتياطى

وفى أثناء ذلك كان الالمان فى الجنوب يهاجمون فوش ولانجل دى كاريه واضطروهما الى التقهقر الى الوراء.

وقد لا يكون واجبى كرجل عسكرى يكتب عن ناحية خاصة من هذه الحرب العالمية أن أخط صورة وصفية ضافية لهاته المعركة الكبيرة التى استمرت مايقرب من الثلاثة أيام فى ميدان طوله مايه وخمسون ميلا ، يبتدى من أرجون وينتهي عند خطوط الدفاع الخارجية التى تحيط بباريس ، غير أنه من الضرورى أن نتفهم خطوطها الخارجية كى نستطيع أن نتبع ما حدث لثون كلك وكيف أثر موقفه على بقية الجيوش الالمانية المشتبكة فى القتال .

ففى الثانى من سبتمبر ظن مولتكه — ومن الواجب أن يذكر هنا أن مركز قيادته كان بعيدا في لكسمبرج ، وكان على توالى الايام يفقد تدريجيا كل صلة تربطه بما يحدث فى ميمنة قواته — أنه من المستطاع أن يدور الالمان حول جناح الفرنسيين الأيسر فيدفعونهم نحو الحدود السويسرية ، ويظهر أن ثون كلك كان قد نسى الاوامر التى وصلته في اليوم الثامن والعشرين من أغسطس ، والتى وجهته لحماية جناح الالمان الايمن ولمنع أى تجمع للعدو تجاه ذلك الجناح ، بل وكان ثون كلك كذلك لا يعتقد أن الفرنسيين والانجليز يستطيعون أن يسببوا له أى ضرر فلم يحذر ثون مولتكه الخطر المحدق بالألمان ، بل ولم تصل كذلك الى قلم المخابرات فى مركز القيادة العليا أية أنباء عما يحدث جوار باريس . أجل كان الالمان يعلمون بأن چوفر يسحب بعض قواته من جناحه الايمن ويدفعها نحو

باريس ، ولـكنهم كانوا لايعلمون ماعدا ذلك عن هذه القوات وعددها وسبب تجمعها إن لم يكن لمهاجمة جناح الالمان . وعلى ذلك أبرق مولتـكه فى مساء الثانى من سبتمبر الى الجيشين الاول والثـانى أوامره التالية :

« ان الغرض من هذه الرسالة هو دفع الفرنسيين فى اتجاه الجنوب الشرقى بعيداً عن باريس . واذن ، فمن الواجب على الجيش الاول أن يسير خلف الجيش الثانى في قوات متوازية (١) وهو عدا ذلك مسئول عن حماية جناح الجيوش الالمانية »

وعند ماوصلت هاته الاوامر لڤون كلك قرر أنه من الضروري أن يسوق الفرنسيين أمامه نحو الجنوب الشرقى . غير أنه لايستطيع أن يفعل ذلك ثم يبقى وراء الجيش الالمانى الثانى . وعلى ذلك ـ كما رأينا من قبل ـ عبر المارن ثم اندفع فى تقدمه حتى جاء أمام ڤون بلو (٢)

وفى الرابع من سبتمبر أفاق قلم المخابرات من غفوته واكتشف أن جوفر يحرك قواته نحو باريس . فخشى مولتكه اذذاك على جناحه الايمن

---

(١) وردت كذلك فى الاصل الانجليزى وقد شرحها القاموس العسكرى بما يأتى «ترتيب القوات فى أورط وفرق توازى كل منهـا الاخرى دون ان تـكون اية اثنين منها فى خط رأسى واحد حتى لا تعوق احدها الاخرى عن التقدم»

(٢) لم تكن أوامر ڤون مولتكه التى بعثها يوم ٢٨ خلوا من سحق قوات الحلفاء والضغط عليها لا لقائها فى سويسره ورأى ڤون كلك انه الوحيد الذى يستطيع القيام بنصيبه فى هذا العمل مادام يسبق بقية القوات الالمانيه وعلى ذلك اندفع الى الامام بعد ان ترك احداهما فوق المارن والاخرى جنوبه لحماية الجيوش الالمانية

وبعث باحد ضباطه الى ڤون كلك ليوجه نظره الى هذا الخطر الذى يتهدده وأصدر عدا ذلك أوامره (١) الى بقية الجيوش الالمانية لاغفال فكرة الالتفاف .

وقد لا تزيد هاته الاوامر بعد مقدمتها التى شرح فيها أنه لم يعد من الممكن دفع الفرنسيين الى الحدود السويسرية ،غير حديث ضاف ملئ بالاوامر التالية . فأمر الجيشين الاول والثانى بالبقاء شرق باريس على أن يكون الجيش الاول بين الآوز والمان ، وأن يكون الثانى بين المارن والسين . هذا عدا أن كلا الجيشين يقومان بعملية الهجوم ضد أية محاولات للعدو من جهة باريس . كذلك أمر بأن تتحد الجيوش الثلاثة — الثالث والرابع والخامس — لاختراق مركز القوات الفرنسية لتفسح طريقا للجيش السادس والسابع على الموزل

ووصلت إلى ڤون كلك في ساعة مبكرة من صباح الخامس من سبتمبر خلاصة هذه الأوامر، ولكنه قرر أنه لا يستطيع أن ينسحب أمام العدو إبان وجوده في الميدان . وعلى ذلك أهمل هذا الجانب من أوامر ڤون مولتكه وتابع تقدمه نحو الجنوب . ولكنه بعد أن وصلته صورة ضافية من الاوامر ، وبعد أن التقى بالضابط الذي بعثه اليه ڤون مولتكه وأثر أن بلغه ماحدث يفيلقه الرابع الاحتياطي استطاع أن يتبين موقفه وأن يعود ثانية فيسير وفق خطة ڤون مولتكه .

وكان هذا البرنامج الجديد ومافيه من اختراق مركز القوات الفرنسية

---

(١) نشرت هاته الاوامر فى الملحق الاول من ذيل الكتاب

لشق الطريق للجيش السادس والسابع كما رأي مولتكه بباين العوامل التى بنيت عيها الفكرة الالمانية ، هذا اذا كنت قد نجحت فى استقراء ذهنية الألمان ورغباتهم ، فلقد تغافلوا لأول وهلة كما أظن عن محاولة اختراق الجبهة الفرنسية معتقدين أن النصر الحاسم سوف يكون اذ ذاك غاليا وبطيئا ، هذا اذا قارناه بذلك الذي كان يمكن نواله من الدوران حول جناح الحلفاء ، ولكنى أعتقد أن كل الشواهد انما تشير الى أن الالمان كانوا يحسبون الحلفاء فى الميدن الغربى عدواً قد هزم، ومن العدل تخير السبل للاجهاز على عدو مهزوم لابد أن يهجر المكان أمام خصوم وفيرى العدد والعدد .

وكان الحلفاء يتقهقرون حوالى الأربعة عشر يوما وهم يتكبدون خسائر فادحة طوال تقهقرهم .وعلى ذلك من المحتمل أن يكون الألمان قد رأوا أن لاسبيل للاستمرار على تتبع نظريات تباين هذى التى يواجهونها والواقع أن جزءا واحدا فقط من هذا البرنامج الضافى قد تم ؛ فقد بدأ ولى عهد المانيا بعد معارك نانسى يهاجم ميمنة الجنرال سرايل التى تقهقرت تدريجيا حتى مرتفعات تول وفردون والميز ،وعلى ذلك حدثت فى الجبهة الفرنسية هذه الثغرة الغريبة التى امتدت حتى سانت ميشيل على الميز والتى لبث الالمان يحتلونها حتى سبتمبر عام ١٩١٨ الى أن ردهم عنها الجيش الامريكى الاول . غير أن هذا النجاح لم يكن ذا خطر مادامت بقية الخطة لم تتم ، وفي ساعة مبكرة من ليلة الخامس من سبتمبر اكتشف الالمان أن حصنهم فى اسبانيا يتقوض تحت سمعهم دون أن يستطيعوا

انقاذه ، وأدركوا أن جناحهم الايسر قد فشل تماما عند نانسى ، غير أن ذلك لم يكن كل شئ . فقد كان جناحهم الأيمن أيضا تتهدده أخطار عدة تحيط به ، الا أن الالمان ـ ولا سبيل الى انكار مهارتهم العسكرية والروح المعنوية التى تسودهم ، والتى من المحال أن تدفع بهم الى اليأس ـ لم يلبثوا أن غيروا خطتهم لانقاذ الموقف ، فكان على الجزء الاكبر من الجيشين الثاني والثالث أن يتعاونا فى مجهود لا أمل فى نجاحه للتغلب على جيش الچنرال فوش واختراق مركز القوات الفرنسية ، هذا عدا أن ڤون كلك وقد بدأت امدادته فى الجنوب تشترك فى المأساة ، كان عليه أن يهاجم مانوري بينا ترك أمام الانجليز ـ وفى مواجهة جنود الجيش الفرنسي الخامس ـ قوات أخرى ضعيفة لتحاول أن تحول دون تقدمهم .

وكان هذا ولا شك مجهودا جريئا لانقاذ الموقف ؛ وكان لا بد له لو نجح أن ينيل الالمان نصرا حاسما على ميسرة الفرنسيين والانجليز ، ثم يترك باريس بعد ذلك تحت رحمة المنتصر . فاذا ما أمكن هزيمة فوش ودفعه الى الوراء حتى السين ، فسيتقدم السير چون فرنش وفرانشت دى اسبيرى الى الامام ببطء بينا يعمل ڤون كلك إذ ذاك للدوران حول جناح مانورى الشمالى ثم يدفعه جنوبا نحو باريس ومن ثم يقع الجيشان الانجليزى والفرنسى الخامس ـ وقد اجهدهما طول التقهقر الى جانب القتال اللذين خاضا غماره بين ڤون كلك وڤون بلو ـ فيضطران إلى أن يسلكا أحد سبيلين : فاما أن يتقهقرا بسرعة ، وإما أن يقاتلا تحت ظروف لا تلائمهما بلاريب ، ولم يكن فى الخطة مايحول دون الوصول الى الغرض المطلوب منها ،

ولكنهما لم يكونا ليبدءا الا اذا تقهقر مانوري الى الوراء حتى خطوط دفاع باريس ، لأنه لا بد أن يكون قد بدا واضحا للقواد الألمان أنه اذا كان الجيش الفرنسى السادس قد بعثت اليه بعض القوات لمعاونته فلا بدأن يعاود جالينى ارسال غيرهذه القوات ، ولذا فان أية هزيمة سريعة لجيش مانورى سوف لا تبقى أثرا لهذا الخطر الذى يتهدد مؤخرة الالمان ، وفي الحقيقة أن مد الفيلق الرابع الاحتياطى بقوات جديدة كافية لمهاجمة ذلك الجزء الذى يحتله مانوري على الاورك ، قد أضعف بقية الجيش الأول الى درجة اضطرته الى اغفال أمر الهجوم ، بل وأن يتحول الى الدفاع على طول جراندمورين تجاه الجيشين الانجليزى والفرنسى الخامس ولذلك تقرر ردمانورى الى الوراء ، بل وحتى إذا كان من الضرورى فان بقية جيش فون كلك ـ الذى لم تكن هناك اية حاجة إلى معاونته ـ تترك جانبا من الارض التى تحتلها غنيمة للجيشين الانجليزى والفرنسى الخامس.

ولتحقيق هاته الخطة الجريئة كان من الواجب أن يعالج الالمان مسألتين : أولاهما أن يهزم فوش ، وثانيتهما أن يوقف تقدم الانجليز حتى يستطيع فون كلك أن يهزم مانوري ، إلا أن ثانى هذين الواجبين كان أهمهما ، لانه حتى إذا فشل الألمان في محاولة هزيمة فوش فان فون كلك يستطيع اذا تحققت له بعثرة الجيش الفرنسى السادس النجاة من الموقف الحرج الذى وضع فيه ، بل ومن الممكن أن يأتى الألمان بقوات جديدة من البلجيك ـ موبيج التى كادت تسقط فى يدهم ، وبذلك يستطيعون استئناف مهاجمة ميسرة الحلفاء بعدهاته العطلة التى لم يكن للاعياء فيها أثر ، وانما كان

لسوء الحظ أكبر نصيب فيها ، بل وإذا نظرنا الى ذلك من وجهة أخرى ، أى أنه إذا استطاع الانجليز أن يصلوا الى جناح ڤون كلك ومؤخرته بينما يتابع مانورى قتاله بشجاعة فلن يكون أمام الالمان إذذاك الا أن يتقهقروا إلى الوراء .

ولا شك فى أن ڤون كلك قد خبر الفرص بعناية ، غير أنه كما يظهر كان لايزال يظن الانجليز قوة مهزومة مهملة ، ولم يكن كذلك قد قرر مبلغ الامدادات التى أعدها چوفر وجالينى لجيش مانوري ، ويبدو كذلك انه كان يحاول تقدير الوقت الكافي ليستطيع هزيمة الجيش الفرنسى السادس لو التقى بكل مايستطيع الفرنسيون أن يعدوه لمعاونته ، ولذا أرسل الفيلقين الثانى والرابع فى اليوم السادس من سبتمبر الى شمال مقدمة البريطانيين ، وتم ذلك العمل بسرعة لانه بعد ظهر اليوم نفسه وصلت الى الفيلق الأول الانجليزي أثناء تقدمه إلى جراندمورين أنباء تحذره من أن قوات كبيرة من مشاة الالمان تتحرك تجاهه نحو الجنوب ، إلا أن تلك القوات لم تلبث أن دارت على عقبيها فجأة ودون أن تطلق طلقة واحدة اندفعت في طريقها نحو الشمال . ويظهر أن الأوامر كانت قد وصلت بتغيير خطة الألمان .

وظن الانجليز أن العدو يتقهقر أمامهم فأرادوا أن يضاعفوا من تقهقر الجيش الأول بأكمله ، غير أن تحركات الألمان نحو الشمال — وان كنا نعلم إذ ذاك سببها — كانت أقرب الى تغيير موقع القتال منها إلى التقهقر ، ولم يترك ڤون كلك وراءه لتعطيل الانجليز غير فرقتين من

فرسان ڤون دير مارويتز وبعض قوات ضعيفة من المشاة سحبها من حرسه الأمامى ، إلا أن فرسانه لم يكونوا مدربين على القتال وهم مترجلون ، ولم يكونوا على جانب كبير من المهارة فى استعمال بنادقهم ، وكانت قوات المدافع السريعة التى تصحبه قليلة لاتستطيع أن تشغل طول خط القتال وعلى ذلك لم يتمكن ڤون دير مارويتز من القيام بأى عمل ، فقد كان جيش مانورى يتضاعف ، وعلى ذلك كان الوقت الذى يتطلبه ڤون كلك أكثر بكثير من الوقت الذى قدره لڤون دير مارويتز ، ولذا أمر ڤون كلك فى السابع من سبتمبر فيلقه الثالث والتاسع اللذين تركا مع ڤون بلو بأن يتقهقروا الى الوراء ، فاحدث ذلك فى جناح الجيش الثانى ثغرة فسيحة تشغلها فرسان ڤون دير مارويتز تعاونها فرسان جيش ڤون بلو وبعض فصائل من المشاة .

وكان ڤون كلك ينظم قواته فى مواجهة جيش مانورى وبدأ طول القتال يثقل على الأخير ، إلا أن استمرار مده بقوات جديدة من باريس مكنه من الثبات في مكانه ، ثم دفع الجيشان الانجليزى والفرنسى الخامس قوات الالمان المواجهة لهم نحو الشمال ، الا أن فوش لم يستطع التقدم رغم محاولته اجتياز خطوط الالمان المواجهة له وقيامه بهجوم مضاد كلما سنحت له الفرصة ، وأخيراً اضطر الى التقهقر ببطء الى جنوب لافير شيمبونواز

* * *

وكان اليوم الثامن من سبتمبر يوما عصيبا فى تاريخ جناح الحلفاء الأيسر بأجمعه . فقد ازداد ضغط الالمان على قوات مانورى طول الصباح

وبعد الظهر ، واضطرت بعض قواته أن تتقهقر الى الوراء سيما الفيلق السابع الذى اشترك فى المعركة من بدايتها حتى أعياه طول القتال ، وكان جناحه الشمالى فى خطر ، فقد كان ڤون كلك يدفع اليه بالقوات باستمرار للالتفاف حوله .

وكان الالمان قد احتلوا بتز إبان النهار وتقدموا نحو نانتوال وهم يهاجمون الى جانب ذلك مقدمة مانورى كلها حتى ضواحى مو "Moh"

غير أن هذا الجدول الذى كان يفيض بالامدادات من باريس مازال جاريا يتدفق نحو الشمال الشرقى فلم ينضب معينه . . . . ففى السادس من سبتمبر وصلت الفرقة الرابعة والخمسين التى كانت قد بعثت لمعاونة ميسرة البريطانيين جنوب مو وبدأت أولى فرقتى داماد القتال فى اليوم السابع ثم جاء اليوم الثامن واحضرت الى خط القتال الفرقة الباقية من الفيلق الرابع التى دفع بها جالينى من باريس في السيارات ، اذ ذاك أمكن الجيش السادس أن يثبت فى مكانه بشجاعة ، ومن ثم بدأ الجيشان الانجليزى والفرنسى الخامس يتقدمان .

ودخل البريطانيون كولومبيه فى ساعة مبكرة فى صباح السابع من سبتمبر فوجدوا أن الفيلق الثانى من جيش ڤون كلك قد تركها فى اليوم السابق ووجدوا المدينة الصغيرة قد أجدبت اذ أخذ الالمان كل ماوصل الى يدهم من المؤن والخمور ، وحملوا معهم ماغلا ثمنه ودمروا بحماقة كل ماله نصيب من تعسف القدر فكان أكبر وأضخم من أن تحملة جعبة الجندى .

وفى طول النهار حدثت اشتباكات عدة بين البريطانيين وفرسان

الالمان على طول ميدان القتال ، ولكن لم يلبث هؤلاء أن ردوا على أعقابهم

وفي الثامن من سبتمبر تابع الانجليز تقدمهم شمالا إلى بيتيت مورين حيث حاول الألمان مشاة وفرسانا تعاونهم بعض بطاريات من المدفعية الثقيلة أن يوقفوا تقدم البريطانيين ثانية ، ثم أحضرت بسرعة مشاة الحرس فى السيارات حتى خطوط القتال الامامية ، ووضع الجنود في الخنادق على طول النهر عند أورلى ، وأمروا أن يدافعوا حتى النهاية ، والحقيقة أن الحراس لبثوا حتى النهاية يدافعون وحتى بعد أن تقهقر الفرسان الى الوراء ، وأخيراً استطاع الانجليز أن يقتلوا ويأسروا غالبية تلك القوة المدافعة .

ثم تابع العدو ثانية قرب الظهر محاولاته ليحتل خط القتال على طول بيتيت مورين من مونتميراى الى نقطة اتصال النهر عند لافيرت سوچوار. ولكن عندما وصلت الشمس سمت القبة الزرقاء شقت فرسان اللنبي بمعاونة مشاة الچنرال هيچ طريق النهر الي مسافة عشرة أميال غرب مونتميراى ، وخشى الفرسان الألمان أن يقطع عليهم الطريق الي المارن فتقهقروا تاركين مشاتهم وقد حال اشتباكهم فى القتال مع مقدمة قوات مشاة البريطانيين عن أن يفكروا في أنفسهم ، ثم انتهى اليوم وقد عبرت القوات البريطانية نهر بتيت مورين بعد أن استولت على بعض المدافع وأسرت عدداً وفيراً من الالمان ، وعبرت كذلك ميسرة فرانشت دى اسبيرى في ميمنة البريطانيين النهر ، ودفعت الالمان الى الوراء بعيداً عن مونتميراى .

والحقيقة أنه كان لأسر هؤلاء الالمان تأثير غريب على البريطانيين فلم يلبث الجنود أن تبادلوا تلك الاحمال التى كان الاسرى قد حملوها معهم من كولومبية ، هذا عدا معاطف الالمان الثقيلة وقبعات مشاة الحرس الاسطوانية الشكل .

ولما وصلت ڤون كلك أنباء اجتياز البريطانيين لبتيت مورين أمر بتدمير الكبارى المقامة على المارن ، ولكنه كان قد أصدر أوامره هذه متأخرة لان فرسانه استطاعوا فقط أن يهدموا تلك التى فى جوار لافيرت سوجوار

وفي فجر التاسع من سبتمبر وصلت قولات البريطانيين الى سانت تيبرى فوجدوا أن الجسور المقامة على النهر لم تهدم والأغرب من ذلك أنهم وجدوا الالمان لم يحاولوا احتلال ذلك الجزء من المارن للدفاع عنه فقد كان النهر هناك يجري وسط وادى صخري عميق ، وكانت الهضبة الصخرية على الشاطئ تغطيها غابات كثيفة تكشف كل الطرق الممتدة نحو الكبارى المقامة عند الجنوب ، فلو كان الالمان قد أعدوا عدداً قليلا من المدافع ومدافع الماكينة في هاته الغابات لاستطاعوا أن يهيمنوا على تلك الطرق ، وليتمكنوا من أن يعيقوا تقدم أى عدد من القوات مهما كانت وفرته ، والحقيقة أنه من الصعب تقدير تلك الخسائر التى يتكبدها جيش يندفع بأجمعه في طريق مكشوف تحت تأثير نيران مباشرة من مدفعية ماهرة وعدد من مدافع الماكينة ؛ والواقع أن المكان كان صالحا بطبيعته الى عملية التعطيل ولكن الالمان لم يحاولوا الانتفاع من ذلك

فقد كانت جياد رجال ڤون دير مارويتز قد أثقلها الاعياء إذ قامت بنصيب فى القتال أكثر مما تستطيع احتماله ، وكانت رجاله كذلك قد أضناهم استمرار القتال ومتابعته ، ولم يكن فى استطاعتهم أن يحاولوا سد تلك الثغرات التى فتحت وراء جناح ڤون كلك ومؤخرته .

ولاريب أن مدفعية الالمان لم تبدأ العمل قبل أن يصل البريطانيون الى المرتفعات الموجودة شمال النهر ، وفى الساعة التاسعة من صباح التاسع من سبتمبر عبر الفيلق الثانى المارن . الا أن لواء المقدمة فى الفرقة الثالثة البريطانية كان فى ذلك الوقت على مسافة أربع أميال من النهر ، على الطريق بين ريزى وشاتوتيرى شمال جناح ڤون كلك الايسر المشتبك بقوات مانورى على الاورك باثنى عشر ميلا نحو الغرب .

ولو كان فى استطاعة البريطانيين إذ ذاك أن يتقدموا على طول الواجهة لاستطاعوا أن يقطعوا الطريق على جزء كبير من جنود الجيش الالمانى الاول الذى كان فى ميمنة القوات البريطانية وتأخر بعض الوقت إذ كانت بعض الانباء تهدد جناحه من ناحية شاتوتيرى التى كان الالمان يحتلونها إذ ذاك ، ولم يكن فى مكنته الوصول الى ميدان القتال حتى بعد الظهر ، كذلك كان الفيلق الثالث فى الميسرة سيعبر النهر عند لا فيرت سوچوار ولكنه لم يلبث أن وقف فى مكانه . وذلك لنجاح فرسان ڤون دير مارويتز فى تدمير الكبارى المقامة على النهر هناك ، ولوجود خطوط الدفاع التى أقامها الالمان على المارن فى تلك الجهة ، والحقيقة أن ذلك التعطيل مكن الالمان أن يعدوا ما يمكن أن يسمى بخطوط الدفاع عند

ضفة المارن بين شاتوتيرى وليزى ووصلت إذ ذاك فرسان ڤون رشتوفن من الجيش الثانى لمعاونة ڤون دير مارويتز وأرسل كذلك ڤون كلك لمعاونته فرقة من فيلقه الثالث ولواء (١) وبعض المدفعية من فيلقه التاسع ، وبعد الظهر اشتبك هذا (الستار) من فرسان الالمان ومشاتهم فى قتال عنيف مع البريطانيين استطاعت إبانه الاورطة الاولى من آلاي لنكو لنشير أن تأسر أول بطارية من المدفعية الهاويتزر الالمانى سقطت فى أيدى البريطانيين منذ اعلنت الحرب .

وكان ڤون كلك فى ساعة مبكرة قد بدأ حركة التفافة فى جناح مانورى الأيسر ليحاول لآخر مرة اتمام هزيمة الفرنسيين قبل أن يتمكن البريطانيون من الاشتراك في القتال فتقدم من بتزو احتل نانتوال وليس ثمت من شك فى أن ساعات طويلة قد انقضت والميدان الغربي باجمعه يتساءل . . . ترى هل نجح هذا الجانب من برنامج الألمان أم كان نصيبه الفشل كسواه ؟

وكان رجال ڤون كلك الى حد بعيد منهوكى القوي ، أعياهم استمرار القتال ، إلا أن ذلك لم يكن كل شئ فقد مرت بهم أيام طويلة لم يتناولوا فيها طعاما وذلك لاستمرار تغيير مواقع الجنود من ناحية ، ولصعوبة نقل المؤن والذخائر بالسكك الحديدية الى ميمنة الألمان مادامت موبيج لم تسقط بعد في يدهم من ناحية أخري .

---

(١) الفرقة الخامسة ولواء كراى ول فى ستة أورط وستة بطاريات من المدفعية .

إلا أنه هناك ماهو أهم من ذلك . فقد كانت المانيا كسواهامن الدول المشتركة فى الحرب لم تصب فى تقدير كمية الذخائر التى تتطلبها هاته المعارك المستمرة ، وكانت الامدادات التى تصلهم من القنابل ابان الايام الاربعة للقتال عند الاورك انما تصير تدريجيا من قليل الى أقل .

والحقيقة أنه من الممكن أن يوصف موقف الجيش الالمانى الاول في هذه السطور القليلة . فقد كانت الفصائل التى تبعث الى ڤون كلك من الحامية المتروكة في البلچيك في طريقها اليه ، بل ولابد أن يكون قد وصله بعض منها ، وكانت قوات مانورى لجنود ڤون كلك قد أضناها القتال وأعياها طول أمده ثم نجح ڤون كلك الى حد بعيد فى الدوران حول جناح الفرنسيين ، ولو استمر جهاده الى ساعات قليلة لاحرزفوزا استطاع به أن يمحو كل هاته المتاعب التى نشأت عن تقدمه السريع على المارن، الا أن هذا القتال المستمر لم يكد يصل الى نهايته حتى وصلت ڤون كلك ثلاثة أنباءمتوالية ، أولاها استمرار تقدم الانجليز وعبورهم المارن، ولمعالجةذلك أمر قواته التى تدور حول جناح الفرنسيين بأن تتقهر ثانية الى الوراء ،ثم بعث لتقوية ڤون دير مارويتز بقوات المشاة التى تحدثنا عنها وكان ثانيها من ڤون بلو الذى قال إنه بالنسبة الى تقدم البريطانيين قد اضطر الى التقهقر ، وثالثها وصول اللفتنانت كولونيل هنتش من مركز القيادة العامة الالمانية تعضده سلطة كبرى منحها له ڤون مولتكه ، ورأى هذا أنه لا يمكنه أن يحول دون تقهقر الجيش الثانى وأصدر أوامره بتقهقر الجيش الاول الى سواسون .

وعلى ذلك فى أقل من ثلاثة أسابيع تبدل الموقف فى الميدان الغربى فرجحت ناحيـة كانت قد لبثت مهزومة منذ بدء الحرب ، وعاد ڤون كلك فوجد نفسه فى موقف شبيه ذلك الذى كان فيه السير جون فرنش عند ما وصلته رسالة جوفر فى الحادية عشر من مساء الثالث والعشرين من أغسطس ، وفى الساعة الثانية مساء فقد ڤون كلك على الرغم منه كل الآمال التى كانت تتنازعه بالانتصار على ماثورى ، وتابع ذلك باصدار أوامره بالتقهقر فتقهقرت ميسرته وتبعتها قواته المتواسطة وأخيرا تقهقرت ميمنته التى لبثت طوال هاته الساعات تقاتل بشجاعة لتغطى تقهقر بقية الجيش

وفي نفس الوقت تغلب الجيش الفرنسي الخامس على ميمنة جيش ڤون بلو ـ كما ذكرت آنفا ـ أثر أن أضعفها سحب ڤون كلك لفيلقيه الثالث والتاسع الى المارن لمقاتلة مانوري ، وساعد هـذا النجاح فرانشت دي اسبيرى على حشد فيالق ميمنته لمعاونة فوش الذي كان طول هـذا الامد تحت وقع هجمات ميسرة ڤون بلو وجيش ڤون هارن باكمله واستطاع فوش بذلك أن يسحب الفرقة الثانية والاربعين من ميسرته ثم يبعث بها الى منتصف قواته حيث ضغط ثقل الالمان .

وطيلة هذه الساعات العصيبة كان فوش يتحين فرصة تمكنه من أن يدفع الالمـان بعيداً عن خط القتال ، ثم اقتربت الساعة ووصلته القوات التى بات معها في مكنته أن ينتهزها عند ما تسنح له .

وفى صباح التاسع من سبتمبر استأنف الالمان هجومهم على فوش ولانجل دي كاريه وهم يأملون فى انقاذ موقفهم باختراق الجبهة الفرنسية

إلا أنه فى الوقت الذى كانت ميسرة ڤون بلو تتقدم ابانه بنجاح كانت فى مركز قيادة الجيشين الاول . والثانى حوادث تستحق الذكر ، فقد كانت فكرة ڤون مولتكة تستند على تعاون الجيوش الثلاثة الاول والثانى والثالث الا أن اتصاله بهاته الجيوش كان من الصعوبة بمكان . إذ كان يعتمد إلى حد بعيد على التلغراف اللاسلكى ، غير أن هذا الخط التلغرافي كان من المحال أن يقوم بكل هذه الاعمال ولذا ناء تحت عبئها وقد قال ڤون كلك فى كتابه عند ما تحدث عن هاته المواصلات التلغرافية التى كانت بين مركز القيادة العامة ومركز قيادة الجيوش الثلاثة أن ڤون مولتكة أرسل إليه بعض الاوامر في السابعة من مساء الرابع من سبتمبر فوصلته فى السابعة والدقيقة الخامسة عشر من مساء اليوم التالى . هذا ولا ريب أمر مدهش إذا صدق فيه ڤون كلك ـ ولا سبيل الى الشك فى صدقه ـ هذا عدا على أنه يدل على أن جناح الألمان الأيمن كان الى حد ما على غير اتصال سريع بڤون مولتكه .

وللتغلب على كل هذا بعث ڤون مولتكة بضابطه هنتش يستطلع أمر هاته الجيوش الثلاثة فى الجناح الأيمن . ثم زوده بسلطة واسعة وبذلك جعل قيادة الجيوش الثلاثة فى مثل هذا الوقت العصيب العوبة فى يد ضابط صغير من ضباط الاركان حرب (١)

---

(١) ذكر الكثيرون من المؤرخين ذلك وقالوا فى الحديث عنه إن مولتكه عند ما أحس بأنه قد فشل فى هجومه على فرنسا الشمالية بعث بهنتش

ووصل هنتش إلى ڤون بلو وقد أقلق الاخير نبأ انتصار فرانشت دى اسبيرى على ميمنته ، وكذلك نبأ تلك الثغرة التى تركها ڤون كلك فى جناحه بعد أن سحب فيلقه الثالث والتاسع ، فقرر الاثنان أنه إذا أراد ڤون بلو أن يتوقى حركة التطويق التى يحاول الانجليز القيام بها فمن الواجب أن تتقهقر ميسرة الالمان كلها الى أيسين وعلى ذلك أصدر ڤون بلو أوامره بالتقهقر . وانصرف هنتش الى ڤون كك ليطلب اليه هو الآخر أن يتقهقر كما فعل ڤون بلو .

وتم ذلك بسرعة ففى الوقت الذى كان فيه فوش قد أعد العدة للقيام بهجوم مضاد بفرقته الثانية والاربعين ، وكان الالمان قد تقهقروا إلى الوراء على ذلك لم تتم حركة الهجوم المضاد التى كان يراد القيام بها فى مستنقعات سان جوند فالتقت القوات الفرنسية المتقدمة بالحرس الخلفى للالمان ولم يلبث هذا أيضا أن انسحب تحت ستار الظلام .

كتب الكثيرون عن معجزة المارن ولكنى لا اتفق مع رأيهم فى مبلغ اعجابه بقيادة الجنرال فوش وذلك التقرير الهادى . الذى أبداه عند محاولة انتهاز أول فرصة سنحت له بالهجوم .

والحقيقة أن دفاع فوش لا هجومه هو الذى سبب هذا الفوز واعترف القوم باجمعهم فى الميدان الغربى بمهارة فوش وقوة احتماله وشجاعة الجنود الذين عاونوه ، ولم ينكروا كذلك عظمة دفاع مانورى ضد قوات

ليحمله نتيجة الفشل وبذلك فقد دفع بالضابط الصغير ضحية على مذبح مطامعه كقائد له مكانته وله أثره .

ڤون كلك كما لم يغفلوا أثر امدادات جالينى في اتمام هذا الفوز الاخير ، ولكنى فردا واحدا لم يك عادلا فى تقدير هذا الدور الذى لعبه البريطانيون فى هاته الاقصوصة السحرية الدامية، ولاريب أن البريطانيين لم يبعث بهم للقتال اذ ذاك كما بعث بهم في مونز ولو كاتو ، كذلك لم يدفعوا ليقاتلوا كما فعل فوش ومانورى فى هذه الموقعة ، ولكن التاريخ بمفرده هو الذى سوف يذكر بان الانجليز عند ما عبروا المارن في ساعة مبكرة من اليوم التاسع من سبتمتر قد دفعوا بتلك الكفة التى رجحت من ميزان القدر فاخفضوها لتتنفس الصعداء تلك التى لبثت منذ فجر الحرب خامدة ساكنة تصير من سيء الى أسوأ ، وليس ثمت من شك أن الانجليز انقذوا مانورى من الهزيمة المنكرة وقت أن عبروا المارن وليس هذا كل شيء بل أن جالينى نفسه ـ وقد أصبح الجيش السادس على حافة الهاوية ـ كان يعد العدة للتقهقر ثم جاءت صبيحة اليوم التاسع واضطر مانورى الى الدفاع على طول خط القتال ، وقد يحتمل أن يكون ڤون كلك قد رأى أنه لن يتغلب على الفرنسيين في الساعات الباقية من الوقت الذى قدره هو ، غير ان دفاع أى جيش مهما كان قويا محال أن يضطر المهاجمين الى أن يتقهقروا بالسرعة التى تقهقر بها جنود ڤون كلك ، ولم تكن كذلك ميسرة الجيش الخامس قد وصلت الى المارن حتى المساء وعلى ذلك من الصعب أن يظن أنه كان لها أى أثر في تقهقر ڤون كلك .

وقد تحدث ڤون بلو فى كتابه عن ذلك فقال :

« ليس ثمت من شك فى أن تخطى العدو لنهر المارن بقولات عدة

بين لافيرت سو جوار وشاتوتيرى فى ساعة مبكرة من صباح التاسع من سبتمبر هو الذي جعل تقهقر الجيش الأول ضروريا ، وعلى ذلك بات من الضرورى أن يتقهقر الجيش الثانى أيضا الى الوراء وإلا أمكن الالتفاف حول جناحه .

واذن فليس من المستطاع أن نصل إلى نتيجة غير هذه من بحثنا الذى نطرقه الآن ، فان تقدم البريطانيين بمفرده بل والتهديد الذى نشأ عنه هو الذى اضطر فون بلو أن يسرع بقراره الذى اصدره والذي أرغم الألمان على أن يبدأوا تقهقرهم فانقذ الفرنسيين من المأزق الحرج الذى كانوا فيه .

والحقيقة أن التقهقر من مونز كان صفحة ذهبية مليئة بالاعجاب فى تاريخ الجيش البريطانى إلا أن هذا التقدم الذى تبعه لم يكن أقل قيمة منه أو أضعف أثرا من سابقه .

بل ولا ريب أن دعوة جيش ـ كان في الثالث والعشرين من أغسطس تحوطه جموع كثيفة من العدو تربو على ضعف عدده . وأضطرته إلى أن يقاتل طوال المايه والسبعين ميلا التى تقهقرها ـ الى ميدان القتال وفى ساعة الحاجة اليه ليغير من سير المعركة . ويبدل من نتيجة حملات عام ١٩١٤ ، لعمل لا سبيل الى انكاره أو الأخذ من مكانته وأثره فى تاريخ حرب الاربعة أعوام .

ووسط كل هاته الصعاب التى اجتازها البريطانيون بصبر وشجاعة وفى طيلة هاته الايام التى خطها القدر فى سفر الحرب باحرف من نار

كانت هاته المآسى المؤلمة لأولئك الذين قضوا الاعوام الطويلة فى سجون المانيا دون أن ينصت لشكايتهم التى ترددها الأغلال الحديدية والمطابخ السوداء الصامتة ، وقد أثقلت كاهلهم الآلام النفسانية وهم لا يعلمون ماذا حل باخوانهم الذين كانوا يحاربون واياهم تحت ستر تلك الغلالات الكثيفة من نيران مدفعية الالمان ، بل وماذا جرى لأولئك الذين تركوهم وراءهم وقد أعياهم النضال ، وأضناهم القتال وقتلت نفوسهم الهزيمة . ثم فروا تتبعهم جموع كثيفة من الالمانيين لا تطلق أسيرا ولا تبقى زرعا أخضر وراءها إلا دمرته ولا بيتا مقاما إلا وهدمته .

والحقيقة أنه ليس للبريطانيين ما يحق لهم أن يفخروا به أكثر من صبر جنودهم وضباطهم ، وعملهم في سبيل حربة العالم وجهادهم من أجلها رغم الاخطار المحدقة بهم لافى أيام القتال بمفردها وحسب ، بل فى تلك الايام والليالى التى قضاها الانجليز يتقهقرون دون أن يعرفوا نهاية هاته المرحلة التى يقطعونها .

وانفصلت قوات كثيرة عن وحداتها ، ثم ضمت إلى سواها ولا رابطة بينها اللهم إلا أنها تساهمها نصيبا وافر من الارزاء والآلام ، ثم كانت تلك الضحايا التى تركها الجنود وراءهم وقد سقطت من الأعياء أوضلت الطريق أوأضناها نضب المؤونة وجدب الاراضى .

غير أنه بالرغم من سرعة الانتقال من التقهقر الى التقدم كانت أسطورة التقهقر من مونز ابلغ من اسطورته من كورانا .

وأذكر أننى التقيت في صبيحة الثامن والعشرين من أغسطس

فى بلدة فرنسية صغيرة بقائد أحد الآيات المشاة وقد مرت به ستون ساعة دون أن يغمض عينيه لغير لحظات قصيرة متباعدة وقضى ليلة كلها يسير على قدميه فى مقدمة جنوده ثم وصلته أنباء بانه يستطيع أن يخلد إلى الراحة لثلاث ساعات ، ولكنه ترك جنوده ينطون في نومهم وهرع فاستعار إحدى العربات الخفيفة ودار حول البلدة يشترى طعاما لجنوده بأثمان يدفعها من نقوده الخاصة ، وقد تكون هذى أقصوصة صغيرة ولكنها واحدة من عشرات سواها . وهى ولا ريب نموذج لا سبيل إلى نقده لروح البريطانيين المعنوية إذ ذاك ، ولم يعتقد الضابط أنه يفعل ما يعجب منه سواه فلم يكن رجاله قد تناولوا طعاما منذ الصباح المنصرم ، ولذا كان أول واجب عليه أن يعد الطعام لهم غير أنه كان فى استطاعته ان يغتصبه من الأهالى ما دام الألمان سوف يتوافدون الى البلدة بعد ساعات قليلة ، ولا بد ان يغتصبوا الطعام من أصحابه بلا نقود . ولكنه من أجل شرف بريطانيا ـ ولست أقول هنا من أجل انجلترا فقد كان الرجل اسكتلنديا ـ ومن أجل شرف الجيش باكمله لم يفعل الرجل ما قد يخجل من أجله ، وكان الرجل قد حدث رجاله أنه سوف يعد لهم طعام الافطار فلبثوا ينتظرونه بصبر تتنازعه المخاوف اذ كان الألمان يطاردونهم ويلاحقونهم ليقطعوا عليهم الطريق ، ولكنهم تناولوا طعامهم ثم جاءت آثار الالمان مع الهواء من الافق البعيد ، وعاد الانجليز ثانية يتقهقرون وهم لا يعلمون الى أى طريق هم مساقون ، واندفع الاهالى وراءهم وليس لديهم غير قليل من الوقت يستطيعون فيه أن

ينقلوا بضائعهم .

والغريب أن الالمان يفخرون بجنديتهم ولكننا لو قارنا بين هؤلاء ابان تقهقرهم الى ايسن وبين الانجليز ابان اندفاعهم من مونز . لوجدنا أن نظام البريطانيين انما للرابطة التى بين الضباط وجنودهم . فبز بذلك النظام القاسى الذى يسود العسكرية الالمانية والذى بدا واضحا فى كل مكان وطئته أقدام الالمان ، ففى طوال تقدم البريطانيين كانوا يرون آثار التدمير والتخريب ؛ حوانيت الخمور مجدبة . زجاجات الخمور ملقاة على جوانب الطرق ، أثاثات المنازل التى لم يكن من السهل نقلها تركت مبعثرة وسط الازقة والدروب ، وفى هذه المرة لم تكن هذه القسوة العسكرية جزء من الخطة الحربية كما كانت فى البلجيك ، وانما كان تضارب السلطة التنفيذية وضعفها فى الجيش هو الذى أعاد الالمان الى طبيعتهم وغريزتهم ينهبون ويسلبون كل ما يصل الى أيديهم . (١)

« .. ذكر ذلك مؤلف الكتاب . وليس لنا الا أن ننقل ما خطه بالانجليزية سواء أصدق فيما قال أم راح كسواه من المؤلفين الذين أخذوا في غير هوادة أو لين يكيلون السباب للالمان وحتى بعد انسدال الستار على المأساة . لا لشىء الا لانهم كما قال عنهم الالمان . موتورون

وفاته أن الحرب لا تعرف قانونا ولا مدنية وان القوى انما ينكل بالضعيف وهو عالم بضعفه ولكنه لا يتركه الا ممزق الاوصال حتى لا تقوم له قائمة.

---

(١) عن كتاب « نقد للكتب التى وضعت عن الحرب » للعلامة كريستيان كولين

والغريب أن أوربا باسرها طوال هاته القرون الثلاث الماضية منذ القرن الثامن عشر قامت فيها أربع دول قوية نشأت كل منها مزعزعة الاركان مهدمة الجوانب ولم تلبث أن نمت وما فتئت أن نهضت تروم خلق مكانها الجديرة به تحت الشمس فحاربت من أجل مطامعها .

وكما ثارت أوربا فى وجه أسبانيا تحت أمرة فيليب الثانى ، وقاتلت فرنسا ابان حكم لويس الرابع عشر ، وتألبت على نابليون الاول محي فرنسا القديمة ، ثارت كذلك ضد الامبراطور غليوم الثانى الرجل الذى رأى أن المانيا وليدة انتصارات بسمارك من المحال أن تقف جامدة بعيدة عن زعامة أوربا بل العالم باسره فقام يقاتل من أجل ذلك .

وفي كل مرة من هاته المرات الاربع خط التاريخ المغرض سطوراً سوداء كتبها الثائرون باحرف من نار ليصورا هاته الدول ذات المطامع في صورة الوحش الذى ينقض على الفريسة لا لشئ إلا لأنه يستعذب مشهد الدماء .

وفي هذه المرة الاخيرة أيضا كانت الهدنة ثم اسدلت الستار على المأساة وما طوته فى سجلاتها من آلام ونكبات لم ينساها العالم ، ولكن الكتاب أبوا الا أن ينبشوا مافى القبور وينشروا الجثث الدامية فى مختلف الصور المثيرة ليشوهوا من مطامع المانيا ، وليتخذوا من اجتياح الالمان للباجيك أقاصيصا يسوقونها للقرون المقبلة كنموذج للوحشية .

والغريب أن هؤلاء انما حاولوا أن يستجدوا عطف العالم على فرنسا التى دمرت تونس ، وخربت قراها وأحرقت مزارعها ، وساقت أهلها

الى المشانق والمطابق والأغلال بلا ذنب ولا جريرة اللهم الا وقوفهم سدادون اغتصاب وطنهم . . .

الحقيقة أنها دعاية كاذبة لا سبيل إلى نقضها بغير ما قاله الالمان ـ ترى هل كان الانجليز يطمعون فى أن نسرح جنودنا فيحرثون الارض ويقيمون الابنية التى هدموها ابان تقهقرهم أمام قواتنا المتدفقة من المانيا فيجعلون منها جنات تجرى من تحتها الانهار .

أجل ان الحرب لا تخضع لناموس خاص . وما دام الخصمان يقتتلان بسلاح واحد وما دامت تسود كل منهما شرور واحدة فياويل المغلوب ويافرحة المنتصر »

***

وقبل أن اختتم هذا الفصل أرى أن أعرج قليلا على ما نقده البعض عن تقدم البريطانيين ، كان ڤون كلك قد سحب فيلقيه من ميسرته في مواجهة البريطانيين التى رسمها لهم چوفر وأمرهم بمهاجمتها ، ثم بعث بهما لسحق قوات مانورى ، فقال الكثيرون ان الالمان لم يتمكنوا من أن يفعلوا ذلك إلا لأن البريطانيين قد فشلوا فى أن يقوموا بنصيبهم الذى القى على عاتقهم ، والحقيقة أن هذا الزعم لم تدعمه حقائق ثابتة غير أن الواقع أن چوفر فى الثالث من سبتمبر طلب من السير چون فرنش أن يتراجع الانجليز الى الوراء نحو السين عند ميلون ، وفى ذلك الوقت لم يكن قائد فرنسا قد قرر أن يقاتل عند المارن ، بل ورغب أن يسحب ميسرته الى أبعد من ذلك على أن يعود ثانية الى الهجوم وراء السين .

ثم جاء صباح الخامس من سبتمبر فوصل الانجليز - بعد أن قضوا الليل بأكمله يتقهقرون - جنوب غابة كريسي ، وعلى بعد خمسة عشر ميلا جنوب غرب كولومبية .

وفى مساء الخامس من سبتمبر شعر ڤون كلك بالخطر الذى يتهدده وبدأ يدفع فيلقه الثاني شمالا بعيدا عن كولومبية فى الساعة مبكرة من صبيحة اليوم التالى ، وفى ذلك الوقت كان الالمان ولا ريب بعيدين عن يد الانجليز ، بل وكان بين هؤلاء وبين جراند مورين ستار كثيف من فرسان الالمان ليمنعوا أى حركة يحاول البريطانيون القيام بها .

وكان من سوء الحد كما ذكر آنفا أننا لم نستطع ايجاد قوات كبيرة على المارن فى الساعات الاولى من اليوم السابع ، ولو أننا فعلنا ذلك لكان فى مكنتنا أن نبعثر جناح ڤون كلك الايسر ، غير أن السير دوجلاس هيج لم يلبث أن عطلته حركة ڤون ويشتوفن القادم من الشرق لمعاونة ڤون دير ما رويتز وتأخر الفيلق الثالث كذلك لتدمير الكبارى المقامة على المارن عند لافيرت سوجوار وكان من المعلوم أن قوات المانية كبيرة كانت إذ ذاك فى مميئة البريطانيين ، بل ولا ريب أن مهاجمة الالمان لجناح الانجليز الايمن إبان عبورهم لنهر المارن محاولة كفيلة بان تنتشلهم من مركزهم الحرج .

والحقيقة أنه لو علم دوجلاس هيج بان ڤون بلو قرر أن يتقهقر ، وأن هاته القوات التى بلغه اندفاعها نحو الغرب من شاتوتيرى انما كانت لتغطي تقهقر المشاة لما أوقف تقدمه ؛ ولكنه لم يكن يعلم شيئا من ذلك .

بل وكان من الخطر أيضا أن يجازف فيعبر بجنوده مثل هذا النهر الكبير . . .

كانت هذه هى كل الادوار التى توالت فى هذه الفينة من الدهر غير أن چون فرنش لم يكن أكثر حظا من قواده ، فلم يعلم شيئا عن الموقف الذى تحدثنا عنه فى اللحظة التى كان من الواجب أن يعرفوا فيها ذلك ، ومن هنا يجب الحكم على أى قائد فى الحرب بمبلغ المعلومات التى وصلته فى وقت الحاجة ، وكيف عمل هو بالنسبة الى هاته المعلومات لا بالنسبة الى مجموعة ما أمكنه أن يتفهم بعد أن ضاعت الفرصة التى تتطلب ذلك . ولذا فمن الواجب أن يحكم على أثر تقدم البريطانيين وما نتج عنه مما قام به البريطانيون لا مما كان من الممكن أن يحدث .

وهذا كما أجهدنى أن أوضحه لم يكن من الممكن الاغضاء عنه أو الاقلال من أثره ومكانته .

الفصل التاسع

الحقيقة اننى طيلة الفصول السابقة من الكتاب انما كنت اقصد غرضا واحدا ، هو أن أوضح ذلك العمل الذى قام به البريطانيون فى الادوار الأولى من حرب عام ١٩١٤ وتلك المتاعب والآلام التى ساهموا الحلفاء فيها بنصيب وافر ، بل وكل تلك المشاق التى احتملوها بمفردهم يوم أن تركوا فى عزلة تامة أمام جموع كثيفة من الالمان تتقدم دون أن تلوى على شئ ، وهم لا يعلمون عنها شيئا إلا انها تتقدم والا أنها تقترب . ،

غير أن هذا لم يكن كل شئ ، فقد اضفت الى ذلك ان ابديت ما بتسليح الألمان من ضعف أو قوة . . وقد ذكرت كذلك انه بالنسبة الى نجاح قواد الالمان في مفاجأة الحلفاء احتمل السير چون فرنش بمفرده ثقل اليد التى أعدها العدو لضرب الفرنسيين والانجليز ضربة قاضية لينالوا النصر الحاسم الذى يتطلبونه في الميدان الغربى .

وكان الجنود البريطانيين وضباطهم قد دربوا طوال أيام السلم على أن النصر لا يمكن أن ينال بغير الهجوم ، وأن الدفاع مهما كان ولاى أمد سلاح الضعيف العاجز ، ثم جاءوا الى فرنسا يدينون بهذا المعتقد آملين فى أن يقوموا بحملة هجومية للدفاع عن حياد البلچيك ، ولكنهم لم يلبثوا أن ارتدوا على أعقابهم واضطروا أن يبدلوا من هجومهم دفاعا فكانت أول تجربة لهم فى أول حرب أوربية حديثة خاضوا غمارها ذلك التقهقر السريع المستمر وتلك الجموع الكثيفة التى تلاحقهم ، وعندئذ بدا الاول وهلة بان جانبا من خطة الحلفاء قد أخطئ في تنفيذه . .

ثم تراجع چوفر الى ڤردون فارغم على أن يرد الى الوراء جناحه الأيسر كذلك ، فكان البريطانيون وهم فى أقصى الجناح الخارجى يقومون باطول خط تقهقر فى بقعة مكشوفة وتحت نيران عدو لا يقل عن ضعفهم عددا ، فكان ذلك أكبر مجهود ممكن يستطيع الجيش القديم أن يقوم به بالنسبة الى تدريبه واعداده ، وبذلك لعب دورا مهما له أثره القوى في تبديد أحلام العدو وآماله فى حملة سريعة على فرنسا ، فانقذ الجيش الفرنسى الخامس من الفناء واحتمل بمفرده صدمة هجوم

جيش ڤون كلك عنـد ما وقف في عزلة تامة فى مونز ، ولو استطاع الجيش الألمانى الأول أن يصل الى جناح لا نريزاك وهو يتقهقر امام ڤون بلو من السامبر لنال الالمان ما كانوا يطمعون اليه من الدوران حول ميسرة الفرنسيين .

ولو عدنا ثانية الى الوراء حتى موقف البريطانيين فى الرابع والعشرين من أغسطس لرأينا أن نجاة الجيش الانجليزى من الفناء كانت إذ ذاك مما لا يمكن الاعتقاد بتصديقه ، بل وليس أقل غرابة من هـذه النجاة أن يفر السير هوراس سمث دوريين فى اليوم السادس والعشرين من أغسطس ، وفي ضوء النهار الساطع من أمام جيش يفوقه عدداً ثم مرت خمسة أيام واذ به يعود ثانية الى القتال وبقوات على أتم استعداد للحرب مليئة بالثقة المعنوية والاعتداد بالنفس ، غير أن خطأ تقدير قواد الألمان لموقفهم فى الميدان الغربى أو تغاضيهم عن الفرص التى سنحت لهم والتى تبدو الآن واضحـة جلية ما كان ، ليقلل من قيمة العمـل الذي قام به البريطانيون ، أجل . لقد فشل العدو في انتهاز الفرص ، إذ كانت خطته قد تضاربت اثر أن أخطأ فى تقدير قوة احتمال الانجليز ، أو عـلى وجه آخر مبلغ مكنتهم على استمرار القتال ومتابعته ، كان الالمان بعد أن فر الانجليز من الواز يعتقدون بأنهم لا بد أن يتابعوا فرارهم الى الشاطئ ، وكانوا يؤكدون لأنفسهم كذلك أن الانجليز يفرون فرادى وجماعات لا يلوون على شئ ، وانهم قـد باتوا فرقا مبعثرة ، الا أن شيئا من هذا لم يكن له أى نصيب من الصحة ، وليس ثمة من شك فى أن الانجليز قد

فاجؤا الالمان ، أولا بهـذا الدفاع المجيد الذى لم يكن منتظرا ، ثانيا بهذه العودة السريعة الى القتال والتى كانت الى حد بعيد كذلك غير منتظرة .

والواقع أن خطة الالمان للالتفاف حول جناح الحلفاء الايسر قد فشلت عند ما غير ڤون كلك اتجاهه ، وأرغم قواته على هذا السير السريع في اتجاه الجنوب الشرقى من أميين ، ليحول دون وصول الجيش الفرنسى الخامس الى المارن ، فوصل فى غرة سبتمبر أمام الجيش الانجليزي ، وعاد الجيش الفرنسي الخامس فنجا للمرة الثانية بهذا الهجوم المضاد الذى قام به البريطانيون ليحولوا دون وصول الالمان الى غرضهم الذى يقصدونه ، ثم فقد العدو يوماً ثانيا وهو يحاول أن يدور حول الجيش الانجليزى ولكنه فشل ، وبذلك بات من المحال أن تتم حركة الدوران واستبدلت بمحاولة اختراق الجبهة الفرنسية ، فكان ذلك هو العامل الرئيسى الذى نتجت عنه معركة المارن الاولى .

وفى هذا الامد عاون الجيش الانجليزي الجنرال جوفر للمرة الثانيه ليجد الوقت الكافى ليعد خطته للهجوم المضاد بعد أن فشلت خطته الاولى فى فجر الحرب ، ثم بدأ الحلفاء بتنفيذ الخطة التى أعـدوها فانقذ الانجليز إذ ذاك مانوري كما أنقذوا لاتريزاك ، وكانوا كذلك أول من عبر المارن من الحلفاء لمطاردة العدو ، واضطر ڤون كلك الى أن يتقهقر بعد أن كاد يقضى على الجيش الفرنسى السادس ، فكانوا بذلك أحد العوامل الاساسية التى سببت تقهقر الالمان الى ايسن .

ولقد حاولت وأنا أتحـدث عن التقهقر من مونز أن أوضح كيف

وأين فشل قادة الالمان فى تنفيذ خطتهم. والحقيقة أنه ما من سبيل لمقارنة تلك الطريقة التى حاول بها ڤون كلك أن ينقض بجموع كثيفة فى الثالث والعشرين من أغسطس على الانجليز والفرنسيين ، بتلك التى استطاع بها السير چون فرنش أن ينقذ جيشه من بين فكى الاسد ، ولقد أسوق هنا ذكريات قديمه عن الحروب : فقد كانت الجيوش تقاتل فى أماكن تكاد تتساوى خطورة ، غير انى لا أذكر حادثة استطاع فيها جيش أن تنجو من النهاية المؤلمة التى تنتظره بضحايا قليلة بعد أن كبد العدو خسائر فادحة ، بل ولست أجد فى ذاكرتي كذلك أخرى انقلب فيها جيش بمثل هاته السرعة من التقهقر المستمر المضنى وهو يفر والاعداء يلاحقه وتتعقبه الى مهاجمة أولئك الذين يتعقبونه ، بل ولا ريب أنه لم يكن فى تحركات مولتكه ما يمكن أن يقارن بتلك الحال التى كان چوفر فيها وهو يحمل على عاتقه عبء سلامة وطنه ومستقبل أوربا باجمعها ، فيعمل فى هدوء على جمع هاته الخيوط الممزقة التى بقيت من خطته الاولى التى فشلت عند ما التقى بالالمان فى ولايات فرنسا الشمالية لأول مرة ثم يعاود ثانية نسجها فى خطة جديدة ناجحة ،

ولم يك في هاته الحقبة من بدء الحرب شيئاً يستحق الذكر أكثر من فشل ڤون مولتكه في توجيه الجناح الايمن الذى أعده للقيام بالجزء الحاسم من المعركة ، والواقع أن الالمان لم ينالوا قصدهم الاول فى الغرب بمهارة قوادهم في الميدان ، ولا بتلك السبل التى عمل بها هؤلاء لمتابعة هاته التغييرات اليومية التى يستلزمها الموقف الحربي ، ولكنهم نالوه لاول

وهلة لفشل جوفر فى تنفيذ الخطة التى أعدها للانتصار على الالمان بايقاف تقدمهم من البلچيك واختراق الالزاس واللورين بجناحه الأيمن ، ثم عاودوا الانتصار ثانية ، لان مجهودات الحلفاء كلها من بدء عام ١٩١٥ حتى صيف عام ١٩١٨ فشلت ولم يفلح الحلفاء في أن يستردوا بالقوة ما ناله الالمان منهم . . .

غير أنه الى جانب ذلك كان الالمان يحاربون في أرض أعدائهم ، فاجتاحوا البلچيك واحتلوا المقاطعات الغنية فى شمال فرنسا ، وفي إبان ذلك ردوا الروسيين على أعقابهم فى الجبهة الشرقية ، وكان مجموع قوات أوروبا الوسطى فى بدء الحرب تفضل قوات الحلفاء فى عدد السكان والثروة المادية ودقة المصنوعات وانتشارها ، بل وحتى في القوتين البرية والبحرية وعلى ذلك يحق لنا هنا أن نتساءل كيف استطاع الالمان أن ينالوا هذا المركز القوى الذى ظلوا أمدا طويلا يحافظون عليه ؟ لم يكن قواد الالمان يفوقون قواد الحلفاء فى الصفات التى تتطلبها القيادة ولم تكن جنودهم كذلك يفوقون سواهم شجاعة واحتمالا للخطوب ، الحقيقة أنه لا مناص من هذا التساؤل وإن كان لا فائدة للجدل فيه أو المناقشه ، غير أن الانجليز كذلك كانوا هم أيضا يكادون يوازون أعداءهم قوة ومهارة فلقد فكر الالمان فى هذه الحرب ، وأعدوا لها العدة كذلك منذ أمد طويل ، ثم خاضوا غمارها وهم على علم تام بانها سوف تكون حربا عالمية ، وكان العالم باسره يعرف ذلك أيضاً ، ولذا فمن الواقع أن الانجليز بذلوا عناية كبرى ببحث قوة عدوهم وتنظيم قواته ، ثم برهنوا بعد ذلك على أنهم على أقل

تقدير يساوونه قوة ،على أننا اذا ذكرنا أن الانجليز لم يحاولوا الحرب من أجل بقائهم ، ولم يرغبوا كذلك فى اثارتها بل وأرغموا على أن يخوضوها وهم على غير استعداد لخوض غمارها ، بدا لنا من الواضح أن نجاح الانجليز في تنظيم جيشهم أقل بكثير من نجاح الالمان فى ذلك ، ولكن الانجليز قاموا بكل ما كانوا يظنون أنهم لن يستطيعوه ، فكانوا يعدون دائما قوات جديدة فى الميدان كتلك التى كانت لهم أيام السلم ، بل وشقوا من أجلهم ومن أجل الحلفاء البحر طريقا مفتوحا تخوض سفنهم عبابه ، وكان الانجليز كذلك أوطد من خصومهم قدما فى الامور المالية ، وأفلحوا أيضا الى درجة تفوق الألمان في مسألة مد الاهلين بالطعام ، بل ولم يعد الألمان أى سلاح أو أية خطة جديدة من أجل الحرب دون أن يعد الانجليز بدورهم ما يوازيها ان لم يكن يفوقها ،الا أنهم مما يؤسف له وان كانوا لم يتباطؤا في تنظيم القوات عند ما بدئ بتنفيذ ذلك جديا كانوا فيما عدا ذلك بطئ الحركة أو على وجه آخر يقضون طويل وقت في التفكير والبحث ثم وقتا آخر فى التنفيذ .

غير أن المسألة الوحيدة التى فشلوا فيها هي السلطة التنفيذية للقائد العام ، ولست أقصد بها هنا فقط الترتيبات لضبط وربط الاسطول والقوات العسكرية البرية منها والبحرية ، بل عدا ذلك سبل تعاون السياسة والاستراتيجى العسكرى ، تلك السبل الآلية التى أدعوها في غير افاضة مجموعة أثر القائد الاعلى فى الحرب .

وكان مولتكه الكبير ـ كنتيجة لتجاربه في عام ١٨٧٠ـ أول من

وجد أن كلمة نابليون « ليست لمجموعة الجنود فى الحرب القيمة الكبرى، وانما القائد بمفرده هو كل شيء فى الجيش » لا تتفق تماما والامم المسلحة اذ كان يعتقد أن أهمية تنظيم القوات في وقت السلم واعدادها هى كل شيء ، واعتقد خلفاؤه كذلك ان الأمة التى تبذ سواها في تنظيم قوتها سوف تنال بداية حسنة وانه من المحال أن تجنى أية فائدة من المجهودات التى تبذل إبان الحرب ما دامت الامة التى تقوم بها قد تباطأت فى هذا التنظيم والاعداد .

وقد رأى مولتكه كذلك أن شخصية القواد لا يمكن أن تؤثر في جيوش تعد بالملايين ، أو أن يكون لها هذا الاثر الذى كان لنابليون الاول فى جيوشه ، ورأى كذلك أن تكون هناك عناية أقل بتدخل القائد فيما يحدث بالميدان بل على نقيض ذلك من الواجب أن تبذل عناية كبرى فى تنظيم القوات ووضع الخطط قبل أن تبدأ المعركة ويلتحم الخصوم ، ووصل مولتكه كذلك الى أنه فى الحروب التى تخوض الامم غمارها من أجل سلامتها ، من الواجب أن تستخدم الجنود الى أقصي حد ممكن ، والى أبعد من ذلك فمن الضرورى أن تتضامن كل القوات المعنوية فى الامة فى هزيمة العدو وضربه الضربة الحاسمة ، ومثل هذا الحمل الثقيل لا يمكن أن يلقى عبأه على عاتق رجل واحد ، ومن هنا بات من الواجب أن يتعاون الجميع ، أو على وجه آخر أن يسير القائد وفق خطة موضوعة قد بحثت بعناية ودقة .

وليس من الضرورى هنا أن اتحدث في أية افاضة عن القيادة العليا الالمانية ، فقد قام بذلك منذ زمن طويل سبنسر ويلكنسون فى كتابه الذى وضعه عن المانيا العسكرية ،ولهذا فان واجبي هنا أن أصور على أبسط وجه تنفيذ نظرية الالمان بالنسبة الى أقصى ما يستطاع من الضبط والربط فى وقت الحرب ، وقد لا تربو عوامل واسس هاته النظرية على انفصال السلطة التنفيذية عن القيادة ، أو على وجه آخر على التفرقة بين ما ادعوه بالجزء العملى فى الحرب وبين مسئولية وضع وتنفيذ العمليات الحربية . .

والواقع أن الناحية التخطيطية هى التى تقدر للناحية العملية ما تحتاجه من الرجال والمؤن والذخائر والمواد على تباين أنواعها ، فاذا لم يكن من المتيسر لتلك التقديرات أن تساير الخطة . فمن الواجب أن تهذب حتى يمكن أن توافق الى أبعد ما يمكن ما أعد لمعاونتها من الوسائل .

بل ولا ريب كذلك أنه للعناية بتنظيم الناحية التخطيطية أن يكون هناك كثير من العلماء والفنيين لبحث صغائر كل عارض جزئى قد يمكن أن يوجد فجأة ثم يبعث بها بعد ذلك الى رئيس هيئة الاركان حرب أو القائد العام وهو اذ ذاك صاحب الامر بمفرده ما دامت قد وصلت الى تلك الدرجة من الاعداد . غير أنه ـ وقد يكون ذلك ضروريا ـ يحولها الى سواه ممن سيقومون بتنفيذها لتتفق الى أبعد حد مع السياسة العسكرية ثم يعود هو بمفرده فيراقب تنفيذها عند ماتقر ويوافق عليها .

وأهم ما يرى فى هذه الطريقة العملية أن فردا واحد بمفرده هو

الذى له حق مراجعة الآراء التى يستحسنها هو بمفرده أيضا الذى يراقب تنفيذها وفق خير ما يرتئيه لها .

وقد قال مولتكه عن نظريته فى نهاية أيام حياته : إنها تعاون على ايجاد روح عالية واذ كانت المانيا حسنة الجد فستكون بها وقت الحاجة تلك العوامل التى تتطلبها هاته الروح ، بل وكان من الممكن أيضا أن يقوم باستخدامها الى حد بعيد رجل له كفاية عادية قد درب على تفهمها واستعمالها . .

ولكنه عاد ثانية فقال بأنه لا طريقة للضبط والربط في الحرب يمكن أن تصلح لتلك السبل التى أعدت للنجاح مستندة الى ايجاد روح قوية عند الحاجة اليها ، ثم تابع حديثه فقال كذلك بان الحياة الحديثة متضاربة الى درجة بعيدة ، ولذا فان أى روح لا يمكنها دون معاونة تنظيم فنى تام أن تقوم على أكمل وجه بالعمل الذى يجب أن تقوم به طوال وقت الحرب .

وقد قال مولتكه بعد ذلك وهو جد مغتبط باعماله إنه ترك لوطنه انموذجا للقيادة لا يمكن لأمة سواها أن تساويها فيه . وقد برهنت الحوادث بعد ذلك أن مولتكه كان الى حد ما ـ وهذا ولا ريب لحسن جد العالم مخطئا فى تقديره ـ لانه لم يتكهن بهذه الاضرار التى تنتج عن ترك مثل هذه القيادة العليا المنظمة فى يد هيئه أوتوقراطية من حكومة النبلاء ، بل ولم يتنبأ مولتكه بأن النبلاء البروسيين سوف يستعملون هذه الوسيلة التى خلفها لهم وراءه الى أبعد من الغرض الذى كانت له .

ولم يكن مولتكه وبسمارك كما هو واضح وجلى من تلك الاقصوصة

الغريبة المليئة بالخيانة عن حرب عام سنة ١٨٧٠ يعتدان كثيرا بالشرف والعهود أو ما يوازيها في عرف السياسيين ، وإذن لابد أن تكون غباوة خلفائهم الذين أثاروا العالم المتمدين باسره على تحالف دول الوسط قد قضت من مضجعهما فى قبرهما ، بل ولم يظن مولتكه كذلك أن الحرب سوف تطول إلى هذا الامد الذى يمكن معه لأعداء ألمانيا أن يصلحوا الاخطاء التى اقترفوها إبان اعدادهم وتدبيرهم لأمر الحرب ، ولم يقدر مولتكه كذلك أن هذه الخطة الحكيمة التى خلفها وراءه سوف يقوم بتنفيذها نفر عاديو الكفاية فيسبب ذلك تضارب تدبيراتهم لتحديد مبلغ قوتهم تجاه الاخطار غير المنتظرة ، ويضعف كذلك من قوة ابتكارهم في الميدان . . .

ولم تخلو خطة الالمان كذلك من روح الشر التى سادت مختلف مرافق الحياة الاهليه فى المانيا ، تلك الشرور التى وقفت دول أوروبا باسرها ـ إذا اقتطعنا منه دول التحالف الرباعي لاوروبا الوسطي ـ تناضل لسحقها ، ولم تكن العوامل الحقيقية التى نشأت عنها كذلك أقل منها شرورا ولكنها محت رغم كل شئ تلك الاخطاء التى ارتكبها الالمان وهم يقومون بتنفيذها ويعدون العدة له ، فبقيت بذلك وسيله مخيفة لها أثرها فى تسيير دفة الحرب .

واذا عدنا ثانيـة الى الوراء باذهاننا وبحثنا فيما ظننا أن ألمانيا سوف تقوم به عند ما أرغمت العالم بأسره على أن يخوض غمار الحرب ، وقارنا ذلك بما فعلته ألمانيا عام ١٩١٤ ، بل وإذا لاحظنا أن عناية الالمان باعداد

الخطط وتنظيم القوات هما اللذان سببا هذا المركز القوى الذى كانت فيه الجيوش الالمانية عند ما التقت لاول مرة بجيوش الحلفاء فى الميدان الغربى. أجل، اذا بحثنا ذلك كله وتبيناه فمن الواجب أن نعلم بأن التخطيط كذلك أو العناية به على وجه آخر ، والمهارة فى تنظيم القوات هما اللذان كادا ينيلان المانيا نصرا حاسما في ربيع عام سنة ١٩١٨ ، فاذا حاولت المانيا مرة أخرى أن تخوض غمار الحرب في الميدان الغربى فمن الواجب ان نتحقق أن الطريقة التى ينتج عنها مثل هذه النتائج - على الاقل - تستحق عناية كبيرة منا بأمرها . .

والواقع اننا قد تعلمنا الكثير — كما ذكرت آنفا — من الالمان فى هذه الحرب ، بل فقد نقلنا عنهم كل الاسلحة التى كانت بلا جدل تفوق أسلحتنا ، بل ومن جهة أخري قمنا بتحسين ما أثبتت التجارب الحربية نقصه ، ودرسنا بعناية طرقهم التكتيكية ، وانتفعنا كثيرا ولا ريب بهاته الدراسة ، ولذا فمن المنطق المعقول أن ندرس أساليبهم فى تسيير دفة الحرب ناقلين عنهم كل ما هو حسن غاضين النظر عن الباقى ، غير أننا بالنسبة الى هذا الضرب من التدريب العسكرى كنا ولا نزال وراء الالمان فلقد تابعنا عملنا باساليب قديمة دون أن ننتفع انتفاعا كافيا من التجارب التى اكتسبناها من مراقبة العدو .

وقد نسجت جيوش القارة بأكملها ومن بينها الجيش البريطانى . على منوال الالمان فى تكوين هيئة القيادة العليا كل بالنسبة الى حاله الطبيعية والاجتماعية . غير أننا لم ننجح فى إيجاد الرابطة التى تضم هيئة

الاركان حرب الى بقيـة مجموع الحكومة فى وقت الحرب ، وما زلنا كذلك ـ كأمة من الواجب أن تفكر ـ لم نستطع بعد أن نميز الفرق الدقيق بين روح التفكير الحربية لمجموعات مبعثرة من الجنود ، وبين تلك التى تسود عقلية رجل مسئول في قيادة قوات منظمة تنظيما فنيا .

بل وما زلنا نتضارب بين القيادة وبين الناحية التنفيذية من الحكومة بالنسبة للخسائر والاضرار التى تنتج عن كل ، وفى عام ١٩١٤ عنـد ما خضنا غمار حرب الاربعـة أعوام ، أخطأنا لاول وهلة في تقديرنا فقد ظننا أننا نستطيع أن نساهم فى حرب أوروبية على زعم أننا سوف نحمل على عاتقنا مسئولية محددة وكانت استعداداتنا بالنسبة لمثل هذه الحرب كافية ، غـير أن جيوشـنا لم تلبث أن ذهبت الى فرنسا ، واذ ذاك بدأ بوضوح أنه من الواجب أن نعمل إلى أبعد من هـذه المسئولية التى ظننا أننا لن نتخطاها ، غـير أن شيئا من هذه الظنون لم يتم فقد كنا بمفردنا أمام العـدو فى مونز ، وكنا كذلك فى عزلة تامة نتحمل ضربات جيش ڤون كلك طوال تقهقرنا الذى أرغمنا عليـه تقهقر الفرنسيين السريع ، وفى طيلة هـذا التقهقر كنا نحول دون وصول الالمان الى فلول الجيش الفرنسى المنهزم ، ووصلنا المارن ثم عـدنا ثانية على اعقابنا نتبع التقهقر السريع بتقدم فجائى فكنا نحن الذين جئنا الى فرنسا لنحمل عبء مسئولية محددة ، أول من عبر المارن وأول من طارد الالمان فى سبيلهم الى ايسن .

والغريب أنه شتان بين اليومين الخامس والتاسع من سبتمبر ، ففى اليوم الخامس كان الالمان منتصرين على طول الميدان الغربى فى خط متعرج

يمتد من ڤردون الى ڤيترى لوفرنسوا ، ومنها الى مستنقع سان جوند فكولومبية على الجراند مورين فغابة كريسي ڤلاپينى على نهر المارن ، وكان الانجليز والفرنسيون تجاههم في قوات مبعثرة بينها فواصل فسيحة أفلح فرسان الالمان مراراً في اختراقها . ثم جاء اليوم التاسع من سبتمبر وعاد الالمان ثانية الى الوراء ، وتقهقر خط القتال من مستنقع سان جوند فشاتوتييرى وڤيترى .

وهنا يحق لنا أن نتساءل كيف عاد الالمان ثانية الى الوراء ، بل وكيف استطاع الحلفاء أن ينجحوا الى هذه الدرجة رغم أن قواتهم فى الميدان الغربى من الانجليز والفرنسيين كانت منهوكة القوى ، وكان الكثير منها ينقصه الكثير من الضباط والذخائر ، غير أننا ولا ريب نستطيع القول بأن الانجليز انما أعادوا خطهم الامامى الى الوراء بعد أن فشل ڤون كلك فى جمع قواته خلف فيلقه الرابع الاحتياطى ليستطيع سحق مانورى ، واذن ففى مكنتنا هنا أن نرقب سبب هذا الفشل متى بدالنا أن فرسان ڤون دير مارويتز قد فشلوا فى أن يحولوا دون تقدم البريطانيين إذ أنه فى نفس الوقت الذى اندفع فيه الانجليز من خنادقهم حول باريس فى طريقهم صوب الشمال ، تقدم بعض المشاة خارج غابة كريسى لقطع خط الرجعة على فرسان الالمان ، فاضطر هؤلاء أن يتقهقروا الى الوراء وعلى ذلك فشل ڤون كلك لانه حز رأن البريطانيين مقبلون لمعاونة مانورى .

ثم كان الثامن من سبتمبر والانجليز يتابعون تقدمهم شمالا الى

بيتيت مورين ، واعد الالمان الخنادق لمشاتهم على طول النهر عند أورلى ولكن الانجليز رغم استبسال العدو في الدفاع استطاعوا أن يأسروا غالبية تلك القوات الالمانية . . ، وفشل الالمان كذلك فى محاولاتهم على طول بيتيت مورين ، فقد نجح فرسان اللنبى ومشاة الجنرال هيج فى دفع الالمان الى الوراء ، وفي المساء عبر الالمان بيتيت مورين . ثم عبروا المارن كذلك عند شاتوتيرى وكانت هذه النقطة الوحيدة التى لم يستطع الألمان تدمير الكباري المقامة على النهر عندها ، وبذلك استطاع الانجليز أن يصلوا إلى الالمان وأن يضطروهم الى التقهقر ، وكادوا لولا تأخر اللواء الاول أن يقطعوا الطريق على جزء كبير من جنود الجيش الالماني الاول .

قام الانجليز بكل هذا لامن أجل بقائهم ولامن أجل هاته المسئولية المحددة التى كانوا يحملون على عاتقهم عبء تنفيذها ، وانما لأنهم وجدوا أن لاسبيل الى غير هذا الجهاد من أجل الدفاع عن الحلفاء . بل من أجل الدفاع عن العالم باكمله .

* * *

والحقيقة أن عملية اعداد القوات وارسالها الى فرنسا قد تمت في هدوء رغم كل تلك الصعاب التى كانت تعوق اتمامها على الوجه الاكمل ، بل وبالنسبة الى الاعمال التى قام بها مجلس الدفاع الامبراطورى والتقارير التى أصدرها عن أعماله كانت كل من مصالح الحكومة المتباينة تعرف ما يجب عليها أن تفعله ابان الحرب ، ولكن لم يبد لاي فرد أن هيئة

الحكومة البريطانية فى وقت السلم كانت فى حاجة الى تغيير تستلزمه الحالة الحربية ولم يفكر أي فرد كذلك فى مدى هذا التغيير ولا الصورة التى تتحول اليها هذه الهيئة المبدلة ، غير ان الانجليز وهم كبيرو الثقة فى الافراد دون الهيئات اختاروا لوزارة الحربية الرجل الذى لهم فيه أكبر ثقة ، والحقيقة أنه لحسن جد بريطانيا ، بل ولحسن جد العالم باكمله كان اختيار اللورد كتشنر لوزارة الحربية ، لان كتشنر قد برهن للعالم أجمع على أنه رجل واسع الحيلة ، حسن الرأى ، لم يخطئ التقدير فى طوال اشرافه على القتال فى الميدان الغربى الى درجة لم يصل اليه أى من الانجليز وحلفائهم أو حتى من العدو ، فقدا كتشف لاول وهلة مبلغ استطاعه الحلفاء على القتال ، ثم بدأ عمله بتنظيم قوات الأمبراطورية من أجل نضال مستمر ، وبذلك استطاع أن ينقذ بريطانيا وحلفاءها .

غير أننا لا نستطيع أن ننكر أن اللورد كتشنر قد قضى غالبية حياته بعيدا عن انجلترا ولذا لم يكن ذو دراسة كبيرة بالترتيب العادى للحكومة ، ولم يكن كذلك يعرف الشيء الكثير عن الطرق الحديثة للقيادة ، ومع ذلك فقد حمل على عاتقه عبء وزارة الحربية وقيادة القوات البريطانية على طول ميادين القتال ، وكان كذلك يعمل على تقوية بريطانيا واعداد قوات جديدة باستمرار ، والى جانب هذا العمل المضنى قام بارشاد حكومة جلالة الملك فى كل الامور الحربية التى عرضت عليه .

ولكن كتشنر عند ماوضع خطته اخطأ فى وضعها ، وعند ماعلم ذلك كانت الخطة قد فشلت ، وقد يبدو ذلك واضحا من هذه الفقرة الواردة

فى التقرير الذى وضع عن حملة الدردنيل .

« وانا نعتقد أن اللورد كتشنر لم ينتفع الى درجة كافية بخدمات وآراء هيئة أركان حربه، وبذلك فقد حمل على عاتقه مالا يمكن لرجل واحد أن يحتمل ثقل عبئه وقد نتج عن هذه الرغبة الى ايجاد قوة مؤثرة ذلك التضارب الذى وضحنا أثره » . (١)

ولا بد أن يكون قد أضيف الى ذلك انه بالنسبة الى ثقة كتشنر بنفسه قد بعث بهيئة الاركان حرب في وزارة الحربية كلها الى فرنسا على زعم انه لاحاجة له بمعاونتها فى لندن .

وقد كان اللورد كتشنر ـ بالنسبة الى شهرته الواسعة وصلابة أخلاقه مركزا كبيرا فى المجالس الحكومية ، ومن هنا اعتقد الكثيرون بان هذا الخطأ على وجه أصح انما نتج عن اعطاء جندى واحد سلطة واسعة أكثر مما يتطلبه عمله الحكومى، لا عن التضارب الموجود في الدوائر الحكومية .

وكانت نظرية الانجليز فى الهيئة الحكومية ابان السلم انما تقوم على أساس منح السلطات لذوي المهارة والكفاية على أن يترك هؤلاء فى حرية تامة يستشيرون سواهم من الاكفاء كما يرغبون وأخيرا يقررون هم ما يرونه بعد أن يبحثوا بعناية آراء مستشاريهم ، غير أن شيئا من هذا لم يكن من الممكن الاخذ به فى وقت الحرب لانه من الواجب أن يكون هناك رجل واحد له من مركزه الحق في أن يشير على الحكومة بنصائح لها أثرها

---

١ ـ صحيفة ٤٣ من التقرير الاول لحملة الدردنيل عام ١٩١٧

وقيمتها الحربيـة حتى لا تتضارب الحكومة بين آراء مستشاريها ولا تعرف أى تعمـل به ، لأنها لا تدرك نصيب كل من حسن الرأى ، ولم تنشأ المتاعب التى لاقيناها ابان الحرب عن اهمال الحكومه لهـاته الاستشارة الحربية ، بل عـلى نقيض ذلك كانت لان الوزراء لم يحسنوا الاخذ بالنصيحة الحسنة التى يجب الاخـذ بها ، قال البعض لو استشار الوزراء عـددا كبيرا من العسكريين فاقتبسوا من رأى كل الناحية التى يتطلبها صالح معمل لاستطاعوا أن يجدوا لديهم مجموعة كبيرة من الآراء المتباينة قـد دافع فيها كل فرد عن وجهة نظره ، وذلك ولا ريب خير من رأى واحد ، يتحدث به رجل واحد مهما كان مبلغ دراسته للعوامل التى تنتج عنها المقترحات المعروضة للبحث ، غـير أن المعقول الواضح أن الجنـدى بمفرده هو الشخص الوحيد الذي يستطيـع أن يعطي رأيا حازما فى أية مسألة عسكرية بعد أن يبحثها بعناية ، أما سواه فقد يصيب غير أن آراءه ولا ريب مليئة بالخطأ .

وقد يمكننا أن نسوق هنا انموذجا آخر لضعف سبلنا التى اتخذناها فى الحرب ، ذلك هو السبيل الذى وصلنا به الى تقرير التقدم الى بغداد فى خريف ١٩١٥ ، وكان لدى الحكومة اذ ذاك قرار قائد القوات البريطانية فى تلك الجهـة ولـكنه لم يكن فى مكنته أن يبدي رأيا حاسما عن مجموع القوات التى يستطيع العدو أن يبعث بها الى ميدان القتال ، فاستشاروا بعد ذلك قائد القوات البريطانية فى الهند ولـكن الرجل لم يكن مسئولا عن معرفة مبلغ القوات التركية ، فقد كان ذلك واجب هيئة أركان الحرب

بوزارة الحربيـة ، وكان هؤلاء بدورهم أيضا لا يتحملون مسئولية تنفيذ هذه العمليات الحربية ، ولم تكن لديهم معلومات وافية عن نوع القوات المرسلة وعن السبل التى ستتبع فى نقل الجنود ، فاستشاروا بعـد ذلك السكرتير العسكرى فى وزارة الهند ، لكن الرجـل لم يكن بدوره هو الآخر مسئولا عن اعداد هـذه الحملة ، ومن هنا نشأ تضارب كل هذه المجموعة المتباينة من المستشارين ، مع أن أى رجل واحد له من مركزه ما يؤهله لأن يبحث المسألة كلها كان فى مكنته أن يضع بعد ذلك خطة واحدة تتضمن كل العوامل المتباينة التى كانت تحت البحث .

وقد ذكرت تلك التقارير التى وضعت عن حملة بلاد ما بين النهرين . « لا ريب انه للطريقة التى حاولت بها (لندن وسملا) توجيه حملة على بلاد ما بين النهرين اضرار كثيرة واضحة ، كانت المسئوليـة مبعثرة لتباين السلطات التى كان من الواجب أن تشاور في الامر ، ولقـد نذكرها هنا واحدة إثر الاخرى لتستطيع أن ترقب مبلغ تباينها ، كان أولها قائد القوات البريطانية هناك وتبعه قائد القوات البريطانية فى الهند ، فنائب الملك ، فسكرتير حكومة الهند ، وسكرتيره العسكرى ، ثم مجلس الحرب مع هيئة الاركان حرب الامبراطورى ، وأخـيرا مجلس الوزراء ، ومثل هذه التجزئة تضعف نصيب كل في المسئولية بل ولا بد أن تكون قد سببت أيضا صعوبة توجيـه اللوم والنقد لاى من السلطات التى كان لها نصيب فى بحث الامر ، وكانت نتيجة كل ذلك أن فشلت الحملة طوال عام ١٩١٥ ، بل وحتى فى اللحظة التى انفردت فيها لندن ببحث الامر لم يكن

أى شئ قد صار الى التحسين . (١)

ولقد قطعنا شوطا بعيدا منذ ذلك الوقت ، غير أننا لم نبتعد بعد إلى ما يكفى للبحث دون أن تؤثر فى بحثنا هذه النتائج التى ما زالت ماثلة لأعيننا ، والحقيقة اننا نجحنا فى حل مشكلة اتحاد القيادة فى فرنسا ، وسبب هذا النجاح هذه النتائج الواضحة للعيان ، غير أننا ما زلنا نعتقد أن المرجع الذى نعود اليه للمشاورة انما هو فى ارض الوطن ؛ وقد استطيع هنا أن أقرر باننى أشك اذا كان في بريطانيا كلها اليوم سياسى مسئول لا يرى أن من واجبه بل ومن حقه أن يحاول ايجاد رأى ثان له ما دام يشك بعض الشك في الأول ، ولقد ذكر عضو في وزارة الحربية فى حديث له عن حملة العراق أن سبب كل هذه المتاعب والمشاق التى لاقاها الانجليز انما هو اعطاء العسكريين سلطات واسعة ؛ واذا بحث هذا السياسى الذى ننقل اللحظة حديثه . في حالة الحكومة إذ ذاك لبداله أن بريطانيا العظمى . قد أجهدت نفسها عبثا ، وقد ذكر اللورد كرزن فى قاعة ساكستون يوم ١٩ مايو عام ١٩١٨ .

« لقد كنت أنا الآخر فى الهند عرضة لتجارب أكثر قسوة من هذه ، غير أنى أكرر أن ذاك الذى يقرأ التقرير الذى وضع عن حملة بلاد الجزيرة سوف يرقب بوضوح ما نتج عن استقلال الهيئة التنفيذية الحربية الى حد ما عن مراقبة الملكيين » .

وقد اضطر الوزراء مرغمين الى أن يلقوا بانفسهم بين أيدى

---

(١) صفحة ١١٧ تقرير عام ١٩١٧ عن حملة بلاد الجزيرة

العسكريين لانهم كانوا يستشعرون بعظم المسئولية التى يتحملون عبئها وكانوا إلى جانب ذلك يتحسسون جهلهم بالاستراتيجى ، غير أن ذلك لم يكن يمنع الحكومة من استشارة سواهم ، فقد تكون هناك آراء أخرى لغيرهم يمكن الاخذ بها ، ويؤدى ذلك ولا ريب الى ان تكون الآراء المتباينة كلها على قدم المساواة ، فتدرس بعناية ثم تنفذ كلها بالنسبة الى خطط واقتراحات أخرى .

والحقيقة أن ذلك لا بد أن يقلل من الخطأ والتضارب وأن يسبب القضاء عليه ، بل ولا ريب كذلك أن أقدر هيئة بين المجموعة الكثيرة التى تقود جيوش العالم لا بد أن تخطئ ، لان تسيير دفة الحرب ما زال يستند الى الظن وزعم ما يفكر فيه العدو وما سوف يضعه من خطط ، غير أن القادة يأملون دائما فى أن يكون لظنونهم نصيب كبير من الصحة بل ومن الواجب أن تكون هناك الى جانب ذلك ثقة وتقدير بين الحكومة وبين مستشاريها العسكريين . فاذا لم تقتنع الحكومة برأيهم فالاصلح أن تبدل منهم لا أن تطلب إليهم ايجاد رأى آخر والحقيقة أننا قد أخطأنا يوم أن عدنا ثانية فجعلنا السكرتير الحكومى للشئون الحربية مسئولا عن تسيير دفة الحرب ، أجل لقد فعل ذلك في كثير من الحكومات الدستورية . غير أن الدستور البريطانى يقول بان الوزراء هم المسئولون امام البرلمان ، ولم تكن هذه المادة الدستورية قاسية عند ما أضافت الى ذلك أن رئيس هيئة الاركان حرب الامبراطوري يجب أن يبعث كل يوم بتقاريره الى وزارة الحربية ، على أن يكون مسئولا أمامها

وتكون هى بدورها مسئولة بعد ذلك امام البرلمان ، وهذا الترتيب ولا ريب يقوي من سلطة الهيئة الملكية فى الحكومة .

فاما أن تكون هذه المسئولية التى يتحمل سكرتير الحكومة العسكرى عبأها حقيقية وفي هذه الحالة يكون الرجل قد أثقل كاهله كما اثقل كاهل اللورد كتشنر يوم أن كان مسئولا عن توجيه جيوش القارة كلها لمعاونة فوش ، وإما أن لا تكون حقيقية وفي هذه الحالة تكون المسألة كلها رواية مسرحية مضحكة .

والحقيقة أنه من المفيد من الوجهة العسكرية أن يكون القائد العام فى الميدان على اتصال تام بالمستشار العسكرى في أرض الوطن ، وهذه الطريقة يمكن أن تحدد مسئولية كل بل وتحول دون وقوع مثل هذا الموقف الذى وضع فيه المستر تشامبر لن عقب صدور تقرير حملة بلاد النهرين . . أجل كان المستر تشامبر لن مسئولا عن تسيير دفة حملة العراق ـ غير أنه كما هو واضح جلى ـ لم يكن فى مكنته أن يجرب أية رقابة فعلية، ولم يكن في استطاعته أن يفعل أحسن مما فعل، وبذلك كان ضحية اهمالنا لتنظيم الرقابة المركزية فى الحرب .

وقد وضعت هذه الرقابة المركزية اليوم فى مجلس حربى لا يقتصر عمله على استقراء السياسة الحربية فقط ، وانما لعمله صلة أيضا بسياسة الامبراطورية بأكملها، وقد بلغ مسامعنا أن هذا المجلس قد يجتمع أكثر من مرة فى اليوم ويستمر فى عمله طوال العام ، وقد يجدر بنا هنا أن تتساءل كم يقضى هذا المجلس من الوقت ليفكر فى إيجاد حل لهذا السؤال

الضرورى ، كيف نستطيع أن ننال نصرا حاسما فى أقصر وقت ممكن ؟ .

والمجلس كما علمنا مكون من وزراء لاصلة مباشرة لهم بالمصالح الحربيـة ، ولذا كان من الضرورى دوام إخبارهم بكل ما يعنو للاسطول وللقوة البرية بحثه ، وهذا يتطلب حضور مستشاريهم البريين والبحريين غالبية هذه الاجتماعات . وفي الحقيقة أن عبء المسئولية كما أثقل كاهل سكرتير الحكومة الحربى ، أثقل ثانية كاهل هـذا المجلس ، وعلى ذلك فاننا نتطلب قيادة عليا كبيرة للامبراطورية تعمل كلها وبمفردها عـلى تسيير دفة الحرب وتكون مسئولة عن التعاون بين السياسة والاسطول والقوات البرية والهوائية من أجل هزيمة العدو ، ومثل هذه الهيئة يجب أن تكون من رؤساء المصالح العسكرية المختلفة ورئيس الوزارة ورؤساء الوحدات المسئولون عنها ، ولا داعى لان يجتمع هذا المجلس يوميا لان أعضاءه وهم مشغولون بمراقبـة سير الحرب ليسوا فى حاجـة الى متابعة الحوادث دائما لبحث وتقرير أهم ما يجب بحثـه من الشئون السياسـية العسكرية والاستراتيجى والشئ الذى لا يمكن أن يكون كل يوم ، بل ومن الممكن كذلك بحث ما يمكن أن يحتاج اليه فى المستقبل ، لانه من المحال أن يفشل التنظيم الفنى والاستعداد العسكرى مادام قد عنى ببحث كل وفكر فيهما طويلا وهل ثمت لا تحتاج الحكومات فى وقت الحرب غير التقدير السريع لتوقى حوادث فجائية غير معلومة .

وبذلك نكون قـد وصلنا الى اعتبار هـذه الحالة المتضاربة عاملا لا يمكن أن نحول عنـه فى تسيير دفة الحرب ، اذ أننا كنا نعود بعد كل

معركة الى الجيش فنعوضه بدل ما فقد من ضحايا ومعدات آملين فى أن نصل الى نهاية أحسن فى المرة التالية . وفشلنا فى فهم أن سبب فشلنا انما كان لهذه الاساليب المليئة بالاخطاء التى عملنا بها على مراقبة الاعمال فى وقت الحرب ، والواقع أن بعض السياسيين عرف هذه الحقيقة وقالوا فى حديثهم عنها إن نظام الحكومة البريطانية لم يعد يصلح للحرب ، الا أن هذا ليس من الحقيقة فى شئ ، لانه اذا كان لنا أن نخشى على مستقبل الديموقراطية البريطانية كطريقة للحكم لا تتمكن من أن تتمشى مع كل الاضرار الاجتماعية التى تقتل الروح المعنوية ، فان الحقيقة الواضحة التى لا يمكن انكارها أن سياسيا بريطانيا لم يفكر قبل هذه الحرب فى تسيير دفة أى حرب وطنية تخوض غمارها انجلترا . ولم تلبث أن جاءت فعاد حكامنا يجدون ويعقدون الاجتماعات المتوالية الطويلة لتوقى الحوادث الفجائية ليكون لديهم الوقت الكافى لحل هذه المشاكل المعقدة .

والحقيقة أننا من أجل حلها لسنا فى حاجة الى مثل هذا الانقلاب الذى وضع الحكومة كلها بين يدى ستة أشخاص إن كنا فى حاجة الى أن نقابل أى عدد منظم بتنظيم فنى آخر مضاد له .

والحقيقة أن كل شئ مما ذكرته هنا انما يتطلب الاسطول ، أو على وجه آخر انما يتطلب المعاونة التامة بين الاسطول والقوات البرية ، أجل نحن أكبر قوة بحرية فى العالم ، ولكننا لم ننتفع من تعاون الاسطول بالقوات البرية فى غير محاولة واحدة ، وكانت هذه بالنسبة لتغافلنا عن النظرية الاولى في التنظيم الفنى فشلا لنا .

بل ولاريب فى أن الاستراتيجى الحربى قد يبدو للكثيرين أقرب الى النفس من لغز من الغاز الشطرنج ، بل والى حد ما كذلك ليس من الممكن نواله والوصول اليه ، اما الاستراتيجى البحرى فهو أدق من هذا لانه ولا ريب يتأثر الى حد بعيد بقوة الطبيعة ، وعلى ذلك كانت متابعة أمر المحافظة على القوات البرية الكثيرة ذات أثر كبير فى كل نواحي الحياة الاهلية ، وعلى ذلك كان المجلس المكون من ستة أشخاص به خمسة يعنون بالقوات البرية ، بينا كان السادس بمفرده هو الذى يهتم بامر الاسطول ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اهتم بأمر القوات البرية الى درجة بعيدة فى اللحظة التى ترك فيها الاسطول ، وبات أمر التعاون بينه وبين القوات البرية ميسوراً بمفرده لا يفكر فردا واحداً فى الاهتمام بأمره وتوجيهه .

والواقع أننا لن نستطيع أن ننتفع على أكمل وجه من مجموع قواتنا كلها ابان الحرب حتى فى وقت السلم الا اذا تعلم أولئك المسئولون عنها كيف يفكرون وكيف يصدرون آراءهم وأفكارهم بسرعة يتطلبها صالح العمل إذ أن وزارة الحربية ـ ولاريب ـ قد بات ذلك يثقل كاهلها . غير أننا هنا لا نستطيع الا أن نقرر أننا قد نلنا فى النهاية نصرا حاسما ، ولكن كان في مكنتنا أن نناله في وقت أقصر من هذا لو كانت حكومتنا قد أعدت له العدة ، كنا نحن دون الحلفاء الذين حاربنا فى ثلاث قارات ، وكنا نحن بمفردنا كذلك الذين تضاربت أمامنا هذه المشاكل العسكرية ، ولذا ليس هناك سوانا من هو فى حاجة الى أن يفكر بعناية كبرى في

أمر تنظيم القوات وليس هناك سوانا كذلك من كانت لديه أساليب كان من الخطل متابعتها ومع ذلك تتبعها .

أجل إنا فى حاجة اليها من أجل أولئك الذين سقطوا في الميدان ، ومن أجل أولئك الذين حاربوا وانتصروا ، وإذا أمكننا أن نتعلم من تجاربنا طوال أيام الحرب لنفهم قيمة التنظيم الفنى ، لما حاربنا عبثا وبلا جدوى طوال هذه المعارك المتتابعة ، ولما تركنا وراءها كل تلك الضحايا التى سقطت فى ميدان الشرف ، وخلفناها وراءنا مبعثرة على طوال العالم مسجية فى الارض القاتمة لا يدل عليها الا تلك الأخشاب السوداء التى خط عليها باحرف من نار « ضحايا الحرب »

انتهى الكتاب

تذييل الكتاب

« صورة طبق الأصل لاحدى أوامر »

ڤون مولتكه الحربية

أصدرت فى الخامس من سبتمبر عام ١٩١٤

« لقد نجح العدو في التقهقر والافلات من حركة الالتفاف التى قام بها الجيشان الاول والثانى ووصل إلى جوار باريس ببعض من قواته ، وكانت خاتمة كل تلك الاخبار التى وصلتنا عن العدو أنه يسحب قواته على طوال المواجهة ، تول ـ بلفورت ، ويرسلها نحو الغرب وأنه يسحب قوات منفصلة كذلك من جنوده المواجهين لجيوشنا الثلاثة الثالث والرابع والخامس ، ولذا فان دفع الجيش الفرنسى كله في اتجاه الجنوب الشرقى عند الحدود السويسرية قد بات من الصعوبة بمكان .

ويجب أن يلاحظ أن العدو يجمع قوات كثيرة حول باريس ، وأنه ينشئ هناك استحكامات جديدة لحماية العاصمة ، ولتهديد الجناح الأيمن للجيوش الألمانية ، ولذا يجب أن يبقى الجيشان الاول والثانى أمام الجبهة الشرقية لباريس ، على أن يتعاونا فى عملية الهجوم ضد أية محاولة للعدو حول باريس .

أما الجيشان الرابع والخامس فمازالا في مناوشات مع جموع قوية للعدو ، ويجب أن يستمرا فى دفعها نحو الجنوب الشرقى ، وبذلك يفتح

الطريق أمام الجيش السادس فوق الموزل وبين تول وابينال ، وليس من الممكن بعد تقدير اذا كان فى استطاعة الجيشين الرابع والخامس بالاشتراك مع الجيشين السادس والسابع أن يدفعا أى قوات للعدو نحو الحدود السويسرية . .

وسيظل عمل الجيشين السادس والسابع فقط ابقاء العدو الموجود أمامها ، ويجب أن تقام عملية هجوم باسرع ما يمكن بين تول وابينال ، كما يجب على الجيش الثالث أن يتقدم فى اتجاه تروى ـ ڤانديف ، كما يجب أن يكون على أتم استعداد ليعمل حسب الموقف ، اما بالاتصال مع الجيشين الاول والثانى وراء السين فى اتجاه الجنوب ، أو الجنوب الشرقى .

وعلى ذلك فجلالة الامبراطور يأمر بما هو آت :

١ — يبقى الجيشان الاول والثاني في اتجاه الجبة الشرقية لباريس على أتم استعداد لمهاجمة أية هجوم للعدو من ناحية باريس .

٢ — يتقدم الجيش الثالث فى اتجاه تروى ڤانديف .

٣ — يفتح الجيشان الرابع والخامس بواسطة استمرار الضغط على قوات العدو فى اتجاه الجنوب الشرقى ، جميع المعابر على الموزل العلوى للجيشين السادس والسابع ، وليتقدم كذلك الجناح الأيمن للجيش الرابع بجانب ڤيترى ، وجناح الجيش الخامس بجانب رڤينيبي أما فرسان الجيش الرابع فيقدمون للاستكشاف أمام الجيشين الرابع والخامس .

٤ — يبقى عمل الجيشين السادس والسابع كما ذكر آنفا .

امضاء

٥ ـ ٩ ـ ١٩١٤ جنرال ڤون مولتكه

خريطة تبين سير الالمان فى البلچيك منذ الرابع من أغسطس حتى الثانى والعشرين منه ومن مطالعة الخريطة تبدو سرعة سير الجيش الالمانى الاول الذى كان يقوم بالنصيب الاكبر من الخطة الالمانية للدوران حول جناح الحلفاء الايسر

- انظر صفحة ٥٦ -

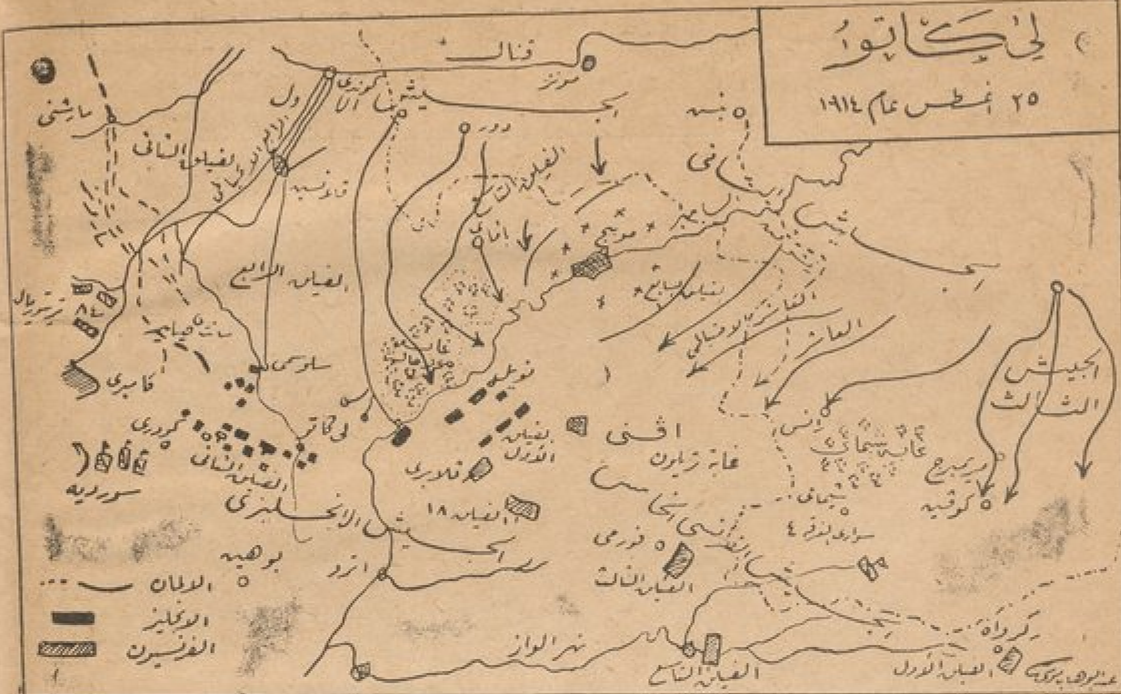

موقعة ليكاتو وقعت فى الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩١٤
ابان تقهقر الانجليز من مونز وقد وقف السير سمث دوريين بفيلقه
وحيدا طوال المعركة تجاه قوات تربو عليه عددا من الالمان

ـ انظر صفحة ١٠٤ ـ

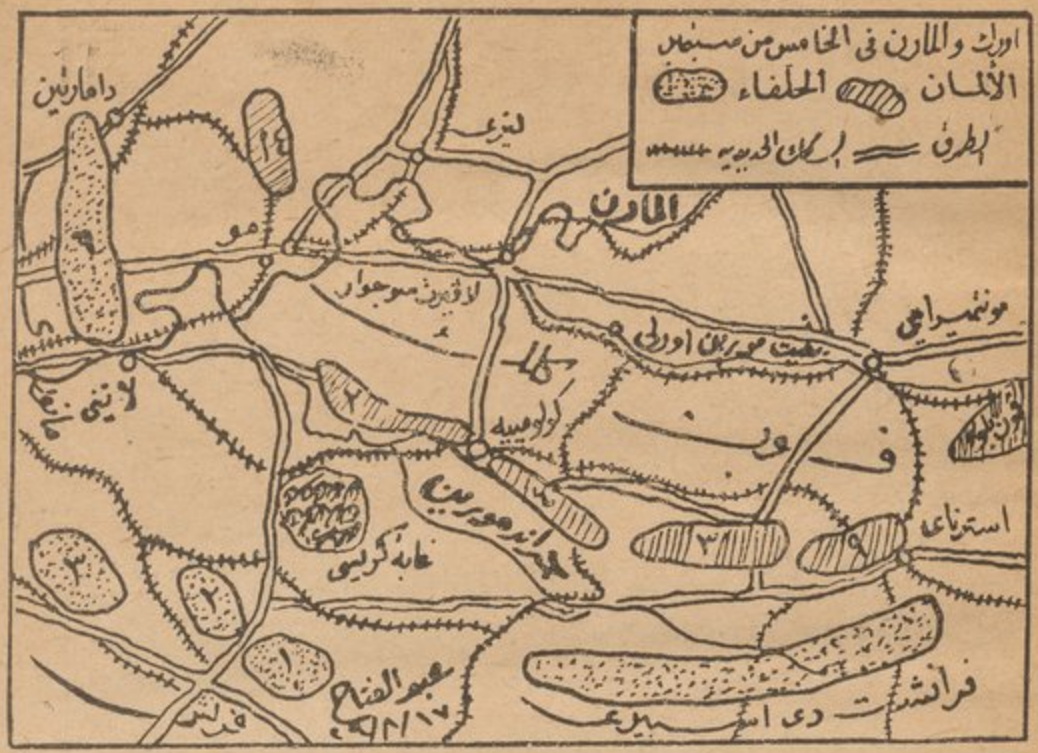

موقعة المارن يومى الخامس والتاسع من سبتمبر عام ١٩١٤

- انظر صفحة ١٧٦ -

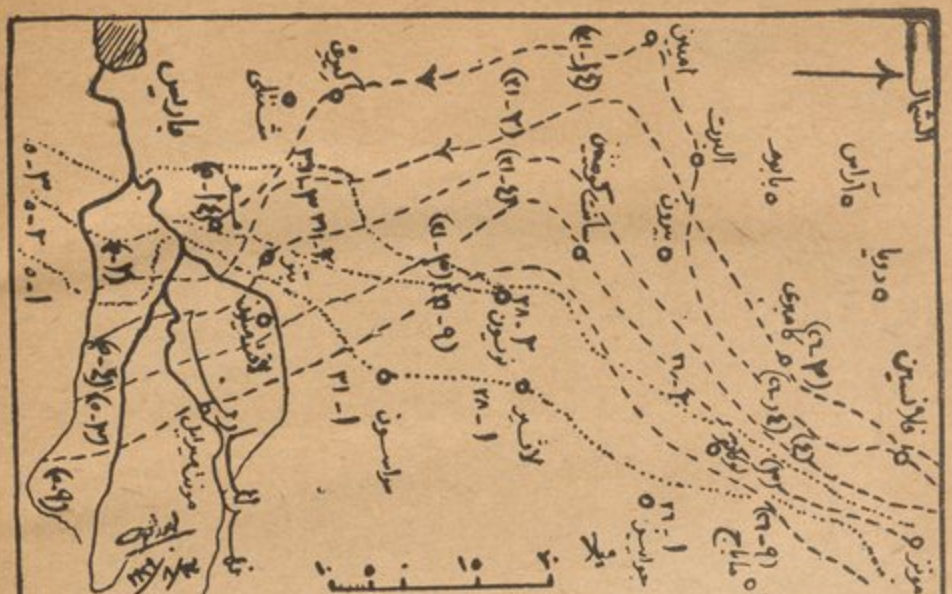

خط سير الجيش الأنجليزى وجيش قون كلاك من مونز حتى الخامس من سبتمبر على ضفاف المارن

خط سير الأنجليز ..... خط سير الألمان -----

ملاحظة - كتبت نمر الفيالق بأرقام كبيرة بينما توضحت تواريخ الأيام بأرقام صغيرة .

خريطة تبين خط سير الانجليز طول تقهقرهم من مونز منذ الثالث والعشرين من أغسطس الى أن وصلوا المارن فبدلوا من تقهقرهم المستمر هجوما فجائيا سبب نصر الحلفاء فى الميدان الغربى فى نهاية هذه الفينة من الحرب

- انظر صفحة ٩٤ -

فهرست

صفحة

٤ مستقبل العالم للاستاذ الأديب رزق الله أفندي قلادة
٧ مقدمة المعرب
١٧ الفصل الاول ـ فكرة العالم
٣٢ الفصل الثاني ـ الخطة الفرنسية
٤٨ الفصل الثالث ـ سير الألمان فى البلچيك
٦٣ الفصل الرابع ـ نامور ـ دينانت ـ السامبر
٧٦ الفصل الخامس ـ مونز
٩٤ الفصل السادس ـ المطارده والتقهقر
١٢٤ الفصل السابع ـ ڤون كلك يغير الاتجاه
١٥٧ الفصل الثامن ـ أورك والمارن
١٩٣ الفصل التاسع ـ انجلترة والحرب

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨	٢٠	فسيعقبها	فسيعوقها
٢٢	٩	البروسيه	البروسيين
٢٦	٣	لاندوهر	لاندفير
٢٨	١	الترينوريال	التريتوريال
٢٨	٣	أخذتها	أخذبها
٢٨	٩	القوسجاس	القوچ
٣٤	٢	بلفورد	بلفورت
٣٤	٤	روبين	دوبيل
٣٥	٧	الموز	الميز
٣٦	٥	الامتين	الاثنين
٣٧	١٣	أن بريطانيا	أن شعبي بريطانيا
٣٩	٨	المحظر	المحزور
٣٩	١٦	الى أبعد	الى مابعد
٤٤	١	السامير	السامبر
٤٥	٣	الاردنيز	الاردن
٤٥	١١	ماباج	موبيچ
٤٥	١٦	فوين	ثوين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	٩	روحا	روح
٥٩	١٦	التورب	انتورب
٦٧	١	Hwi	Huy
٨١	٥	باميال	لاميال
٨١	١٩	الاڤون	الاتون
٩٧	٦	الرابع من أغسطس	الرابع والعشرين من أغسطس
١٠٥	١٥	لأنهم يكونوا	لانهم لم يكونوا
١٠٨	١١	واميكس	وامبكس
١١٠	١٠	وارڤل بروك	وارنل بروك
١١٢	١٢	الفريه	القريه
١١٢	١٨	المدفعيه	المدافعه
١١٣	١٧	الموقوف	للوقوف
١١٦	١١	وهم يقذفهم	وهو يقذفهم
١١٨	١٦	تعتبر	تعبر
١٢٣	١٤	نهير في السامير	نهير السامبر
١٢٤	١٤	كل منهما	كل منها
١٣٠	٨	متز	مونز
١٦٠	١٦	الثالث	السادس
١٦٣	٧	دى كاستانو	دى كاستلنو

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٠	٧	المان	المارن
١٧٦	٦	Moh	Maux
١٨٨	٧	نموزج	نموذج
١٩٣	١٢	الافلال	الاقلال
١٩٥	٧	التجاه	النجاه
١٩٧	٧	تنجو	ينجو
١٩٧	١٠	يلاحقه	تلاحقه
٢٠٢	١	هو بمفرده	وهو بمفرده
٢١٠	٧	صالح معمل	صالح العمل
٢١٨	٦	وراءها	وراءنا

﴿ انجزت المكتبه طبع كتاب الآداب ﴾

(لجعفر بن شمس الخلافه مجد الملك)

أبو الفضل الكاتب الشاعر المصرى صاحب المؤلفات المختارة المتوفى سنة ٦٢٢ هـ.

و (كتاب الآداب) هذا يتضمن طائفة كبيرة من الحكم والأمثال منسوبة إلى أصحابها وقد جعله مؤلفه تقدمته للقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على وزير السلطان صلاح الدين الايوبى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ

(وثمنه خمسة قروش صاغ)

i15025500
b13189153

1000

DATE DI

F APR 1973

APR 1977

100001139225